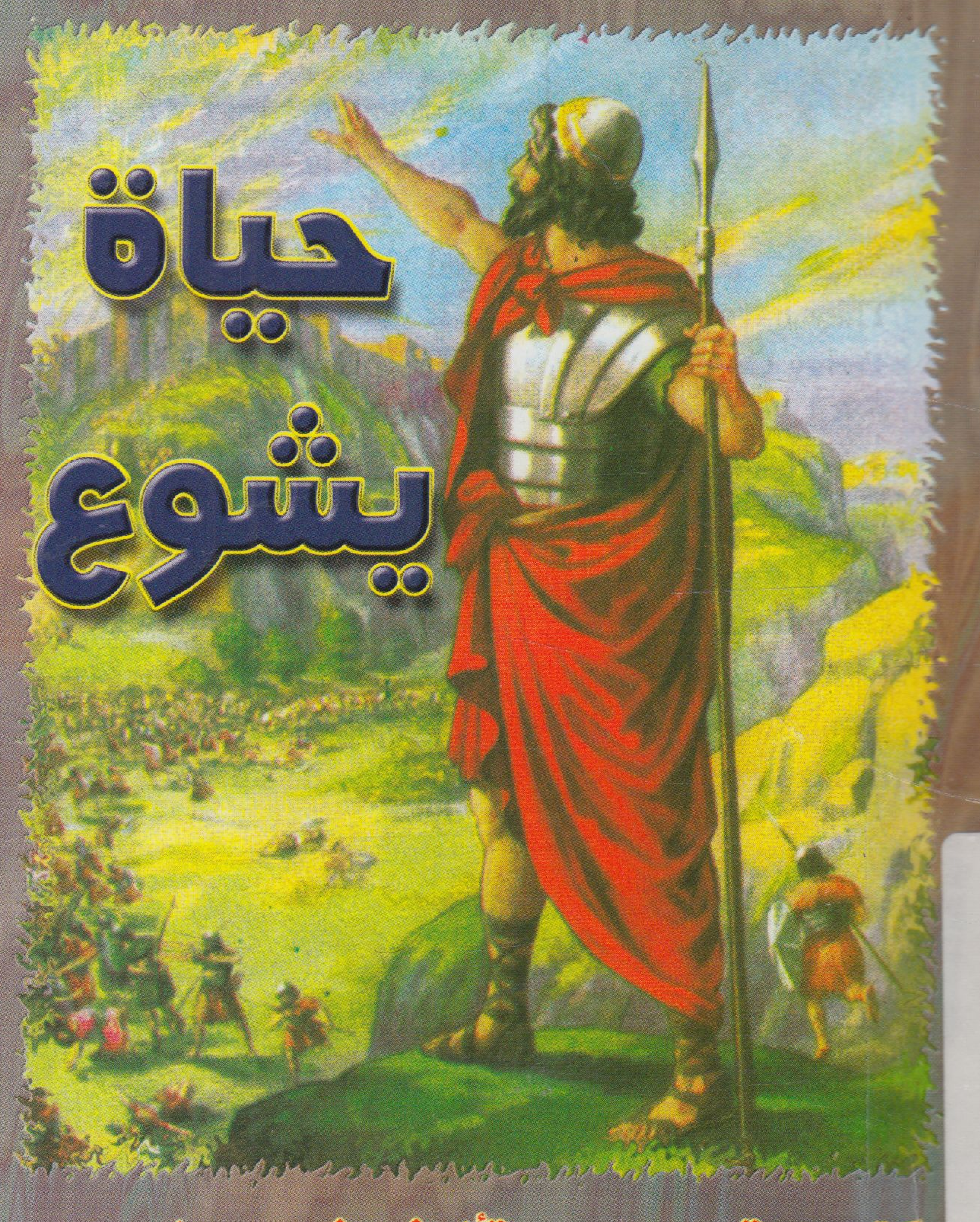


تأليف : ف . ب . ماير
ترجمة: القمص مرقص داود

مكتبة
المحبة

حيـــاة يشـــوع

وأرض الموعـــــد

تأليف

ف. ب. ماير

القس مرقس داود

مدير الكلية الاكليريكية بأديس أبابا

ملتزم الطبع والنشر

مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة

طبع بشركة هارمونى للطباعة
تليفون ٦١٠٠٤٦٤ (٠٢)

رقم الايداع بدار الكتب : ٢٩٠٠ / ١٩٨١
الترقيم الدولى : ١ ـ ٢٦ ـ ٧٣٢٩ ـ ٩٧٧



صاحب القداسة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة المؤلف

ان الطريقة المثلى لتوضيح الكتاب المقدس هى الكرازة به. وفى كل سفر تستطيع أن تتبين خاتم الروح القدس، وفى كل صفحة طابع السماء. وأن التأمل الدقيق فى محتويات كل سفر ـ كالسفر الذى أمامنا الآن ـ يترك فى أنفسنا أثراً عميقاً عن سلطان الله، وعن أنه هو المؤلف للسفر، أكثر من أية أدلة خارجية.

وفضلاً عن هذا، وبغض النظر عن الدروس الروحية التى يمكن استخلاصها من دراسة أسفار العهد القديم دراسة روحية، فإن العقل المفكر يزداد اقتناعا بأن هذه الأسفار لا يمكن الا أن تكون قد كتبت على أيدى المؤرخين المعاصرين. فمن المستحيل أن نصدق بأن أى كاتب من كتاب الحقبة التى بعد السبى قد كتب أى كتاب من أسفار العهد القديم التاريخية بنفس الوضوح والدقة وتصوير الحياة تصويراً صادقاً كما نراه فى هذه الأسفار. ومع تقادم الأيام نرى أن الكثير من الأمور التى كانت ترى هامة جداً فى نظر المعاصرين قد أغفل ذكرها كأشياء ثانوية لا داعى لذكرها، لاعتقادهم أن المبادىء العامة هى الواجبة التدوين دون التفاصيل. على أننا فى هذه الأسفار العجيبة التى منها سفر يشوع نجد العكس من هذا فى كل فقره.

وتلك الدراسة، التى تقوم على آثار دخول أرض كنعان على ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة، وقد تثبت ايمان بعض ضعيفى الايمان. على أن غايتى الرئيسية هى أن أبين أوجه الشبه العجيبة بين محتويات هذا السفر وبين أختبارات الكنيسة كجماعة وكأفراد. ومتى تبين أن أوجه الشبه هذه فى غاية الدقة وفى غاية التقارب كان ذلك باعثا على زيادة اعتقادنا فى الكتاب المقدس كوحدة واحدة، أنتجها فكر واحد، هو الذى كلم البشر "بأنواع وطرق كثيرة".

ف. ب. ماير

مقدمة التعريب

يلذ لنا جميعاً أن نقرأ سير الأبطال وبنوع خاص أبطال الإيمان. هؤلاء اللذين عن طريق تسليم حياتهم لله قاموا بأعمال عظيمة فى أجيالهم المتتابعة.

والكتاب المقدس يقدم لنا عينات طيبة من هؤلاء لكى ننسج على منوالهم. لكى يؤدى كل مناً الرسالة الجليلة التى رتبها الله لكل واحد. ومهما تنوعت مواهبنا واختلفت مؤهلاتنا فلا ريب أن الله له قصد صالح فى كل فرد. والروح القدس الذى استخدم رجال الله فى كل العصور قادر أن يجعل من أبسط الناس بركة عظمى لكثيرين.

ولقد عنى كثير من الكتاب والمفسرين بدراسة وتحليل حياة القديسين الذين لبوا الدعوة الالهية. ومن بين هؤلاء الكتاب ف. ب. ماير الذى ترجم له الأخ المحبوب حافظ داود فيما سبق حياة ابراهيم وحياة يوسف وحياة ايليا وحياة أرميا وحياة بطرس. وأخيراً هذا السفر الجديد حياة يشوع.

والذين أطلعوا على الحلقات الماضية سيجدون فى هذا الكتاب الجديد نفس الغذاء الروحى الدسم والطعام الشهى المشبع الذى تذوقوه

فيما مضى. وتمتاز كتب "ماير" بعمق الدراسة والنظرةالروحية الفاحصة التى تستخرج من الحوادث والكلمات التى قد نمر عليها ببساطة دروساً ثمينة للتحذير والانذار، وللتشديد والتشجيع، وللتثبيت والبنيان، وللحض على الخدمة والتكريس واستخدام الفرص التى يهيئها الله لكل واحد فى محيطه الخاص.

وهذه الكتب ليست للقراءة السطحية العابرة على عجل. ولكنها للخلوات الهادئة وللتأملات العميقة. وليس شيء يقوى عزمنا ويثبت ايماننا ويشددنا فى جهادنا نحو الغاية العليا فى حياة فاضلة مثمرة مثل تمسكنا بالله وسيرنا فى الطريق الذى سار فيه أبطال الايمان من قبلنا مترسمين خطوات رئيس الايمان ومكملة الرب يسوع.

ولقد أتى يشوع عقب موسى مباشرة فى فترة هامة جداً فى تاريخ بنى اسرائيل. لقد أخرجهم من أرض العبودية وحررهم من نير الاضطهاد القاسى المر بعد ما أجرى على يدى موسى قوات وعجيبة فى أرض مصر وعبر البحر الأحمر وفى برية سيناء الى أن أتى إلى الأرض التى سبق فوعد بها آباءهم ميراثا أبدياً. وهنالك عند حافة أرض الموعد أنتهت خدمة موسى وأخذ الى المجد الأسنى.

واذا كانت مهمة موسى هى التحرير من أرض العبودية فإن مهمة يشوع كانت امتلاك الأرض الشهية.

وهذا العمل الذى انتدب له يشوع لم يكن بالأمر السهل ـ على الأقل من الوجهة البشرية ـ اذ كانت هناك مدن عظيمة محصنة وشعوب عديدة قوية تامة التسليح. ولكن الله كان مع يشوع فشق له نهر الأردن وأخضع له الملوك والقواد وأعطاه نصرة حاسمة فى المواقع المتتابعة. وتمم الله لشعبه كل الكلام الصالح الذى سبق فنطق به من نحوهم.

+++++++

والآن وقد انتهت الينا أواخر الدهور. ونحن فى عصر النعمة وفيضان البركات الروحية ما أحوجنا لأن نتشجع ونتشدد، وبقوة الروح القدس التى لا تحد ولا يستعصى عليها شيء نتمسك بمواعيد الله العظمى والثمينة ونخدم الله فى جيلنا خدمة مرضية بخشوع وتقوى. واذا كانت جيوش الأعداء قد اتحدت واصطفت ضد يشوع فإن الكنيسة تجابه اليوم قوات غير منظورة شديدة الخطر: روح الالحاد والجهالة وروح الفساد والاباحية فى الأفراد والجماعات. وروح العداء بين شعب وشعب. وروح الخصومة والتنافر بين طبقات الشعب الواحد. والرب يحتاج الى

مجهودات كل أولاده الأمناء لكى يضيئوا كالأنوار فى وسط هذه الظلمة المرعبة ولكى يستمدوا القوة من الله مصدر كل قوة ولكى يجاهدوا وينتصروا كما جاهد يشوع وانتصر.

+++++++++

واذا كانت لى كلمة أخيرة فهى التوجه بالشكر لله العلى الذى أعان الأخ الحبيب حافظ داود بل الأب الموقر القمص مرقس داود فى ترجمة هذه الكتب النفيسة التى كانت وستظل بركة لألوف عديدين من أبناء الكنيسة. ليؤيده الله بمعونة أوفر لتكون خدماته المقبلة عاملا هاما فى النهضة الروحية الشاملة التى نرتجيها لمصر وشقيقتها اثيوبيا.

ويحق لمكتبة المحبة القبطية الارثوذكسية أن تفخر بما قدمته لقراء العربية من المطبوعات الدينية الممتازة. والكتاب الطيب هو أطيب صديق وأقرب رفيق مادام يسوع هو محور الكتاب وروح الله هو ملهمه.

أ. ب.

كان الفراغ من تعريب هذا الكتاب فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٤٤.

مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة

وهذه درة أخرى من درر ف. ب. ماير تقدمها مكتبة المحبة وهى فخورة بما تقدم، سعيدة لأنها استطاعت أن تزود المكتبة القبطية بها، راجية من الله أن تواصل جهدها ونشاطها فى اصدار الكتب الثمينة النافعة لجمهور قرائها الكرام.

أن مؤلف هذا الكتاب غنى عن التعريف والبيان، فشخصيته الفذة تلمع على صفحات مؤلفاته، وروحانيته الصادقة ينطق بها كل سطر من سطور مصنفاته، وشركته الوطيدة بالله تضفى على تأملاته نوراً علويا وترتفع بها الى مستوى روحى عال. وفلسفته فى تحليل الشخصيات فلسفة لا تبارى. ومما هو جدير بالذكر أن "ماير" كان خادماً متجولاً كثير السفر والتنقل ضيق الوقت للغاية، ولكنه استطاع فى الفترات التى كان يقضيها باستراحات السكك الحديدية وفى القطارات أن يضع أصول سلسلة شخصيات الكتاب المقدس!

أما المعرب فمعروف للخاص والعام، وهو رجل كرس حياته لخدمة الكنيسة والعمل وسط الشباب. وقد لمس بنفسه مدى نفع مؤلفات "ماير" فعربها فى أسلوب رشيق سهل التناول وقدمها لأبناء الكنيسة، الواحد تلو الآخر، حتى كونت مجموعة نفيسة تعتز بها الكنيسة، ومازال فى جبعته الكثير.

ودراسة الشخصيات الكتابية فى الواقع لها أثرها البالغ فى صقل النفس وتهذيبها وانارة معالم الطريق أمامها. اذ أنها فى هذه الدراسة، تقف على مواطن القوة ومصادرها فى حياتهم وتتعلم كيف واجهوا التجارب. وتغلبوا على الصعاب ، وقهروا العدو، وفازوا بالغلبة، وكيف نجحوا فى أداء الرسالة التى ائتمنهم عليها الله، كما تكشف لها كيف فشلوا أو سقطوا أحياناً، وكيف استطاعوا أن ينهضوا وأن ينفضوا عنهم الغبار ويستمدوا القوة من الله ويواصلوا الجهاد لأجله. ولهذا قال الوحى "انظروا الى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم" (عب ١٣ : ٧).

ويشوع الذى نقدم تاريخ حياته فى هذا الكتاب يعتبر واحدا من ألمع شخصيات العهد القديم. فهو قاهر الأردن، وبطل أريحا، والرجل الذى أوقف الشمس فى الأفق فلم تغب! وهو فوق هذا سمى يشوع الرب المخلص، وان كان بنو اسرائيل يدينون لموسى بتحريرهم من عبودية مصر. فإنهم يدينون ليشوع - تلميذ موسى - بامتلاكهم الأرض البهية، وهو فى هذا يرمز إلى يسوع الذى أنار الحياة والخلود وفتح الفردوس ووهب المؤمنين امتلاك الحياة الأبدية.

الفصل الأول

سفر يشوع

ليت الأرض تكون ظلاً للسماء وكل مافيها يشبه ما فى السماء

(ملتون)

يرجع ترتيب أسفار العهد القديم الى شيء آخر غير الأختيار البشرى، وغير تاريخ كتابتها، فنفس الروح القدس الذى أوحى بها أصلا هو الذى أوحى بترتيب وضعها فى الكتاب المقدس. فسفر **التكوين** يبدأ بالله، ويرجع بنا إلى أصل تلك النعمة الإلهية التى تجاهد ضد خطايا البشر، والتى تحب الانسان قبل أن يوجد فيه ما يستحق المحبة، والتى تربط نفسها بعهد "متقن فى كل شيء ومحفوظ" وسفر **الخروج** يتحدث الينا عن عملية الفداء. وسفر **اللاويين** عن العبادة.

وسفر **العدد** عن موضعنا فى عداد صفوف جيش الله. وسفر **التثنية** عن تلك النظرة (الأكثر تعمقاً من الناحية الروحية) لناموس الله الذى وصل الينا بالمحبة والإيمان. أما سفر **يشوع** فهو حلقة لا غنى عنها فى سلسلة هذه التعاليم الرمزية. وأخيراً يمكن تتبع تاريخ النفس من فوضى **القضاة** إلى حكم **الملوك**، ثم الى تسابيح **المزامير**، والرؤى النبوية فى الاسفارالتالية.

اذن فهنالك معنى خفى خاص لسفر يشوع يتكشف الينا متى تعلمنا منه رواية استئصال الكنعانيين وتقسيم أرض كنعان واستقرار

شعب الله فيها. وبساطة يشوع والأعمال الحربية العظيمة التى أتمها. من المستحيل أن يخطر بالبال أن يخصص هذا الحيز الكبير لتدوين هذه الأنباء ما لم يكن هنالك غرض سام ومقدس، كما هو الحال فى توخى الدقة التامة فى وصف الذبائح فى سفر اللاويين، فأن كل ذبيحة وكل طقس يتضمن حقيقة روحية عميقة لازمة لنمو نفوس المؤمنين فى كل الأجيال من أجل هذا فخليق بنا أن نقرر عن سفر يشوع، وعن خروف الفصح، وعن عبور البحر الأحمر، أن "هذه الأمور حدثت مثالاً لنا".

ومفتاح هذا المعنى الخفى يقدمه الينا كاتب رسالة العبرانيين التى نجد فى الاصحاحين الثالث والرابع منها مؤيداً لوجهة نظرنا فى هذا التفسير. وأن اهتمام كنيسة الله المتزايد بهذا السفر الذى يتحدث الينا عن هذا البطل العظيم المتفاضل فى البساطة والاستنارة والتواضع والبطولة يرجع الفضل فيه الى زيادة التعمق فى المعنى الحقيقى لهذين الاصحاحين. واذا كان نهر الأردن يرمز لموت الجسد، وكنعان للسماء، فيبدوا أننا لا نجد تفسير للتفاصيل الكثيرة المدونة بكل دقة قبل أن نصل الى غزو أرض الموعد وتقسيمها. وكيف نوفق بين الحرب فى أرض الموعد والراحة التامة فى أورشليم الجديدة على أساس هذا التفسير؟

لدى دراسة الاصحاحين المشار اليهم يتبين لنا أنه ولو أن كنعان لم تكن راحة الله، لأنه تحدث ـ على لسان المرنم ـ عن راحة أخرى بعد دخول أرض كنعان بأربعة أجيال، الا أنها كانت رمزاً واضحاً عن راحة السبت المبارك التى نستطيع دخولها هنا الآن. "فلنخف انه مع بقاء وعد

بالدخول الى راحته يرى أحد أنه قد خاب منه" كما حدث لأولئك الذين سقطت جثثهم فى القفر اذ حرموا من أرض الموعد. "نحن المؤمنين ندخل الراحة". والرب يسوع المسيح دخل راحته (كما دخل الله راحته) ولذلك حصل على أرض كنعان المثالية كممثل لأتباعه الذين يهبهم اياها حالما يؤمنون. والينا توجه الدعوة بأن "نجتهد أن ندخل تلك الراحة لئلا يسقط أحد فى عبرة العصيان هذه عينها".

كل هذه الاشارات تبين الأهمية الروحية لهذا السفر العجيب، الذى يحدثنا عن كفاية تلك الراحة والثروة والنصرة التى يتمتع بها أولئك الذين عرفوا الأشياء الخفية التى أعدها الله للذين يحبونه، والتى أعلنت بروحه القدوس. ليت الروح القدس يستخدم هذين الاصحاحين لقيادة الكثيرين من مفديى الله واخراجهم من حياة البرية الى تلك الراحة. لقد افتدينا وعبرنا البحر الأحمر لاقناعنا بحاجتنا الى ذلك الذى سمح لنا بأن نجوع اليه ونتعطش اليه فى القفر. وحصولنا على هذا هو وحده الذى يقنع العالم أن الرب يسوع هو مسيح الله. فى الواقع نحن قد أخرجنا لكى ندخل. وافتدينا لكى نصير ملكا له، وتبررنا لكى نتقدس ونتمجد.

فى العهد الجديد سفر آخر يتمشى مع سفر يشوع فى عمق الروحانية، هو رسالة أفسس التى تسمو على كل الرسائل الأخرى. فى هذه الرسالة نكتشف بعض الملاحظات التى تعلن فناء الخليقة فى عرس الخروف. ومركز سفر يشوع فى العهد القديم هو مركز رسالة أفسس فى العهد الجديد.

الكلمة المميزة لرسالة أفسس هى "السماويات" (ص ١ : ٣، ٢٠، ٢ : ٦، ٣ : ١٠، ٦ : ١٢). وهى بالطبع لا تعبر عن السماء بل عن الاختبار الروحى لتلك الوحدة مع المخلص المقام من بين الأموات فى قيامته ومجده، الأمر الذى هو امتياز لكل القديسين، والذى دعوا اليه، والذى هو ملك لهم عن طريقه. ولعله مما يعيننا على ازدياد فهم هذه المقارنة بين السماويات وأرض كنعان أن نتتبع آثارها فى النواحى الخمسة التالية:

(١) أن كلا منهما كانت الغاية التى قاد الله شعبه اليها:

عندما ظهر الله لموسى فى العليقة المشتعلة اجابه لأنين شعبه المتصاعد اليه، واذ تذكر ميثاقه مع ابراهيم واسحق ويعقوب (خر ٢ : ٢٤) كانت أول عبارة تحدث بها اليه أنه تعهد ليس بانقاذ شعبه من أرض المصريين فحسب بل "أن يصعدهم من تلك الأرض الى أرض جيدة وواسعة. الى أرض تفيض لبناً وعسلاً". فتحررهم من عبودية فرعون لم يكن الا تمهيداً لاستقرارهم فى أرض الموعد.

ويبدو أن موكب شعب الله بزغت أمامه هذه الحقيقة كنجم متألق. ولذلك عند البحر الأحمر حينما هتفوا بنشيد الظفر والغلبة انتقل الحديث فى النشيد من هلاك أعدائهم الى جبل ميراث الله الذى لابد أن يأتى بهم اليه ويغرسهم فيه.

"المكان الذى صنعته يارب لسكنك المقدس الذى هيأته يداك يارب".

ان ضربات مصر التى حطمت القيود وحررت الشعب المستعبد،

وتأسيس الفصح ورش الدم، وعبور البحر الأحمر واهلاك جنود مصر - هذه كلها لم تكن مجدية لو أنها لم تؤد الى استقرار اسرائيل فى أرض كنعان. كذلك لم يكن ممكنا بغير هذا اتمام الوعد الالهى الذى أعطى لابراهيم: "ارفع عينيك وانظر من الموضع الذى أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً. لأن جميع الأرض التى أنت ترى لك أعطيها ولنسلك الى الأبد".

هكذا الحال أيضاً، فإنه ولو كان الكثيرون من مفديي الرب يجهلون هذه الحقيقة فإن كل الحقائق العجيبة التى تستتر وراء تاريخ الكنيسة قد قصد بها أن تنظف الأرض وتمهد الجبال وتملأ الأودية، وذلك لكى تعد أمام كل الذين يؤمنون بالحياة المباركة طريق الدخول الى اختبارات كتلك التى اختبرها الرب نفسه أثناء حياته على الأرض الى الفرح الذى يملأ القلب هتافاً أبدياً ولو لم ينطق الفم، الى السلام الذى يفوق كل عقل، والى "محبة المسيح الفائقة المعرفة".

مما يلاحظ باهتمام أن الرسائل طالما أشارت الى هذه الاختبارات. فإن أساسات التبرير قد وضعت عميقة وسميكة لكى تتحمل بناء التقديس والبركة. والرسل لم يكتبوا رسائلهم الرائعة لتغيير العالم أو ايقاظ الموتى بقدر ما كتبوها لتكميل القديسين والكشف عن الشروط الحقيقية للقداسة والغلبة والقوة.

واسمح لى الآن أيها القارىء العزيز أن أسألك بكل وقار: هل اتممت هذه الشروط وحصلت على تلك الامتيازات؟ هل لازلت فى

البرية أم دخلت أرض الموعد؟ هل تحتل مدنا لم تبنها قط، وتأكل كرما وزيتونا لم تغرسه، وتشرب من الآبار التى تمتلىء من الجبال الدهرية والتى لم تحفرها أنت، وتسكن بيوتا ممتلئة خيرات لم تكتنزها؟ هل تسكن أرض حنطة وخمر تقطر عليها السماء دسما؟ هل تسكن كحبيب الرب بين ذراعيه؟ هل تدوس على أعدائك بأحذية من حديد أو نحاس؟ هل تجعل مسكنك فى الله والأذرع الأبدية من تحتك؟ اختبر ذاتك بالمواعيد التى أعطيت لاسرائيل، والتى لم تكن الا رمزا وظلا للحقائق الأبدية، وان كانت لا تجد صدى لها فى اختباراتك الروحية فاعلم بأنك قد خسرت قصد الله فى فدائك. انسى ما هو وراء لكى تصل الى الأرض الجيدة التى وراء الاردن، وتدرك ذاك الذى من أجله أدركك المسيح يسوع.

(٢) وكل منهما كانت مستحيلة بواسطة الناموس:

"وكان بعد موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلاً: موسى عبدى قد مات. فالآن قم اعبر هذا الأردن. "الناموس بموسى أعطى" وكان موسى بكل معنى الكلمة ممثلاً له. ولذلك كان من اللائق أن لا تظلم عيناه أو تضعف قواه الطبيعية وقت موته "وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين مات ولم تكل عيناه ولا ذهبت نضارته وناموس الله لا يمكن أن يشيخ أو تتطرق اليه علامات الضعف والانحلال. والى منتهى الأجيال التى لا تحصى هو قوى وجديد كطبيعة الله التى لا يعبر عنها.

على أن ناموس الله لا يمكن أن يأتي بالنفس الى أرض الموعد، ليس بسبب أى نقص فيه، بل بسبب ضعف الانسان وخطيته. في ذلك الاصحاح الرائع الذى يتحدث الينا فيه الرسول عن تحليل النفس (رومية ٧) نراه يؤكد مرارا أن الناموس مقدس وعادل وصالح، ويصر على أنه سر به بحسب الانسان الباطن، ولكنه يخبرنا بأنه يرى ناموساً آخر فى أعضائه يحارب ناموس ذهنه ويسبيه الى ناموس الخطية. فوجود هذا الناموس الشرير في أعضائنا هوالذى يجعل طاعتنا لناموس الله مستحيلة، ويملأنا حسرة وقلقاً وجهادا مستمراً عديم الجدوى وفشلا دائماً. اذن فلنترك الناموس ـ كقانون خارجي للحياة ـ وراء ظهورنا، في الجواء مقابل بيت فغور، لكى يقودنا يشوع الأعظم الى أرض الموعد.

على أن دخولنا الى تلك الأرض المباركة لا يتوقف على التعهدات أو العزيمة أو عهود التكريس التى توقع بالدم، ولا بالفرائض الخارجية أو اذلال الجسد، ولا بالأصوام والصلوات، بل ولا باطاعة صوت الضمير أو النور الداخلى، ولو أن ممارسة جميع هذه فى غاية الأهمية. فانها جميعها تصبح مجرد ممارسات شكلية اذا كانت الغاية منها الحصول على الراحة الكاملة والنصرة الحقيقية فى الحياة المسيحية. لا شك فى أنها عظيمة القيمة بعد عبور النهر ودخول الأرض، ولكنها لن تفتح أبواب الأرض أو تشق نهر الاردن. وكما أن مغفرة الخطايا والحياة الأبدية هما عطية مجانية لنعمة الله تنال بالايمان ـ ولو أن التمتع الكامل بهما يتم بالطاعة وانكار الذات ـ كذلك تمنح ملء بركة انجيل المسيح

لأولئك الذين يتقبلونها بأيد مفتوحة وفارغة دون أى استحقاق فيهم أو مجهود يبذلونه. نحن لا نبذل أى مجهود للوصول الى الراحة كما فعل اليهود، ولكننا بعد الحصول عليها نبذل المجهود.

(٣) وكل منهما أؤتمن عليها ممثل:

من أبرز مميزات سفر يشوع ان الله طالما وجه اليه الحديث نيابة عن الشعب، ومنحه البركات التى كانت مخصصة للشعب.. لا يقف انسان فى وجهك" "فقال الرب ليشوع. إنظر. قد دفعت بيدك إريحا وملكها" وكان عليه أن يقسمها، "لأنك أنت تقسم لهذا الشعب الأرض التى حلفت لأبائهم أن أعطيهم" لقد وضع كل شىء بين يدى يشوع كوكيل لاسرائيل لكى يعطى لكل نسبط نصيبه.

واتماماً لهذا بكل دقة يدون لنا الكتاب انه فى نهاية سبع سنى الحرب أخذ يشوع كل الأرض حسب ما كلّم به الرب موسى وأعطاها يشوع ملكا لاسرائيل حسب فرقهم واسباطهم" (يشوع ١١ : ٢٣).

لقد تم هذا الرمز اتماماً كاملاً وعجيباً فى حياة الرب يسوع المسيح. فاليه قد أعطيت كل البركات الروحية كممثل لشعبه ونائب عنهم، وهو ينتظرنا حتى نطالب بها. دفع اليه كل سلطان فى السماء وعلى الأرض لكى يمنحنا سلطانا على كل قوة العدو. والأب أعطاه أن تكون له حياة فى ذاته لكى يمنحنا الحياة الأفضل. هو مملوء نعمة وحقا، لكى من ملئه نحن جميعاً نأخذ. وهو قبل من الاب موعد الروح القدس لكى

يسكبه بفيضان خمسيني. وهو قبل من الاب كرامة ومجداً لكي نكون معه حيث يكون هو.

فلنجتهد بأن ندرك كل ملء ميراثنا في المسيح، وبعدئذ لنتقدم لكي نمسك به بالايمان. ان كل ما عنده محفوظ لنا. فلنطالب به. لنقبل نعمته لكي نملك في الحياة بالواحد يسوع المسيح (رو ٥ : ١٧). لنؤمن بأننا قد أخذنا. ونضع هذا في قلوبنا، عائشين بقوة ما أخذنا بالايمان دون أي اعتبار لما نحس به.

(٤) وكل منهما خسرها الكثيرون :

لقد سقطت جثثهم في القفر، حتى أن الجيل الذي صرخ قائلاً "ليتنا متنا في البرية" ماتوا فعلاً فيها. يحدثنا المزمور التسعون عن تلك السنوات الأليمة التي كانت تموج بسيل لا ينقطع من الجنازات الخارجة من محله اسرائيل، والتي كانت أكام البرية تتابع فيها طريق ذلك الجيل الاثيم غير المؤمن.

لازالت هذه المناظر بادية للعيان الى اليوم. ولا شك في أن حالة الكنيسة تسبب الحزن لله. فأنه رغم آلامه والدماء التي تقاطرت من جبينه، ورغم صليبه، ورغم صوت كلمته الصارخ وشهادة الروح القدس، ورغم أن أرض كنعان الجميلة تبدو أمام أنظار الجميع، فإن الأقلية هي التي قد أدركت ما قصده الله. وفي كل مكان نجد نفوس الكثيرين الذين افتدوا بدمه، والذين احصوا ضمن شعبه، يهلكون خارج

أرض البركة فى قبور محبة العالم والانغماس فى الملذات الجسدية والخطية التى تسودهم. قد نتبين هنا وهنالك يشوع أو كالب أو سبط اللاويين، ولكن يبدو أن الأغلبية قد خسرت أرض الموعد. فأحرص أيها القارىء العزيز بأن لا تكون واحدا منها "فلنخف" نحن أيضاً.

(٥) وكل منهما كانت محاطة بخصوم كثيرين:

كانت السبعة الأمم التى استوطنت كنعان قد حصنت البلاد بحصون منيعة ومركبات حديدية، رغم أن الرب جعلها أمام شعبه كخبز لا يحتاج الا أن يؤكل (عدد ١٤ : ٩) فخرجوا فى وجه الجيش الفاتح بكل استعداداتهم الحربية، ولكنهم من انتهاره هربوا ومن صوت رعده فروا (مز ١٠٤ : ٧).

و "السماويات" أيضاً لا يمكن أن تخلو من الجهاد أو من وجود الأعداء. فالذين قد أقيموا لكى يجلسوا هناك فى المسيح ينبغى أن يواجهوا أجناد الشر الروحية فى السماويات، والرؤساء وقوات الشر. صحيح أن غلبتهم ميسورة، ولكنهم رغم ذلك أعداء مرعبون، ولابد لهم من الانتصار علينا الا ان كنا ثابتين فى يشوعنا الأعظم الذى حررهم، ومسلحين بسلاح الله الكامل.

+++++++

من كل ذلك يتضح أن أرض كنعان هى السماويات، وفى هذا السفر القديم نستطيع أن نقرأ أعمق أفكار العهد الجديد، لأن الله يكرر اعلان نفسه بأنواع وطرق كثيرة.

الفصل الثانى
الرسالة الإلهية
يشوع ١ : ٧ (١)

حينما تحس بالضعف فلك أن ركزت ثقتك فى الله تصبح قوياً وسط متاعبك قوياً فى جهادك (بلمبتر)

عندما بدأ يشوع يخطو الخطوة الأولى فى عمله العظيم أمر مراراً بأن يتشدد ويتشجع. فقبيل وفاة سلفه دعى كل اسرائيل لاجتماع حافل سلم فيه موسى عصا الرعاية لخلفه موجها اليه هذا النداء "تشدد وتشجع لأنك أنت تدخل ببنى اسرائيل الأرض" والان نرى صوت الله يردد النداء ويكرر الوصية.

هذه الوصية تزعجنا فى بداية الأمر. لأنه هل يتحتم أن يكون جميع الذين يستخدمهم الله فى خدمته أشداء أقوياء؟ هل هو أمر جوهرى أن تتوفر قوة العضلات فى التكوين الجسمى والأدبى لكل الذين يدعون لخدمة الله فى هذا العالم؟ لأنه أن كان الأمر كذلك لما استطعنا أن نتقدم الى صفوف جيش الله نحن العسر كأهود، أو المحتقرين فى بيت أبينا كجدعون، أو الذين نشعر دواما بالضعف كشاول الطرسوسى.

ومع ذلك ألا يشعرنا هذا النداء المتكرر أن قلب يشوع قد ذاب فى

(١) انما كن متشدداً وتشجع جداً لكى تتحفظ للعمل حسب كل الشريعة التى أمرك بها موسى عبدى. لا تمل عنها يميناً ولا شمالاً لكى تفلح حيثما تذهب.

داخله، وانه كان شاعرا بعجزه التام عن اتمام الرسالة العظمى التى دفعت اليه؟ لعله لم يخطر بباله قط شرف عظيم كهذا، ولم يفكر فى أن تسند اليه مسئولية خطيرة كهذه. فقد كان قانعاً بأن يكون خادماً لموسى، مكتفياً بالانتظار أسفل الجبل حتى يجوز معلمه فى السحابة ليقضى بعض الوقت فى عشرة الله، راضياً بالبقاء فى الخيمة لخدمة موسى اذا اقتضى الأمر، أو لحراسة محتوياتها فى غيابه، غيوراً على كرامة سيده اذ تنبأ الداد وميداد، ومسروراً لأن أمجاد الانتصار فى فلسطين الشرقية قد توجهت أيام سلفه الأخير بأكاليل المجد والفخار.

حيثما تلقى موسى فى أول الأمر حكم الموت على شاطىء الأردن الشرقى لم ينفطر قلب أى واحد حزناً أكثر من صديقه الوفى وخادمه الأمين. ولكنه لم يخطر بباله قط أنه سوف يخلفه ويبدو أن موسى نفسه لم يتجه تفكيره نحوه هذا الاتجاه، لأن الوحى يخبرنا أنه طلب من الرب أن "يوكل رجلا على الجماعة يخرج أمامهم ويدخل أمامهم ويخرجهم ويدخلهم لكيلا تكون جماعة الرب كالغنم التى لا راعى لها" (عد ١٧ : ١٦، ١٧) ولعل يشوع اشترك فى هذه الصلاة، ظاناً كل الوقت أن كالب قلب الأسد، أو فينحاس الكاهن، أو أحد أبناء موسى هو الذى سيخلفه، وغير مفكر قط أنه هو الذى سيدعى لهذه المهمة فقد كانت غايته الوحيدة أن يزيد موسى مجداً، وان يخفف من متاعبه. وكان منغمساً كل الانغماس فى خدمة سيده للدرجة التى لم تسمح له بالتفكير فى نفسه.

لذلك فأنه حينما أتته الدعوة لشغل المنصب الذى شغر بوفاة موسى ذاب قلبه فى داخله، واحتاج لكل نوع من التشجيع والتنشيط سواء من الله أو من الانسان. فالكلمة "تشدد" تعنى أنه أحس بالضعف، و"تشجع" تتضمن بأنه كان خائفاً، و"لا ترهب ولا ترتعب" تشعر بأنه كان يفكر جديا فى التنحى عن هذه المهمة. لقد كان دودة لا انسان، فكيف يخلص اسرائيل؟

حينما يكون الانسان فى هذه الحالة يقرب منه الله ليدعوه لتحمل المسئوليات الجسيمة. أن الأغلبية فينا يظنون أنهم أقوياء وتمتلىء عقولهم بتدبير الخطط البشرية لاتمام مهمتهم ومن أجل هذا فإن الله يرفض دعوتهم لخدمته، لذلك فإنه ينبغى أن يفرغنا ويذلنا ويضعنا حتى تراب الموت، ويجعلنا حقيرين جداً للدرجة التى نحتاج فيها الى أقل كلمة للتشجيع، وأضعف يد للمعونة. وبعدئذ يقيمنا ويجعلنا كقضيب قوته. يتحدث العالم عن "البقاء للاصلح" أما الله فإنه يعطى المعيى قدرة ولعديم القوة يكثر شدة، وقوته فى الضعف تكمل، ويختار غير الموجود ليبطل الموجود. لو لم يكن أهود أعسر لما قضى لاسرائيل، ولو أن جدعون كان الأعظم فى بيت أبيه لا الأحقر لما أذل مديان، ولو أن بولس استخدم مجرد الحكمة البشرية لما كرز بالانجيل من أورشليم الى الليريكون.

لنتأمل فى مصادر قوة يشوع.

(١) ماضى نزيه أمين:

"كان بعد موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى". فى هذه الحالة، كما فى كل الحالات، كانت تنطبق عليه تلك القاعدة الذهبية الأبدية وهى أن الأمانة فى القليل هى الشرط الأساسى لكى نؤتمن على الكثير، والأمانة كخادم وضيع هى السلم للوصول الى العرش الرفيع. قيل عن الرب المتعالى فى المجد انه أطاع حتى الموت موت الصليب، لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم. فلنتعلم الطاعة مما نتألم به قبل أن نرفع من المزبلة للجلوس مع الشرفاء.

كانت سنو حياة يشوع السابقة حافلة بجلائل الأعمال. فقد عانى مرارة العبودية فى مصر أربعين عاما اذا صحت رواية يوسيفوس عن عمره وقت موت موسى. وقد تعودت عيناه الطاهرتان رؤية قسوة المسخرين المصريين حتى ولو لم يلهب ظهره بكرابيجهم. وكسليل احدى عشائر افرايم المتزعمة (عد ١٣ : ٨، ١٦) ربما يكون قد أخذ نصيبه فى قيادة اسرائيل وقت الخروج، وهنالك برهن على أنه جدير بكل ثقة. وقد كان حربه مع عماليق، والتقرير الطيب الذى قدمه عن أرض الموعد، ورفضه الاشتراك فى الهجوم الخطر على الكنعانيين، وغيرته على سمعة موسى، وتحمله بالصبر سنوات التيه المضنية. كل هذه برهنت على أن أخلاقه لم تكن بالاخلاق العادية. يزهر "عود الند(١)" مرة كل مائة عام، على أن

---

(١) نوع من النبات Aloe

كل ساعة من تلك الحقبة الطويلة لازمة للوصول بتلك الزهرة الى ما تبدو فيه من تركيب دقيق وجمال فنان. وأعمال البطولة التى تصدر عن أحد الأبطال لا يمكن أن تكون وليدة الساعة، بل نتيجة الاختبارات الطويلة. وهذه الدعوة التى وجهت ليشوع لاتخاذ مركز القيادة فى اسرائيل كانت جزاء خدمته الأمينة السابقة مدى أكثر من ثمانين عاماً.

ليس من الميسور لأحدنا أن يتنبأ عن القصد الذى يرمى اليه الله من تهذيبنا. كثيراً ما نتذمر من أعبائنا اليومية فى حياتنا العادية، غير عالمين أن هذه هى الطريقة الوحيدة لأعدادنا للدعوة العليا والمركز الخطير الذى ينتظرنا. يجب أن نتضع قبل أن نرتفع. يجب أن نتألم أن أردنا أن نملك. يجب أن نسلك طريق النور. يجب أن نحتمل الام الصقل اذا أردنا أن نكون سهاما ميرية فى كنانة عمانوئيل (اش ٤٩ : ٢) . ان ارادة الله تأتيك وتأتينى فى الظروف اليومية العادية، فى صغائر الامور كما فى كبارها. فواجه هذه الأمور وتلك الظروف بشجاعة، كن دواما على أفضل ما تكون، ولو كانت الفرصة المقدمة لك من اتفه ما تتصور، أجعل أبسط مهمة أنبل ما تكون عن طريق كيفية تأديتك اياها. وعندئذ تأتيك الدعوة كما أتت يشوع بن نون خادم موسى.

(٢) دعوة صريحة:

"قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب الى الأرض التى أنا معطيها لهم......... تشدد وتشجع لأنك أنت تقسم لهذا الشعب

الأرض التى حلفت لابائهم أن أعطيهم" حينما يعلم المرء أنه دعى لعمل معين فإنه يزداد قوة. هو لا يجهل ضعفاته، سواء الجسمانية أو الذهنية، وهو يدرك ما يواجهه من صعوبات، وهو يستطيع أن يتبين بسرعة ما قد يقوم فى طريقه من أحجار كبيرة أو متاريس حديدية أو أسوار منيعة أو أنهار تعج مياهها، وهو ليس فى مأمن من سهام النقد والتجريح ـ ولكنه فى هذه جميعها يتطلع بثبات الى مقاصد الله، ويسلم نفسه ليكون اداة اتمامها.

كانت مهمة يشوع شاقة جداً. فقد كانت شعوب كنعان خبيرة بأحدث الفنون والعلوم التى تلقونها عن طريق التجارة مع الفينيقيين شمالاً والمصريين جنوباً. دلتنا الاكتشافات الهامة الأخيرة أن الحثيين كانوا شعباً عظيماً، مثقفين ثقافة عالية، ولهم من الكفاية ما يجعلهم ينافسون مصر وأشور. كان من غير المعقول أن يخطر بالبال أن أمة حديثة العهد فى الوجود تستأصل بتلك السرعة شعوباً وطدت أقدامها فى البلاد، على أتم الاستعداد للدفاع عن كل شبر منها بأحدث الأساليب الحربية. تحدثنا التقاليد اليهودية أن يشوع اذ فزع من خطورة المهمة مزق ثيابه. وسقط على وجهه، وبكى لشعوره بعجزه التام، ولكن موسى أقامه، وطيب قلبه بأن أكد له أن الله سبق أن رأى كل شيء وأعد العدة من قبل ـ وسواء صحت هذه التقاليد أو لم تصح فإنه واضح على الأقل أن تأكيد الله المتكرر له بأنه سوف يدخل شعبه اسرائيل أرض كنعان على يدى يشوع لابد أنه كان مصدر قوة عظيمة له.

إن السؤال الجوهرى الذى ينبغى أن يوجهه كل منا لنفسه اذا ما دعى لعمل جديد هو أن يتساءل عما اذا كان الله هو الذى دعاه اليه، لا أن يتساءل ان كانت لديه المؤهلات الكافية له. ومتى تحقق من أن الله هو الذى دعاه فلا مبرر مطلقاً للخوف والانزعاج. أن كان ضمن مقاصده أن نعبر نهراً، أو نهجم على مدينة مسورة، أو نقتحم جيشاً، فليس علينا الا مجرد التقدم الى الأمام. فإنه يستطيع أن يجعل الجبال طريقاً. والأنهار تجف، والأسوار تسقط والجيوش تتبدد. حينما يقول الله "قم أعبر هذا الأردن" فلن يستحيل عليه شيء.

(٣) الشعور برفقة الله :

"كما كنت مع موسى أكون معك. لا أهملك ولا أتركك" هنالك ناحية واحدة كان ينقص فيها يشوع عن سلفه العظيم. لقد كان كلاهما فى صلة دائمة مع الله، ولكن يشوع كان عليه أن يطلب مشورة الله عن طريق الكاهن الأعظم، بينما كان موسى يتحدث اليه مباشرة متكلماً معه "وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه" (خر ٣٣ : ١١) . على أن يشوع بن نون كان واثقاً هو أيضاً ـ على قدم المساواة مع ثقة موسى ـ من رفقة القدير شخصياً له، ولو حرم من الرؤية المباشرة.

سمعنا عن قواد كان مجرد وجودهم فى ساحة الحرب أكبر ضمان للنصرة. ليس فقط لأنهم بعثوا فى جنودهم الشعور بالثقة فى قيادتهم، بل لأنهم بعثوا فيهم روح الشجاعة بما قدموه لهم من قدوة شخصية فى

الجرأة والاقدام والشجاعة. حيثما يكون القائد الذى لم يرهب أى عدو قط مرافقا لجنوده تمتلىء نفوسهم طمأنينة وصدورهم شجاعة واقداما. والنفس الوحيدة الضعيفة تستطيع أن تخطو بشجاعة من العالم المنظور الى غير المنظور، وتعبر نهر الموت غير وجلة لأنها تستطيع أن تتغنى "اذا سرت فى وادى ظل الموت لا أخاف شراً لأنك أنت معى. عصاك وعكازك هما يعزياننى.

وفى كل المواقع الحربية العنيفة التالية لم تهن شجاعة يشوع قط طالما كان صدى ذلك الصوت "أكون معك" يرن فى أذنيه بموسيقاه الشجية. كم هو جميل أن نتشجع هكذا بالله. قد تحمى النيران سبعة أضعاف، ولكنه أن كان معى فلن تصل رائحة النيران الى جسدى. قد يكون النهر عميقاً، ولكنه أن كان معى فلن تبتل قدماى. قد يكون أعدائى كثيرين ويبغضوننى بغضا تاماً قاسيا، ولكنه طالما كان معى فكل آلة صورت ضدى لا تنجح، وكل لسان يقوم علىّ فى القضاء يدينه. من ذا الذى يضعف قلبه وتخور عزيمته طالما كان القدير رافعا الينا يمينه قائلاً "لا تخف لأنى معك"؟ أن الرب يسوع المسيح حى الى الأبد ليخلص الى التمام، وهو معنا كل الأيام والى أنقضاء الدهر.

(٤) امتلاء القلب بكلمة الله:

"لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك بل تلهج فيه نهاراً وليلاً" ان الكلمات تنقل الى البشر الأفكار العظيمة التى ملأت نفوس أولئك

الذين نطقوا بها أولاً. هنالك كلمات لا يمكن النطق بها دون أن تبعث فى الأنسان روح البطولة والجرأة والاقدام، وتفعل فى نفسه بتأثيرها السحرى فعل الموسيقى الشجية والمرأة تجد فى نفسها قدرة الانتظار واحتمال السنوات الطويل بقوة كلمة نطق بها حبيبها اذ غادرها. والجيش يندفع الى الأمام بقوة كلمات قائده المثيرة غير عابىء بما ينتظره من أهوال. ألم يكن هذا ما قصده النبى حين قال "وجد كلامك فأكلته فكان كلامك لى للفرح ولبهجة قلبى" وما قصده المسيح حين قال الكلام الذى أكلمكم به هو روح وحيوة"؟

ينبغى أن نطيل التأمل فى كلمة الله لأنه عن طريقها يأتى روح الله بملئه ليحل فى انساننا الداخل. هذا هو سر القوة: أن تكون ملكا لابن الله القوى، متقوين بشدة قوته، ممتلئين بروحه.

حينما يكون المسيح فينا بقوة فأننا نستطيع كل شىء. ويتوقف مقدار هذه القوة على ايماننا وطاقتنا، أو بعبارة أخرى، على مقدار خضوعنا لحلوله فى قلوبنا. فالأطفال الصغار يستطيعون الانتصار متى كان فى داخلهم من هو أقوى من أعدائهم. والضعفاء يستطيعون اتمام أجل الأعمال متى كانوا مسلمين بالتمام فى يدى القوى الجبار كآلات يستخدمها فى اتمام مقاصده. أن المحتقرين، وغير الموجودين، والقصبة المرضوضة، ولحى الحمار، والسهام التى يلعب بها الطفل، تستطيع أن تأتى بالعجائب لأنها هى الأوانى التى تفيض منها قوة الله الى العالم.

أن الرب يسوع المسيح المقام من بين الأموات فى يديه كل قوة. هى مكتنزة فيه لنا. وكما أن قوة المخ تصل لأعضاء الجسم بالقوة الحيوية التى تجرى فى الاعصاب كذلك تصل قوة المسيح الينا نحن أعضاءه بالروح القدس. ان أردنا أن يكون لنا ملء الروح القدس فلنطلبه، لا فى الاجتماعات الانتعاشية فحسب بل أيضاً فى كلمة الله المكتنزة فيها قوته. الهج فيها نهارا وليلا حتى تأتيك بالقوة والشدة والشجاعة المستمدة من طبيعة الفادى المجيد. لقد أمرك الله بأن تتشدد، فاطلب الشدة من يسوع بالايمان، بواسطة روحه وفى كلمته.

تقو فى ضعفك بشدة قوة المسيح، تعالى بضعفك ووهنك، وعزيمتك الخائرة، وصعوباتك الى حضرته، وعندئذ تذوب كلها كما يذوب الشمع أمام النار. سلم نفسك له تماما، وارتض بأن تعيش أو تموت كما يريد. ثم ادهن رأسك واغسل وجهك. وعندئذ تأخذ ميراثك فى تمنة حارس (نصيب من الشمس)، وتفلح فى طريقك وتنجح، وتقود شعبا يرث أرض الموعد.

الفصل الثالث

توقف ثلاثة أيام

يشوع ١ : ١١ (١، ص ٢)

تختلف طريقة الله عن طريقة البشر فإنه يتأنى يوما بعد يوم وعاما بعد عام وليس هنالك أى مبرر لكى يتعجل. (مايرز)

كانت كل أرض كنعان ملكا لاسرائيل بفضل الوعد الذى به وهبهم اياها. فانه حالما اعتزل لوط عن ابراهيم مفضلا سهول الأردن وأقام خيمته مقابل سدوم اقترب الرب من عبده الأمين وأكد له بأن نخوته وشهامته وعزة نفسه سوف لا تكون سببا فى أية خسارة له، وصار اليه الصوت الالهى قائلا "قم امش فى الأرض طولها وعرضها لأنى **لك أعطيها**". وحدث بعد ذلك أنه حين باركه ملكى صادق ــ وانتظر مع الله ساعات طويلة فى الظلمة العظيمة المرعبة "قطع الرب معه ميثاقا قائلاً لنسلك **اعطى (٢) هذه الأرض** من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات".

---

(١) جوزوا فى وسط المحلة وأمروا الشعب قائلين. هيئوا لأنفسكم زاد لأنكم بعد ثلاثة أيام تعبرون الأردن هذا لكى تدخلوا فتمتلكوا الأرض التى يعطيكم الرب الهكم لتمتلكوها.

(٢) "أعطيت" حسب بعض الترجمات

ولكن رغم كل ذلك فقد كان يجب المطالبة بكل شبر من الأرض من الشعوب التى امتلكتها. يجب أن تطأها بطون أقدامهم للمطالبة بها وامتلاكها. كانت المدن ملكا لهم، ولكن كان يجب عليهم دخولها. والبيوت التى لم يبنوها كانت ملكا لهم، ولكن كان يجب أن يسكنوها. وحقول الحنطة فى الأودية الخصبة، والكروم على منحدرات الجبال كانت ملكا لهم، ولكن كان يجب عليهم وضع أيديهم عليها. ليس من العسير علينا تحقيق هذه الأمور. لأننا روحيا نقف نفس هذا الموقف تماما. فالله أبونا باركنا بكل بركة روحية فى المسيح يسوع، ولكنها لا تنتقل الينا للتمتع بها حتى نطالب بها ونقتبلها بالايمان الحى. أنها لا تصبح ملكا لنا الا حين ننتفع بها. من ثم كانت الحاجة الى أن نتشدد ونتشجع.

والآن يحدث توقف جديد غير منتظر. فقد صدر الأمر بالانتظار ثلاثة أيام. فقد أخبر القواد الشعب بأنه يجب أن تمر ثلاثة أيام قبل أن يدخلوا ليمتلكوا الأرض التى يعطيهم الرب الههم ليمتلكوها.

(١) ماذا كان يعنى هذا التوقف:

"ثلاثة أيام" هذه فترة معروفة فى الكتاب المقدس بين الموت والقيامة "كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال" "فى اليوم الثالث يقيمنا فنحيا أمامه" (هو ٦ : ٢) لذلك كان من اللائق أن تمر هذه الفترة قبل أن يعبر الشعب نهر الأردن (الذى يرمز للموت) الى أرض القيامة.

على أنه كان هنالك معنى أعمق لهذا التوقف، وهو ما يمس أعمق مبادىء الحياة الداخلية، فانه حينما وصل اسرائيل الى نهر الاردن كان في وقت الفيضان وكان يغمر بمياهه كل الأراضى المنخفضة التى على جانبيه. كان النهر فى "كبريائه" وقد استخدم هذا الاصطلاح فيما بعد للتعبير عن المتاعب الجارفة (ار ١٢: ٥، ٤٩: ١٩، ٥٠: ٤٤). كانت الجموع الحاشدة ترى أمامها المياه الجارفة تزداد كبرياء بالثلوج الذائبة المتدفقة اليها من جبل حرمون، حاملة جذوع الأشجار المنتزعة من جانبى النهر فى انحداره الشديد. وبسبب شدة انحدار المياه من أعالى النهر الى منخفض البحر الميت أطلق عليه لقب "المنحدر". وقد كان هذا اللقب جديراً به فى ذلك الوقت الذى رآه فيه اسرائيل لأول مرة.

كانت تقوم أريحا عبر النهر بنخيلها وأشجارها الباسقة، جنة يانعة، يعطر أريج زهورها الجو من بعيد على أن الشعب حين رأوها تبددت كل آمالهم فى امتلاكها بقوتهم أو شجاعتهم. ماذا يستطيعون أن يفعلوا ازاء هذا النهر المتسع بمياهه الجارفة؟ حينما نقلب صفحات الكتاب المقدس نجد أسم نهر الأردن مقروناً بالموت دواما. والواقع أن هذا ما يتميز به. لا موت الجسد. بل معمودية الموت التى تتضمن توقفاً فى نواحى نشاط الطبيعة ودخولا الى الحياة الاسمى بالايمان. هكذا عمد يوحنا المعمدان هنالك فى نهر الأردن، وهنالك نسبت للرب يسوع ـ للمرة الأولى ـ خطايا البشرية التى تحملها. ولكن فى كل تاريخ الأردن لم نره ينطق

بحكم الموت بشكل أفعل مما حدث فى ذلك اليوم حين علم الشعب بأنهم لم يغلبوا بقوتهم أو مجهودهم.

فى كل الأجيال وصلت جماهير كثيرة الى حدود نهر الأردن، وتركوا هنالك منتظرين على شاطئه، حتى يتأملوا فى معنى تلك المياه التى لا تغلب، ويحملوا حكم الموت فى أنفسهم. هنالك انتظر إبراهيم أكثر من عشرين عاما مواجها تلك الصعوبات التى لن تغلب والتى كان يبدو بازائها أنه يستحيل أن يكون له ابن. وهنالك انتظر داود ما يقرب من هذه المدة، ولابد انه بدا اليه أن تلك المملكة التى وعد بها فى شبابه تقع على الشاطىء الآخر من المستحيلات. هنالك انتظرت اختا بيت عنيا، ولابد أن الحجر العظيم الذى وضع على باب القبر حيث اضطجع لعازر كان لهما ـ كما كان الأردن لاسرائيل ـ مبددا لكل أمل.

وما أكثر القديسين الذين منذ ذلك الوقت وصلوا الى نفس هذا الشاطىء، ووقفوا ليشهدوا هذه المياه الجارفة. ان مواعيد الله تقدم لنا كل بركة وسعادة. هذا النهر. نعم هذا النهر دواما. هذا النهر الذى يعج بمياهه، المنتفخ فى كبريائه. أيها القارىء العزيز! هل أنت هنالك الآن؟ قف صامتا متأملاً حتى يتلاشى منك اعتمادك على ذاتك واعتدادك بقوتك. انك لا تستطيع الوصول الى الحياة المباركة بمجهودك الشخصى، أو بقوة عزيمتك أو بما تقطعه على نفسك من عهود ومواثيق، فإن أفضل ما فيك الآن ضعيف كما كنت فى حالتك

الأولى. يجب أن تتعلم بأن قوتك هى أن تجلس صامتاً، وأن بركات الله الغنية المذخرة فى المسيح لأجلك هى عطية مجانية تنالها حين تمد يد الايمان.

ياله من تعبير عجيب عن ايمان ابراهيم "واذ لم يكن ضعيفاً فى الايمان لم يعتبر جسده وهو قد صار مماتا ولامماتيه مستودع سارة" (رو ٤ : ١٩). ليس ميسوراً للكثيرين أن يقفوا طويلاً ازاء هذه الاعتبارات دون أن يفقدوا كل مالديهم من الايمان. على أى حال كان هنالك سر واحد هو الذى أعانه: انه "نظر الى وعد الله". ازاء كل الصعوبات التى وقعت عليها عيناه لم يتزحزح قيد شعرة. هنا فقط لا تؤذينا رؤية النهر: حينما نحول النظر عنه الى رئيس جند الرب الذى يجب أن نتمثله موجوداً معنا، والى العهد المحفوظ والمتفق فى كل شيء. عندئذ نتقوى بالايمان، ونتيقن أن ما وعد به الله هو قادر أن يتممه أيضاً.

(٢) كيف قضيت هذه الفترة:

أثناء هذه الأيام الثلاثة تمت بعض الحوادث التى نرى فيها أهمية خاصة كما نرى فيها بعض الرموز. ضمن هذه الحوادث دخول الجاسوسين الى أريحا.

١ـ تمثل أريحا بحق عالم البشر المشرفين على الهلاك، ولكنهم يسيرون فى طريقهم غير مبالين. فالسماء كانت تظلل المدينة، والشمس تشرق وتغرب، والحقول ابيضت للحصاد، والكروم نضجت، والشباب

يلهو ويمرح، وكل ما في المدينة يغتبط، ولكن في ظرف اسبوعين كانت الضربة القاضية سوف تهبط على المدينة فلا تقوم منها بعد أجيال.

كانت الأغلبية الساحقة من الشعب مصرّين على عنادهم، معتزين بنهرهم وأسوارهم. لقد كمل اثمهم. ولم يبلغ اليهم أى تبليغ، ولم يعرض عليهم أى عرض، أو ترسل اليهم سفارة. على أنه كانت هنالك نفس واحدة في وسطهم جديرة بالايمان، وكانت تمارسه فعلا. والرب الذى هذب راحاب، وأتى بها الى النقطة التى وصلت اليها كان أميناً ليكمل ما بدأه ويأتى بها الى النور الكامل الذى كان جديراً بذلك الجيل. هذه هى طريقة الله على الدوام. فإن كان فى سدوم شخص واحد بار لا يمكــن أن يهلك المدينة حتى تخرجه منها ملائكته. وان وجد بين رسله تلميذ واحد يتسرب الشك الى قلبه لا يتركه بلا تعزية بل يأتيه بعلامات أكيدة لا تقبل الريب. وحيثما وجدت راحاب تعيش حسب الحق الذى لها ــ وسط شرور كثيرة وجهل فاضح ــ وتتوق للمزيد من الحق، أخذ الله بيدها وقادها الى نفسه. انه لا يغفل حتى عن لمس هدب ثوبه، ويقف حتى يتمم الشفاء. ولا يتغافل عن نثنائيل تحت التينة، والخصى فى غربته، وكرنيليوس الذى يصلى بجانب البحر، ولو كانوا وسط قوم غير مكترثين. فهم لآلىء. وسط أكوام من الفحم، تلتقط بكل حرص واهتمام، وتصقل لكى توضع فى التاج الملكى الالهى.

في العهد الجديد نجد اشارتين عن ايمان راحاب (عب ١١ : ٣١، يع ٢ : ٢٥). لقد كان ايمانا صادقا، رغم انه لم يظهر الا في جزء من الحق. لا يتوقف الخلاص على مقدار الايمان بل على قوة تمسكه. فقد كان كل ما عرفته راحاب هو أن الله انقذ شعبه من فرعون ووعد باعطائهم تلك الأرض، وأمنت بهذا، فحسب لها برا. وقد كانت دلائل ايمانها في غاية الوضوح فإنها قد أشهرت العداء ضد روح العالم الممثل في ملك أريحا، وأرسلت الجاسوسين في طريق آخر، وأثبتت شخصيتها لاسرائيل بالحبل القرمزي، وجمعت أقربائها تحت سقفها، وكانت نافذتها تطل على اسرائيل بينما فتح بابها لايواء الكثيرين من اللاجئين، ورغم أن ايمانها لم يكن قويا للدرجة التي تكفي لانقاذها من خوف الانسان الذي أوقعها في حبائل الكذب، إلا أنها سلمت لعناية اسرائيل، وأصبحت حلقة في سلسلة نسب ابن الانسان.

ان راحاب، الفقيرة المنبوذة في أريحا، التي كان لها هذا الايمان العجيب في الله، دخلت مع شعب الله لتمتلك الأرض التي تفيض لبنا وعسلا. لهذا فهي رمز للأمم الخطاة الذين يسمح لهم بالاشتراك في غنى المسيح الذي لا يستقصى، والجلوس معه في السماويات، والاندماج في ذلك الجنس الجديد الذي يتجمع حول يشوع الحقيقي، الرب من السماء. نحن لم نكن شعبا، أما الآن فأننا شعب الله. كنا غير مرحومين، أما الآن فقد رحمنا. كنا بعيدين، أما الآن فقد صرنا قريبين بدم المسيح.

لسنا بعد غرباء ونزلاء، بل رعية من القديسين وأهل بيت الله. وكل ما علينا هو أن نقبل ميراثنا.

٢ـ كانت ليشوع أيضاً فرصة خلال مدة التوقف القصيرة هذه للتأكد من احساسات وعواطف السبطين والنصف. فتأكد أنهم كانوا على أتم الاستعداد لاتمام التعهد الذى قطعوه على أنفسهم أمامه، والارتحال مع باقى الاسباط لغزو كنعان. على أنهم فى نفس الوقت وضعوا كل قلبهم على الرجوع الى المراعى الخصبة فى جلعاد وباشان التى أعطاهم اياها موسى فى عبر الأردن الى الشرق، لأنهم كانت لهم مواشى كثيرة (عد ٣٢: ٢، ٤، ١٩، ٣٣).

ألا يمثل هؤلاء كثيرين من المسيحيين الذين تركت لهم أرض الموعد مفتوحة كما لغيرهم، ولكنهم يغزونها دون أن تكون لهم فكرة البقاء فيها؟ انهم مستعدون لملاقاة شعوب كنعان السبعة، ولكنهم غير مستعدين أن يتركوا مغريات العالم القوية ويستقروا فى الحياة المختبئة مع المسيح فى الله. ألا يوجد بيننا من قضى سبع سنوات فى أرض الموعد، وصارت لهم اختبارات مقدسة فى البركة والراحة والقوة، ولكنهم تراجعوا الى الوراء بفعل جاذبية العالم؟

ونهاية هؤلاء واضحة كل الوضوح من نهاية تلك الأسباط التى استقرت نحو الشرق. صحيح أنهم كانت لهم المراعى الكثيرة. ولكنهم استؤصلوا تدريجياً من حياة اسرائيل. فإننا لا نجد بين أسماء القديسين والأبطال الذين تلألأوا كالنجوم فى سماء اسرائيل الا القليلين جداً

منهم. ثم انهم تعرضوا أولاً لغزوات أشور، ثم اكتسحوا فى السبى الذى لم يعودوا منه.

ليت الرب يخلصنا من نصيب كهذا، وليكن نصيبنا بالأحرى أن نستخدم فى خدمة الرب للبحث عن النفوس، وأن يكشف عن بصائرنا حيثما وجدت، وان يعلمنا كيف نعاملها، وان يعيننا لنقودها الى الاندماج الكامل فى شعب الله.

(٣) كيف انتهت فترة التوقف هذه :

فى اليوم الثالث يبدو أن الجماعة ازدادت اقترابا من شاطىء النهر، وأقامت خيامها للمبيت على مقربة من المياه الجارفة. وعندئذ "قال يشوع للشعب تقدسوا لأن الرب يعمل غداً فى وسطكم عجائب". ومن هذا يتضح أن قوة الله لصنع العجائب تتوقف على قداسة شعبه. واذا رددنا هذا السوال القديم "لماذا تكون كجبار لا يستطيع أن يخلص" (ار ١٤ : ٩) تلقينا هذه الاجابة التى تدل على أن العيب فينا. "ولم يصنع هنالك قوات كثيرة لعدم ايمانهم" (مت ١٣ : ٥٨).

كلنا نحتاج أن يصنع الله عجائب ـ فى أخلاقنا لكى يتبدل الشوك بالسرو والقريس بالآس، وفى بيوتنا لكى تتحول القفار جنات، وفى كنائسنا لكى تستيقظ وتلبس ثياب جمالها. ليت الرب يهبنا يوما خمسينيا آخر، وينعم علينا بنهضة روحية حقيقية واسعة الأرجاء. ليت العلى يشمر عن ذراعه. ليتنا نرى الرب يضم كل يوم الى الكنيسة الذين يخلصون. ولماذا كلّت عيوننا من انتظار كل هذا عبثا؟ أليس لأننا لم نتقدس؟ أن القداسة تعنى تنظيف النفس ولبس ثوب الطهارة والتواضع

الأبيض. أننا لسنا نظيفين الى الدرجة التى يمكن فيها أن يستخدمنا الله. ولسنا متواضعين للدرجة التى تحرز نجاحا عظيما. ويقيننا أن اله السلام وحده هو الذى يستطيع أن يقدسنا الى التمام. القداسة فى ناحيتها الايجابية تعنى حلول ملء الله فى القلب، وفى ناحيتها السلبية تعنى نبذ الخطية المعروفة، أو تعنى الرغبة فى أن يطهرنا منها بالدم أو الماء. أو النار.

هل هذه هى حالتنا؟ هل طرحنا عنا أثقالنا وخطايانا؟ هل تطهرنا من كل دنس الجسد والروح؟ هل نستطيع أن نقول مع الرسول أننا لا ندين أنفسنا فيما نستحسنه؟ أن لم يكن هذا هو الحال معنا فينبغى أن لا نشكو فيما بعد من أن أيام العجائب قد أنتهت. فنحن المسئولون عن فقدها كفقد السلام من المجرمين، والطهارة من الساقطين، ولا غرابة أن كنا نفزع من الغد دواما. فالغد فى حضرة الله مظلم ومرعب بدون عجائب ذراعه المقتدرة.

أما ان كان كل واحد منا يتقدس، يخلع الانسان العتيق مع أعماله ويلبس الجديد، يتجدد كل يوم حسب صورة المسيح، يترك كل شر مبغضا حتى الثوب المدنس من الجسد، ويسلم نفسه لسيف رئيس الكهنة الأعظم ذى الحدين ـ فإننا نجد أن العجائب تبتدىء ولا تنتهى، وان الغد يكشف عن أمور أعظم وأجل من الأمس، وان الأردن ينشق وأسوار أريحا تسقط. وعندئذ تفتح فى وجهنا أرض الموعد بخيراتها التى لا تنضب، بزيتها وخمرها، بقمحها وعسلها ، بمخازنها التى لا تقدر قيمتها.

الفصل الرابع
عبور الأردن
يشوع ٣ : ١٠ (١)

الله القادر على كل شيء بجانبكم. والحكمة
تظللكم. وهو بنفسه يتولى قيادتكم. لذا فليس
عليكم الا أن تتبعوه حيث يرشدكم. فكم من
أشخاص استرشدوا به. فوصلوا الى أوطانهم.
اذن فالى الامام، الى الامام (ليهر)

كثيراً ما التقينا فى رواية الكتاب المقدس عن الخروج بهذه الكلمات "اطرد". فقد وعد الله شعبه، على لسان عبده، اثنتى عشرة مرة على الأقل، بأن يطرد شعوب كنعان أمامهم.

كان يجب أن يتم هذا بعض الأحيان بارسال ملاك، وفى أحيان أخرى بارسال وسائل أخرى مزعجة. لأنه رغم أن أعمال الله العادلة جميلة ومحبوبة من أبنائه الا أنها مرعبة لاعدائه. كان كل ما هو مطلوب من اسرائيل أن يسيروا باستقامة فى أرض الموعد فيجدوا أن الملوك ولو هاربين والجيوش ارتدوا خاسرين.

هنالك عدة أسباب تبين لماذا كان يجب أن يطرد الله الشعوب السبعة

(١) ثم قال يشوع بهذا تعلمون ان الله الحى فى وسطكم وطردا يطرد من أمامكم الكنعانيين والحثيين والحويين والفرزيين والجرجاشيين والأموريين واليبوسيين.

التى سكنت كنعان. وأهم هذه الأسباب ذلك الذى نتبينه من الحديث الرائع الذى دار بين الرب وابراهيم، أب الجنس المختار، قبل ذلك بأربعة أجيال، ألا وهو أن ذنب الأموريين الان قد كمل (تك ١٥ : ١٦).

أما أولاً فإن شعوب كنعان قد سلموا أنفسهم لأحط أنواع الرذيلة. بعد أن ذكر موسى بعض الرجاسات التى لا يليق ذكرها بين شعب الله المختار تحدث اليهم، نيابة عن الله، قائلاً "بكل هذه لا تتنجسوا لأنه بكل هذه قد تنجس الشعوب الذين أنا طاردهم من أمامكم. فتنجست الأرض فاجتزى ذنبها منها فتقذف الأرض سكانها" (لا ١٨ : ٢٤، ٢٥). فهلاك الشعب بسيف اسرائيل لم يكن الا تعجيل النتائج الطبيعية لرذائلهم القبيحة. والاسباب التى استلزمت طوفان المياه استلزمت هذا الطوفان من الدماء. واذ كانت كنعان بؤرة فساد فلم يكن ممكناً الا أن تنفث سمومها فى كل العالم لو لم تجز وسط النيران المتأججة.

أما ثانياً فإن الكنعانيين انحدروا الى هوة الاعتقاد بمخاطبة الأرواح Spiritualism واتصلوا بشياطين الهواء، الأمر الذى كان محرماً تحريماً باتا. قبيل دخول اسرائيل أرض كنعان قال لهم موسى "لا يوجد فيك من يعرف عرافة ولا عائق ولا متفائل ولا ساحر ولا من يرقى رقية ولا من يسأل جانا أو تابعه ولا من يستشير الموتى. لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب. وبسبب هذه الأرجاس الرب الهك طاردهم من أمامك" (تث ١٨ : ١٠ - ١٣). وهذه الأرجاس تتضمن التنويم المغناطيسى، استخدام الأرواح الشريرة لطلب المعونة أو الأرشاد، التسلط

الشيطانى على أجساد الوسطاء، واستدعاء أرواح المنتقلين. قال بمبر pember : "كل هذه الأمور تعتبر تعديا لحدود الانسانية التى وضعها الخالق. وهذه الفوضى غير الشرعية تجر فى أثرها قصاصها المباشر، علاوة على الدينونة العتيدة. لأن جسدنا قصد به أن يكون حصنا ليقينا شر الشياطين" اذن فعندما يحطم الانسان هذا السياج المنيع فإنه يفتح ثغره للاتصال بالأرواح الساقطة المحيطة، ويعرض نفسه لغضب الله الشديد. فلنبذل قصارى جهدنا لصد هذا التيار الخطر اكراما لخاطر البشرية.

وهذه الفكرة الأخيرة تعطى مظهراً جديدا لهذا الصراع. فإن الله بطرده واهلاكه لهذه الشعوب التى انحط مستواها كان فى الواقع يشهر الحرب ضد الأرواح الشريرة التى كانت من كرسيها فى السماويات تسود ظلمة تلك الأرض. لم يكن ذلك الصراع مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع أجناد الشر الروحية فى السماويات. وتلك الجيوش القوية المصطفة ضد اسرائيل تشتت كعاصفة تذريها الريح، لأن الشياطين التى كانوا يعبدونها طردت أمام جند الرب الذين ظهر رئيسهم فى الحال ليشوع. فى ذلك الوقت ظهر لرقباء السماء أن الشيطان ساقط مثل البرق من السماء... وهكذا نجد فى هذا السفر القديم لذة جديدة. فإنه ليس مجرد رواية عن غزو أرض كنعان، بل هو قطعة من أخبار السماء تبين لنا طرفا من الصراع الأبدى بين النور والظلمة، بين السماء وجهنم، بين ابن الله وعدوه الأعظم – الشيطان. ازاء هذه الحقيقة نجد وجها جديداً للشبه بين سفر يشوع ورسالة أفسس.

وقد تحنن الله برحمته وأعطى علامة للنتيجة النهائية لتلك الحرب، لكى يطمئن شعب اسرائيل لهذه النتيجة النهائية طول مدة سبع سنوات الحرب القادمة. "بهذا تعلمون أن الله الحى فى وسطكم وطردا يطرد من أمامكم الكنعانيين والحثيين والحويين والفرزيين والجرجاشيين والأموريين واليبوسيين. هوذا تابوت عهد سيد كل الأرض عابراً أمامكم فى الأرض" كان عبور مياه نهر الأردن العجاجة هو العلامة المعينة من السماء، كما كان اجتياز الرب للموت وقيامته وصعوده الضمانات والعلامات على أنه سوف يبطل كل رياسة وكل سلطان وكل قوة، ويبدد أعمال الشيطان. ويسلم الملك لله الأب.

(١) عبور الأردن:

بعد نهاية أيام الاستعداد الثلاثة يبدو أن الجماعة تحركت من شطيم بغاباتها الى مكان يبعد نحو ميل عن المياه المندفعة. هنالك قضى اسرائيل اخر ليلة فى الارتحال والتيه فى البرية. وعند شق الفجر جاز القواد وسط المحلة، وأمروا الشعب بمراقبة تحرك التابوت واتباعه. ولم يعطوا سوى فترة وجيزة لحل خيامهم وحزم أمتعتهم وحمل أثقالهم. من ثم وقفوا كجيش أوحد قوى، نحو مليونين ونصف من الأشداء مستعدين للسير فى الطريق الذى لم يكن لهم عهد به، ولو أدى بهم الى وادى ظل الموت. أشرقت الشمس خلفهم، وسطعت أشعتها على مياه الاردن الممتد نحو ميل عرضا، والجاثم فاصلا منيعاً عن مدينة أريحا، بينما كانت جبال كنعان المجاورة يغطيها ضباب الصباح.

وأخيراً برزت جماعة قليلة من هذا الجمع الحاشد. كان هؤلاء هم جماعة الكهنة المختارين، متشحين بملابسهم البيضاء، حفاة الأقدام. ثم اقتربوا من المياه ببطء، حاملين على أكتافهم التابوت المقدس، وقد أسدل على غطائه الذهبى وعلى الكروبيم ستارة الاسمانجونى. ياله من صمت رهيب. ياللانظار التى حدقت فى كل خطوة من خطواتهم. كيف أخرست أصوات المدعين والمخالفين التى ارتفعت فى كل الأيام السالفة معلنة بأن العبور مستحيل، وأنه من الحكمة الانتظار حتى يتضاءل اتساع النهر الحالى الذى يبلغ نحو ميل، ويعود الى عرضه الطبيعى الذى لا يتجاوز ٣٠ متراً ويصير عمقه أربعة أو ستة أقدام، وعندئذ يمكن خوضه بالأقدام.

ازدادت الجماعة القليلة اقتراباً. ولكن حتى بعد أن لم يبق بينهم وبين حافة النهر سوى متر واحد لم يحدث اقترابهم أى أثر. لم تظهر المياه أى علامة للانشقاق. ولكن حالما لمست أقدام الكهنة المياه حدث تغيير عجيب. فإنها بدأت تنشق وتتقلص. تابع الكهنة مسيرهم، ونزلوا الى وسط الأردن، فولت المياه هاربة من أمامهم. ماذا أصابك أيها الأردن حتى وليت هارباً؟ لا يمكن أن يكون هنالك أى سبب لهذه المعجزة العجيبة سوى وجود اله يعقوب، وعبور تابوت عهد رب كل الأرض لتلك الأعماق.

وقف تدفق المياه فجأة عند نقطة بعيدة من النهر تبعد نحو ثلاثين ميلا، عند "أرام المدينة التى الى جانب حرثان"، ولم يعد فى استطاعتها

أن تتقدم الى الأمام، بل تجمعت معا. ولعلها كونت بحيرة امتدت الى مسافة كبيرة. من تلك النقطة فنازلا لم تعد تتدفق المياه من فوق، أما ما كان فيها من مياه فقد أسرع للانحدار فى البحر الميت، أو فى بحر الموت، وابتلع فيه ابتلاعا "انقطعت المياه تماما، واذ لم تتدفق منها شيء جديد جف قاع النهر مسافة عدة أميال، " وأسرع الشعب فعبروا".

لاحظ كيف كانت المعجزة شاملة للجميع. لم يختص بها الأقوياء، بل أيضاً الضعفاء. ليس الرجال فقط، بل النساء أيضاً والأطفال. ليس الأمناء والمخلصون فقط، بل أيضاً الخائفون والمتذمرون والمرتابون وغير المؤمنين. عخان الذى كان قلبه يفكر فى ارتكاب الشر، وكالب البطل العظيم، الذى اتبع الرب تماما. لم يفلت أحد. وقفت أقدام الكهنة راسخة حتى عبر النهر كل فرد من جماعة المفديين. هذا رمز جميل لصد تيار أقوى وأفزع حتى يدخل كل فرد بلا استثناء من جماعة المؤمنين تلك المدينة التى أسوارها خلاص وأبوابها تسبيح.

وهذه كانت العلامة الموعود بها. لأن الذى يستطيع طرد المياه يستطيع طرد أعدائهم. واذ أتى بهم الى هذه الدرجة يستطيع أن يكمل ما بدأه. لا يستطيع أحد من بنى الملكوت أن يضع يده على المحراث وينظر الى الوراء. فكم بالأحرى الملك نفسه.

(٢) ماذا يرمز اليه هذا العبور:

لقد ظهر ابن الله لكى ينقض أعمال ابليس. واستئصال ابليس من

المكان الذى اغتصبه أكيد كاستئصال الكنعانيين من أرض الموعد. هلاكه أكيد. يجب زن يطرح خارجاً. وعمانوئيلنا لن يهدأ ولن يسكت حتى يطرح عدونا الأعظم وكل جنوده من السماويات الى الأرض، ومن الأرض الى الهاوية، ثم الى بحيرة النار. »وهذه هى العلامة أنه غمس قدمه فى الموت، وبموته أبطل الموت. ولى الموت هارباً أمامه كما فعل الأردن أمام الكهنة، وكل الذين يعيشون له ويؤمنون به فإنهم ولو بقى شبه الموت أمامهم الا أنه يكون كقاع النهر الذى جفت منه المياه ليمشى عليه المفديون.

يجهل الكثيرون من المسيحيين هذه الحقيقة المجيدة. فإنهم يظنون أن الموت سوف يكون لهم كما كان وكما يكون مع ربوات الذين يموتون بعيداً عن المسيح. ولكن يقينا أن هذا الخطأ فاضح. فإنه عندما مات المسيح غير وضع الموت تغييراً كليا لكل الذين يؤمنون. "لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى ابليس ويعتق أولئك الذين خوفا من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية" (عب ٢ : ١٤، ١٥).

فى ضوء هذه الحقائق كم من أشعة نورانية تسطع على الكثير من هذه العبارات.

«ولكن يكون بينكم وبينه (بين التابوت) مسافة». نعم أن الرب يسوع المسيح تقدم كنيسته. انه جاز القبر أولاً بقوة القيامة. "كل واحد فى رتبته. المسيح باكورة ثم الذين للمسيح فى مجيئه". فى كل شىء وبالتالى فى هذا أيضاً، يجب أن تكون له الأسبقية، متى أخرج خرافه

الخاصة يذهب أمامها والخراف تتبعه". "قد صعد الفاتك أمامهم. يقتحمون ويعبرون من الباب ويخرجون منه ويجتاز ملكهم أمامهم والرب في رأسهم" (مى ٢ : ١٣).

فقال الرب ليشوع اليوم ابتدىء أعظمك. استمع الى ما قيل عن المسيح "واذ وجد في الهيئة كانسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب. لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسما فوق كل اسم.". "واله السلام الذى أقام من الأموات راعى الخراف العظيم ربنا يسوع بدم العهد الأبدى".

«فوقف الكهنة حاملو تابوت عهد الرب على اليابسة راسخين حتى انتهى جميع الشعب من عبور الاردن» . هكذا يفعل لنا المسيح حتى تخلص كنيسة الله. قد تتجمع مياه الدينونة حول كل من ينتسبون لآدم الأول، ولكنها لن تطبق عليهم حتى يدخل كل من أراد ـ مهما كان ضعيفاً ـ الى حياة الراحة المباركة. قد تكون صغيراً، أو كسيحا، أو خائفاً. ولكنك أن كنت تلقى بنفسك بين المفديين فإن الكاهن الأعظم يطيل اناته وينتظر، ويجعل المياه تنتظرك.

"وأسرع الشعب فعبروا" ص ٤ : ١٠ لم يكن اسراعهم خشية أن تطبق عليهم المياه، بل لكى لا يزيدوا تعب الكهنة المنتظرين، الواقفين وهم يئنون تحت ثقل العبء النفيس الذى يحملونه على أكتافهم، ألم يكن المسيح طويل الأناة فى انتظاره هذه الأجيال الطويلة الماضية؟ انه

يتوق بأن يأخذ عروسه، أن يحصد نتيجة الدموع، أن يرى من تعب نفسه. فلنعجل مجيء يوم الله بتعلم جميع دروسه المقدسة، واتمام ارادته الصالحة، والتعجيل فى اخراج أمثال لوط المتباطئين عند أبواب سدوم اذن فهنا العلامة المباركة لغلبة ابن الله النهائية. وكل مسيحى يعبر أرض الموعد والراحة والغلبة. ويبدأ بأن يحيا حياة القيامة المجيدة، ويعرف مصدر القوة الحقيقية، هو علامة جديدة على أن تلك الأغنية العذبة سوف تنشد سريعاً ويرن صداه فى كل العوالم "قد صارت ممالك العالم لربنا ومسيحه فسيملك الى أبد الآبدين"

(٣) تطبيق هذا العبور على الحياة المسيحية:

١ـ سبق أن تأملنا فى تأثير موت المسيح على الموت. لقد "وضع للناس أن يموتوا مرة "وان كنا قد متنا فيه فسوف نجد أن الموت قد انتزعت منه كل أهواله. وظلمة الوادى ليست الا مجرد ظلال. ولكن ليس هذا كل ما فى الأمر. فاننا بفضل اتحادنا به قد عبرنا الموت الى أرض القيامة، وصرنا أبناء القيامة. على هذا الأساس بنى الرسل الكثير من حججهم ونظرياتهم. "نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها "أنتم أيضاً قد متم للناموس بجسد المسيح لكى تصيروا لآخر للذى أقيم من الأموات". "فاذ قد تألم بالجسد لأجلنا بالجسد تسلحوا أنتم أيضاً بهذه النية. فإن من تألم بالجسد كف عن الخطية لكى لا يعيش أيضاً الزمان الباقى فى الجسم لشهوات الناس بل لارادة الله".

٢ـ بهذه الحقيقة نستطيع أن نتغلب على كل مغريات العالم. فإننا قد عبرناه مع ربنا العزيز. قد تركناه وراء ظهورنا فى الشاطىء الآخر من قبره. لا يمكن أن نحب العالم الذى صلب الرب وصلبنا معه. لقد متنا وحياتنا مستترة مع المسيح فى الله. لقد قمنا ولذا فإننا نطلب ما هو فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله. لقد أصبحنا سكان أورشليم الجديدة. وأن كنا لا نزال نتحرك وسط مشاغل العالم فإننا فى ثياب الغرباء والنزلاء. نحن من أهل الشاطىء الآخر من النهر، نتحدث بلغة كنعان السماوية ونلبس ثيابها، لغتها المحبوبة، وثيابها الثوب الأبيض الطاهر النقى المغسول بدم الخروف.

صحيح أن نهر الاردن يعج بمياهه دواما بيننا وبين كنعان. قد يسمح لنا بأن نلمح الاختبارات الروحية التى ليست فى مقدورنا فقط بل هى مخصصة لنا. قد نرى وجهها يضىء بنور سماوى. أو نسمع اختباراً، أو نقرأ فصلاً فى كتاب أو نسمع آيه أو عظة وهذه جميعها تعلن لنا شيئاً منيراً أمام أعيننا كما بدت أريحا منيرة أمام تلك الجماعة المنهكة القوى. ولكننا نجد أن بيننا وبينها نهر الأردن. ويبدو أن مياهه العجاجة حاجز منيع لا يمكن تخطيه.

ليس هنالك أقل رجاء فى امكان تخطى هذه الحواجز بقدرتنا الشخصية أو حكمتنا، كما أنه لا يوجد أقل رجاء فى صد النهر فى فيضانه أو تهدئة المحيط فى ثورته. قد نجد نهر الأردن فى مقاومة ذلك الغريب، أو بغض هذا الصديق، أو قوة تلك الشهوة، أو عنف تلك العادة

الجامحة، أو سوء الظروف المحيطة. كم تكون الحياة سهلة (فى عرفنا) لو أن هذه لم تكن. كثيراً ما نطلب كنعان بدون الأردن. ولكن الله يسمح بالاردن لكى يهذب ايماننا. لا تنظر الى المياه الجارفة، بل الى الكاهن الأعظم، الذى هو أيضاً تابوت العهد. هو لن يرسلنا فى طريق لا يكون مستعداً أن يسير فيه أمامنا. هو ذا تابوت عهد سيد كل الأرض عابر أمامكم فى الأردن".

"لاحظوا رسول اعترافنا ورئيس كهنته المسيح يسوع". عيشوا فى شركة حية معه. حولوا النظر عن كل شيء وركزوه فيه. اتبعوه. قد يبدو كأنه يقودك الى الهلاك، ولكن هذا لن يحصل قط. حينما تأتى الى العقبة الكأداء التى كنت تفرغ منها، مهما كانت، فإنك سوف تجد أن زئيرها قد صمت، ومياهها انشقت، وحدتها تلاشت. وتجد أن الأبواب الحديدية قد انفتحت، والحجر قد دحرج عن فم القبر، وقاع النهر قد جف، وان أريحا فى متناول يدك "وصعد الشعب من الأردن وحلوا فى تخم أريحا".

الفصل الخامس
حجارة الجلجال
يشوع ٤ : ٥ (١)

زدنى اتكالا عليك ربى يوما فيوما. دون
الاعتماد على نفسي. واحفظنى فى الطريق
مهما كان وعرا. لا تسمح بأن يفصلنى عنك
أى شيء من الطبيعة القديمة التى فىّ وهكذا
تمم تدريبى (بونار)

على الشاطىء الغربى للأردن الذى وصل اليه جماعة اسرائيل الآن كانت تقوم مدينة الجلجال على بعد خمسة أميال من حافة النهر. هنالك حطت المحلة رحالها على حافة غيضة متسعة من النخيل يبلغ عرضها ثلاثة أميال وطولها ثمانية، أمتدت الى أريحا. يظن دين ستانلس Dean Stanleأن يشوع اذ رآها تذكر فياض النخيل الكثيفة فى مصر كما ترى اليوم على شاطىء النيل فى مديرية الجيزة. وسط هذه الغابة كانت ترى حقول الحنطة وقد أبيضت للحصاد لأنه كان وقت حصاد الشعير. ومن فوق أشجار النخيل كانت ترى أسوار أريحا وابراجها عن

---

(١) وقال لهم يشوع اعبروا أمام تابوت الرب الهكم الى وسط الاردن وارفعوا كل رجل حجرا واحدا على كتفه حسب عدد أسباط بنى اسرائيل.

بعد، ومن غياض النخيل هذه اشتقت المدينة اسمها. "أريحا مدينة النخل" (تث ٣٤: ٤).

كانت الجلجال قاعدة للعمليات الحربية أثناء الحرب ضد شعوب كنعان. هنالك لبثت المحلة، والنساء والاطفال (ص ٩: ٦، ١٠: ٦). وكانت تعتبر ضمن الأماكن المقدسة ـ مع المصفاة وبيت ايل ـ حيث كان صموئيل يمارس مهمته المقدسة (١ صم ٧: ١٦). وكانت هى المكان الذى يجتمع اليه الشعب فى اجتماعاتهم الرهيبة وقت الازمات الخطيرة (١ صم ١١: ١٤) كان لشاول كل الحق أن يذكرها، وهنالك قطع اجاج اربا "أمام الرب".

لعل هذه الاثنى عشى حجرا التى التقطتها يشوع كتذكار دائم لعبور النهر كانت باقية حتى آخر حوادث غزو البلاد وما بعدها. كان الآباء يأتون بأولادهم اليها لرؤيتها والاصغاء لرواية عبور النهر العجيبة التى كانت تقضى فى ذات المكان بكلمات علمهم اياها يشوع.

عند كتابة هذا السفر لابد أن كومة الحجارة الأخرى التى أقيمت فى قاع النهر كانت ترى ظاهرة اذ عاد النهر الى عرضه الطبيعى بعد الفيضان (ص ٤: ٩) ثم أنه لم تكن هنالك صعوبة فى تحديد "تل القلف" (أو تل الختان) حيث دحرجوا عنهم عار مصر اطاعة لأمر الله، ومن هنا اشتق اسم المدينة "جلجال" (أى متدحرج) ص ٥: ٩.

كانت الجلجال من الأول أرضا مقدسة (ص ٥: ١٥). واذا ما جزناها مرة أخرى بتفكير مقدس أوحت الينا تأملات عميقة مقدسة.

(١) الحجارة التي على الشاطىء:

بناء على أمر الله نزل أثناء عشر رجلا، واحد من كل سبط الى قاع النهر في مهمة خاصة. "ومن موقف أرجل الكهنة راسخة" أخذ كل رجل حجرا. ربما يكون الكهنة قد اختاروا هذه الحجارة كأنسب ما يليق لتثبيت اقدامهم. أو لعلها كانت تبعد قليلاً عن المكان الذى وقفوا فيه حاملين التابوت المقدس الذى يرمز لحضور الله. ظلت هذه الحجارة ملقاة هنالك أجيالاً طويلة لا يحركها أحد، أما الآن فقد رتبت فوق بعضها أمام أعين الجميع لتكون تذكاراً لعبور الاردن، كما كان نشيد موسى تذكارا لعبور البحر الاحمر.

جميل أن تتحرك القلوب الغافلة كقلوبنا ببعض التذكارات. فإننا ميالون بأن نزداد تغافلاً عن الصخر الذى ولدنا وننسى الله الذى خلقنا. اذن فما أشد حاجتنا الى هذه الحجارة التذكارية لتشيد بجانب الاردن، وينقش عليها "لذلك اذكروا".

كان الظرف الخاص الذى شهدته هذه الحجارة هو انهم عبروا الاردن كشعب متحد، وانهم أتوا كأمة الى الأرض التى وعد بها آباؤهم. ورغما عن سبطين ونصف اختاروا البقاء بمواشيهم فى مراعى جلعاد وباشان الا أنهم كانوا لا يزالون جزءا متمما للشعب. فقد كان هنالك اثنى عشر حجرا. ولو أن الحجارة بقيت متماسكة فى الأجيال التالية حتى بعد سبى الاسباط الشمالية فكل من كان يجوز مقابلها كان مضطراً بأن يعترف

أنه مر وقت فيه اسباط اسرائيل الاثنى عشر معا فى هذا المكان أمة واحدة متماسكة قوية.

وما هي أهمية هذا من الناحية الرمزية والروحية؟ لماذا هذه العناية لالتقاط هذه الحجارة، وهذا التدقيق فى تدوين الحادث؟ ماذا تعنى هذه الحجارة؟ إن كل من تتبع بتدقيق تأملاتنا فى الفصول السابقة لا يعجز عن الاجابة. فكما أنه لعبور الاردن خرج كل اسرائيل الى شاطىء النهر، هكذا بقيادة الرب يسوع المسيح وصعوده الى السماء عبرت كل كنيسة مفدييه الى أرض القيامة؛ وجلست فى السماويات حسب قصد الله وفكره.

لا شك فى أن هذا هو تعليم الروح القدس على لسان الرسل. هذا ما دونه لنا كل من بطرس وبولس. ولعلهما لم يقدما لنا حقيقة بمثل هذه القوة. وفى تجاهلها انهيار للاساس الذى بنى عليه خلاصنا. صحيح أننا يجب أن نرجع الى الصليب للكفارة، ولكن يجب أيضاً أن نرجع للصليب لنجتاز بالمسيح الى الشاطىء الآخر من الموت، الى شاطىء القيامة.

فيــه متنــا، فيــه قمنــا   فيـه أنتصـرنـا على أعـدائنـا
فيه اتخذنا كرسينا فى السماء   والسماء تهللت بانهزام الأرض

يعطينا الأصل اليونانى للعهد الجديد تعبيراً أدق لهذه الحقيقة الجوهرية، وذلك من ناحية استعمال صيغة الافعال (الماضى أو الحاضر

أو المستقبل). فالرسول بولس اذ يتحدث لأولئك الذين كانوا على الارجح – وقت موت المسيح على الصليب ـ عائشين فى شهوات الجسد عاملين مشيئات الجسد والافكار يقول "ونحن أموات بالخطايا" أو "واذ كنا أمواتا بالخطايا" أنظر أيضاً ع ١) أحياناً مع المسيح. وأقامنا معه وأجلسنا معه فى السماويات" (اف ٢ : ٥، ٦) وفى كل حالة نلاحظ أن صيغة الافعال المستعملة تشير بالتحديد الى فعل تم فعلا فى الماضى، وبه أصبح مركزهم (أهل أفسس) ومركز كل الكنيسة مستقراً استقراراً نهائياً، على الاقل حسب مقاصد الله وفكره.

مما لا يحتاج الى المزيد من التأكد أو الايضاح أن الفكرة الاساسية فى فلسفة العهد الجديد عن الخلاص من سلطان الخطية تتضمن فى فهم هذه الحقيقة الالهية وهى أن الكنيسة بأجمعها كانت ممثلة فى يسوع فى موته وقيامته وصعوده الى السماء، فالجميع ماتوا فيه، والجميع دفنوا فى قبره، والجميع قاموا معه فى فجر يوم القيامة، والجميع صعدوا معه الى العرش حسب المقاصد الالهية. وحينما صعد الى السماء لم يكن وحيداً، بل كانت ترافقه جموع لا يستطيع انسان احصاءها، فيه دست أنا وأنت وكل المؤمنين الرياسات وقوات الظلمة واتخذنا مكاننا فوقها جميعا. الا تزال هذه الافكار حلما فى نظر الكثيرين منا؟ ومع ذلك فعلينا اجمعين أن لا نهدأ حتى يجعلها لنا روح الله حقيقة حية. وليكن الغرض الوحيد فى حياة الايمان التى نحياها أن نجعل ما هو حقيقى فى فكر الهنا ومقاصده حقيقياً فى حياتنا واختباراتنا اليومية.

تأمل فى تلك الاثنى عشر حجراً على الشاطىء الآخر من الأردن. وتيقن أنها كما مثلت كل الشعب، وأحيت ذكرى انتقالهم العجيب من شاطىء الاردن الشرقى الى الغربى، هكذا الحال فى أورشليم الجديدة، فإن حجارة الأساس الاثنى عشر التى تحمل أسماء الرسل، والاثنى عشر بابا المنقوش عليها أسماء أسباط اسرئيل الاثنى عشر، تذكار قائم على أن الكنيسة فى مجموعها قائمة على أرض القيامة، ولكن خزيها وحزنها أنها لم تنتفع بامتيازاتها السامية، أو تنزل الى الارض ممنطقة بقوة المسيح الحى المقام من بين الاموات.

لقد عبرنا النهر، وابديتنا ابتدأت، وقد وهبنا فعلاً جزءا من ميراثنا، وفى المسيح صرنا محبوبين ومقبولين، وبه يعظم انتصارنا (أو صرنا منتصرين) ونحن نحتل مركزاً اذا احتفظنا به لا يمكن لاعدائنا اقتحامه، لأنهم لا يتغلبون علينا الا اذا نجونا فى أغرائنا لتركه. كل الأشياء هى لنا بفضل اتحادنا بالرب المقام من بين الاموات والذى يملك الآن. "العالم أم الحيوة أم الموت أم الاشياء الحاضرة أم المستقبلة. كل شىء لكم. وأما أنتم فللمسيح والمسيح لله" (١ كو ٣: ٢٢).

(٢) الحجارة التى فى قاع النهر:

لم يكتف يشوع باقامة رجمة حجارة على شاطىء النهر، بل أقام اثنى عشر حجرا ـ اطاعة لامر الله ـ وسط الأردن فى ذات المكان حيث وقف الكهنة حاملوا تابوت العهد. ولابد أنه كلما عاد الى الجلجال كان

يذهب الى جانب النهر متأملاً، محولا نظره الخارجى وبصيرته الداخلية الى المكان الذى وضعت فيه هذه الحجارة التى تغطيها المياه. كانت هذه هى الذكرى الدائمة للمعجزة التى لولاها لكان من الميسور أن تنسى من الذاكرة أو تبدو غير قابلة للتصديق. كانت احدى الوسائل لتقوية الايمان. فى موضعها جاز الشعب ووقفت أرجل الكهنة. ويقينا أن القوة التى شقت الاردن وأصعدت الشعب من قاعة لن تهدأ حتى تتمم كل مقاصد الله.

ونحن أيضاً كثيراً ما نسير بجانب ذلك النهر، ونتطلع الى تلك الاعماق. هنالك دفن المسيح من أجلنا، وهنالك دفنا نحن أيضاً معه. لسنا نحن فقط بل كل كنيسته. "أن كان واحد قد مات لأجل الجميع فالجميع اذن ماتوا" (٢ كو ٥ : ١٤). فى كل مرة نشترك فى جسد الرب ودمه، أو نشهد خدمة المعمودية تمارس بالتغطيس، أو نقع فى الأرض لنموت فى أعمال تضحية النفس أو أنكار الذات، فإننا نقف مع يشوع بجوار الاردن القائم فى قاعة تلك الحجارة التذكارية، وهنالك تطوف بذاكرتنا تلك الكلمات السحرية العذبة "وأما أنه صعد فما هو إلا أنه نزل أيضاً أولا الى أقسام الأرض السفلى.. لكى يملأ الكل" (اف ٤ : ٩، ١٠).

لا شيء يحطم قوة الخطية بقدر هذا. حينما ندرك محبة المسيح ومعنى موته فإننا نلتزم بأن نعيش لا لأنفسنا فيما بعد بل له. بصليبه قد صلبنا نحن أيضاً للعالم وصلب العالم لنا. قد يخدع غيرنا بشهوة الجسد

وشهوة العيون وتعظم المعيشة، أما نحن فلم تعد لهذه قوة علينا. وكيف نحبها حينما نذكر ما فعلته لربنا ـ حياتنا، محبتنا، عريس نفوسنا؟ وهل تستطيع المرأة المخلصة أن تحب قاتل عريسها؟

اذهبى ايتها النفس المسيحية وتأملى طويلا بروح الصلاة فى هذه الحقيقة الروحية العظمى. ثقتى بأنك قد عبرت الى عالم آخر. لقد تركت زوجك الأول، أى الناموس، وصرت لآخر، الذى أقيم من الاموات (رو ٧ : ٤). لقد صرت شريكة حياته شريكة بيته، مشتركة فى رعايته. وتلك الخطية التى كبلتك بقيود شديدة فى العالم السفلى لن تتعبك، لأن الموت يصدها. لذلك احسبى نفسك ميتة عن الخطية ولكن حية لله بالمسيح يسوع ربنا (رو ٦ : ١١) واجيبى كل مغريات العالم والجسد والشيطان بأن تؤكدى لكل انك لم تعودى له بعد.

لنذكر أيضاً بأن نفس تلك القوة "عمل شدة قوته" التى أقامت المسيح، ممثلنا ورأسنا، من القبر، وأجلسته معه عن يمينه فوق كل العوالم الروحية، هى فى متناول كل واحد منا نحن المؤمنين. كانت الكهربائية كامنة حول البشر فى كل تلك الاجيال الطويلة الماضية التى كانوا فيها لا يحسون بوجودها ولا يستخدمونها فى حاجاتهم، وقوة الله المقتدرة التى تقيم من الاموات محيطة بنا، فى انتظارنا للانتفاع بها. فلنطلبها، ولنقبلها ولنستخدمها، مسلمّين ذواتنا لمطاليبها ودوافعها، وواثقين بأنه لا يوجد فى مقاصد الله ما لا يمكن أن يكون هو مستعدا لتحقيقه فى حياة الذين يؤمنون.

(٣) فريضة الختان :

لم يفكر اسرائيل الا فى السير من شاطئ النهر الى افتتاح الأرض واقتسامها. وبغتة أدركوا أن هذه لم تكن تماما الخطة المرسومة فى مقاصد الله من نحوهم. ووجدوا انهم لابد لهم من الخضوع لفريضة أليمة، هى ختم العهد الذى قطع فى الأصل مع ابراهيم، والذى بموجبه وهبت الأرض له ولنسله (تك ١٧ :٨ ـ ١٠).

أثناء التيه فى البرية، الذى كان نتيجة عدم ايمانهم، والذى أدى عمليا الى عدم ميراثهم للارض، أهملت هذه الفريضة، لأن اتمام العهد كان معلقا وقتيا، أما الآن وقد تعلم الجيل الجديد أن يتمسك بالايمان فان العهد وختمه بدأ يستعيدان نشاطهما. "وأما بنوهم فاقامهم مكانهم. فاياهم ختن يشوع".

وحتى أولئك الاشخاص غير المستنيرين بين الشعب لابد أن يكونوا قد أدركوا أن هناك معنى روحيا عميقا لاتمام هذه الفريضة فى تلك المناسبة. لقد سمعوا موسى يتحدث أكثر من مرة عن ختان القلب، ولابد أنهم أحسوا بأن الله قصد أن يعلمهم بطل اتكالهم على كثرة عددهم أو شدة قوتهم أو استعداداتهم الحربية. فان قوتهم ليست شيئا فى عينيه. والأرض لم يكن ممكنا أن تؤخذ بقوتهم، بل تؤخذ هبة من يده. يجب أن يكفوا عن الاعتماد على النفس والاتكال على الجسد، لكى يكون فضل القوة وفخر الانتصار القادم لله لا للانسان.

نحن ايضا يجب أن يكون لنا جلجالنا، فانه لا يكفى أن نعترف ـ كقاعدة عامة ـ باننا كنا أمواتا وقمنا مع المسيح، بل يجب أن نطبقها على حياتنا الداخلية والخارجية. أن كنا قد متنا مع المسيح فيجب أن نميت أعضاءنا التى على الأرض. وان كنا نخلع الانسان العتيق مع أعماله وقت اعترافنا، فيجب أيضا أن نطرح عنا الغضب، السخط، الخبث، التجديف، الكلام القبيح. ان كنا قد قمنا مع المسيح فلنطلب ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله. أن أول نتيجة لتقديرنا لمعنى موت المسيح هى تطبيقنا لذلك الموت على أعضائنا التى على الارض. ليس لنا برهان على القول بأن الخطية قد ماتت فينا أو ان الميل للخطية قد استؤصل من قلوبنا الا أن نموت عنها فى حياتنا العملية.

من أجل هذا نحن نحتاج الى عطية الروح القدس فى قوته الخمسينية. فاننا بقوة الروح القدس وحدها نستطيع أن نميت أعمال الجسد. (أولا) لأن روح الانانية مخادع جدا. فهو كالميكروب فى الدم ان اوقف فى عضو ظهر في الآخر. هو متلون، ولذا فهو يحتاج الى الروح القدس العالم بكل شئ ليكتشفه. وهو يختبئ فى كل مكان، ولذا فهو يحتاج الى الروح القدس المالئ كل مكان ليطرده. (ثانيا) والروح القدس وحده هو الذى له الوثق الكافية ليربطنا على مذبح الموت. ويذكرنا فى ساعة التجربة، ويعيننا على التطلع للمسيح لنوال نعمته، ويبعث فينا روح التضحية، ويحفظنا أمناء وثابتين فى عهودنا التى

قطعناها فى أقدس المناسبات، وليمنع عنا نمو الغرور وروح الاعتداد بالذات وذلك بقوة صليب المسيح. من أجل كل هذا لا غنى لنا عن عطية الروح القدس. هو روح الحياة فى المسيح يسوع، لذلك يجب أن يكون روح الموت لكل الذين يتصلون بآدم الأول.

نستطيع القول ان جميع المؤمنين اختتنوا فى المسيح، ونستطيع القول أيضا انهم فى حاجة الى اتمام فريضة الختان فى المسيح غير المصنوعة بالأيادى، والتى تتضمن خلع أعمال الجسد. فعلى كل الذين يريدون ان يعيشوا حياة الغلبة ويرثوا أرض الموعد ان يخضعوا لهذه الفريضة. قد تكون العملية أليمة، لأن السكين لا تعفى من الألم. على أنها فى يدى يسوع محب النفوس. فلا تحجم عنها. دعه يفعل كل ما يراه لازما، ولو اقتضى شفاء الجرح عدة أيام.

قد يبدو غريبا فى بداية الأمر ان الاختبارات الماضية فى حياة القيامة يجب أن تؤدى الى الموت. ولكن لدى التأمل الدقيق يتضح أن كل ما هو من الجسد يجب أن يجوز الموت كما جاز هو الموت اذ جاء فى شبه جسد الخطية. كما يتضح أن حكم الناموس يجب أن يتم فينا نحن السالكين لا حسب الجسد بل حسب الروح (رو ٨ : ٤). ومع أنه قد يبدو أن الحياة المختتنة تبقى دواما مشوهة فهذا مخالف للواقع، وفى هذا السفر نستطيع أن نجد العكس من هذا على خط مستقيم. فاليد اذا قطعت ندخل الحياة وان كنا مشوهين. وعندما نميت أعمال الجسد

نبدأ الحياة. وعندما يختن الرب الهنا قلوبنا فعندئذ نحبه من كل القلب ومن كل النفس، **ونحيا**.

أيها الخادم المسيحى! انك لا تستطيع أخذ أريحا الا بعد تختتن، وينتزع منك الله روح الاتكال على الذات، ويضعك حتى تراب الموت. وحينئذ، عندما يكون لك حكم الموت فى نفسك فانك تبتدي بأن تختبر قوة الحياة الروحية، ومجد الحياة الغالبة.

الفصل السادس
ثلاثة أيام متتابعة
(يشوع ٥ : ١٠ ـ ١٢)

لكى يكون المسيح غذاءنا ينبغى أن نقبل قوته لكى تكون قوتنا. فاننا باتخاذ القمح غذاء لنا قوة. فان اتخذت المسيح لك غذاء كان هو الحى فيك، هو الذى يعمل فيك، هو الذى يساعد الفقراء، ويخبر بالحق، ويجاهد الجهاد الحسن، ويحرز الأكليل.

(فيلبس بروك)

يحدثنا متى ارنولد Matteu Arnold الشاعر الانجليزى المعروف فى احدى قصائده عن حديث له مع واعظ كان يبدو عليه انه مريض ومكدود. ولدى سؤاله عن حالته قال الواعظ : شكرا لله لاننى وجدت أخيرا سعادة اذ تأملت فى المسيح الخبز الحى. لم يكن هذا هو الشخص الوحيد الذى فى غوغاء مدينة لندن قد وجد السعادة وسط العناء والنور وسط الظلام. لأن كل النفوس التقية فى كل الاجيال تتلذذ بأن تتأمل فى تلك القوة العجيبة التى يحصلون عليها بالاشتراك فى طبيعة وفى جسد ودم ذاك الذى ولو كان ابن الله منذ الأزل الا أنه تأنس لكى تنتقل قوة الله لكل الذين يحبونه.

هنالك فرق عظيم بين القوة التى قد تأتى من الخارج والقوة التى

تتغلغل فى الحياة من الداخل. خذ مثلا للقوة الأولى. ان البناء القديم متى تداعت جدرانه الخارجية بنيت حولها دعائم متينة. ولتمثل القوة الثانية نقول انك متى زرت الغابات تجد فيها أشجار البلوط راسخة مدى الاجيال لانها اكتسبت فى داخلها خواص الأرض والهواء، فصارت ثابتة كالطود الراسخ لا تنال منها أقوى العواصف.

هنالك طرق كثيرة تستمد بها النفس التقية القوة من الخارج. قد تدعم من الخارج بالنصائح والتوسلات والوعود، بالخوف من ان تسبب حزنا لأى شخص، بالبحث على زيادة التعمق فى الحياة الروحية. واذا اقتصر الامر عند هذا الحد لما كان فيه الكفاية. فاننا نحتاج ان يكون فى داخلنا ابن الله القوى، ان نتيقن بأن الرب المقتدر ساكن فى احشائنا، يعمل فينا، لكى نستطيع كل شئ فيه وبه.

فى هذا السفر التاريخى القديم نستطيع ان نتبين بدون عناء. الخبز الحى تحت ثلاثة مظاهر. الفصح، غلة الارض، المن. وقد اقترن كل منها بيوم واحد من الايام الثلاثة المتتابعة.

(١) الفصح :

لم يكن ممكنا أن يكرر الفصح نفسه، فانه قد تم مرة واحدة فقط فى تاريخ اسرائيل واصبح حقيقة راهنة. فالملاك اتى مرة واحدة لقتل ابكار المصريين، وذبح خروف الفصح ورش الدم حصلا مرة واحدة، والخروج من أرض مصر تم مرة واحدة فى فجر التاريخ. أما عيد الفصح الذى

احتفظ به كتذكار لذلك الحدث التاريخى العظيم فقد قصد به ان يكرر على الدوام الى أن يأتى الفصح الأعظم الذى كان يرمز اليه.

أقيم أول عيد للفصح فى سينا، ولكنه أوقف مدة أربعين سنة. والواقع انه لم يكن ممكنا الاحتفال به طالما كان الشعب غير أمين للعهد بشكوكه وعصيانه. ألم يصدر الأمر صراحة، ضمن بعض الوصايا الأخرى، ان لا يأكله شخص غير مختون؟ فكيف كان ممكنا ممارسته ان كان "جميع الشعب (كما رأينا أخيرا) الذين ولدوا فى القفز على الطريق بخروجهم من مصر لم يختتنوا" ولكن حالما ختن الشعب بأجمعه لم يصبح هنالك أى عائق "وعملوا الفصح فى اليوم الرابع عشر مساء".

حينما عمل الفصح لأول مرة كان هنالك مظهران رئيسيان : رش الدم على الأبواب من الخارج، أما من الداخل فكانت كل عائلة تجتمع حول الخروف المشوى وتأكله على عجل. وبتقادم الأيام وتغيير الظروف، لم يعد الدم يرش على قوائم الأبواب، بل استبدل بشرب الخمر. وكانت كل عائلة تجتمع حول المائدة فى هذا العيد المقدس، ولا يكتفى افرادها بأن يمنطقوا أحقاءهم ويحملوا عصيهم فى أيديهم كما يليق بأشخاص مستعدين للارتحال، بل كانوا يتعطلون عن كل عمل، ويستريحون فى بيوتهم. والواقع أنها كانت وليمة عائلية يتذكر فيها الشعب تاريخهم الماضى بروح الحمد والشكر، ويتحدثون معا عن تلك الرحمة التى ظهرت بشكل عجيب فى تاريخ أمتهم. وعند وصولهم أرض الموعد

استعانت ذاكرتهم تلك الحقيقة العظمى : فداؤهم بالدم، الذى كان السبب الجوهرى فى بقائهم. والمؤمن الحقيقى لن تمر عليه لحظة دون أن يذكر فيها جسد الرب ودمه اللذين بذلا لمغفرة الخطايا.

فمهما تحدث الينا الصليب كثيرا عن التقديس فان رسالته الاولى يجب أن تكون التبرير. صحيح اننا متنا معه، ولكنه صحيح أيضا انه مات عنا، انه صار لعنة لكى يأتى الينا بالبركة. وفى السماء نفسها يرنم جماعة المفديين ترنيمة الخروف المذبوح، وفى وسط أفراح المدينة الذهبية يعبدون ذاك الذى صنع فداء بدمه.

اما المظهر الآخر للفصح فان له أيضا نظيرا فى اختباراتنا. فالاسرائيليون كانوا يعيدون، ويشربون الخمر الخفيف الشرقى، وفى الايام التالية يسبحون ويأكلون لحم الخروف. كان الخبز غير مختمر. والاعشاب مرة، ولكن الافراح تغلبت على الاحزان. وهذا هو رمز الحياة المسيحية.

قال الرسول "لأن فصحنا أيضا المسيح قد ذبح لأجلنا. اذا لنعيد" (١ كو ٥ : ٧). انه لم يشر الى ساعة معينة أو يوم معين فى السنة ليغتبط فيها أهل كورنثوس، بل قصد ان نعتبر بان أفراح العيد اليهودى القديم ممتدة الى نهاية ايامنا، لذلك فاننا دواما ممنطقون احقاءنا، ودواما مستعدون للرحيل، ودواما نتغذى على حمل الله.

ليس العشاء الربانى مجرد تذكار لما فعله الرب فى الجلجثة أو ما

يفعله على العرش، بل هو حقيقة حية دائمة تدفع المؤمن للتمتع بامتيازه ويقوم بواجبه نحو أكل جسد الرب وشرب دمه. يجب ان نأكل جسده والا فليست لنا حياة فينا. ويجب ان نشرب دمه والا لما استطعنا ان نثبت فيه وهو فينا.

نحن لا نستطيع ان ندرك تمام الادراك الطريقة التى بها يحصل كل عضو فى جسدنا على التغذية الخاصة التى يحتاجها من الغذاء الذى نأكله. ولكننا نعلم ان هذا ما يحصل، وان العظام والعضلات والأنسجة تحصل على ما تحتاجه من المخزن العام. هذا ما يحصل ايضا فى الحياة الروحية، فرغم اننا قد نعجز عن تفسير فلسفة العملية الروحية، الا اننا نؤمن ونثق اننا اذ نتحد بالمسيح فى ساعة العشاء الربانى الرهيبة فان ضعفنا يمتص من قوته وعدم صبرنا يمتص من طول اناته، واضطرابنا يمتص من هدوئه، وجهلنا يمتص من حكمته. ولكن لنذكر دواما انه لم يسمح لشخص اغلف ان يشترك فى الفصح، وكذلك لا يستطيع أحد عائش فى الخطية ان يشترك فى جسد الرب ودمه اللذين اعطيا حياة للعالم. يجب ان يكون هنالك الجلجال قبل ان يكون هنالك فصح فى اعمق واكمل المعانى.

(٢) غلة الأرض :

"وأكلوا من غلة الأرض فى الغد بعد الفصح" لا داعى لأضافة وصف للغلة ليبين ان كانت الغلة التى فى الحقول والتى استوت

للحصاد أم غلة العام السابق، ولكن يكفى القول بانهم أكلوا من غلة الأرض، ولو ان المرجح انها كانت غلة العام السابق : فالفكرة الرئيسية ان الاسرائيليين الذين لم يذق معظمهم سوى المن أكلوا بروح الشكر الجزيل من محصول أرض الموعد.

كان يقضى الناموس بان يردد رئيس الكهنة حزمة أول الحصيد امام الرب، كأنه بذلك قد قدم كل الحصيد للرب (لا ٢٣ : ١٠ ـ ١٢) ولعل هذا الطقس قد أهمل فى تلك المناسبة، ولو انه روعى اتمامه فى السنوات التالية. ألا يلاحظ باهتمام ان الرب يسوع قد قام فى نفس هذا اليوم "قام من الاموات وصار باكورة الراقدين" (١كو ١٥ : ٢٠)؟ اذا فيقينا اننا لا نحمل المعنى أكثر مما يحتمل ان قلنا أن غلة أرض الموعد تمثل المسيح فى مجد قيامته، لقد وقع فى الارض ليموت كحبة حنطة، ولكنه بالموت صار غذاء لكل الذين يؤمنون. لقد كسر، كما يحصل لخبز الحنطة، لقد سحق، كما تسحق الحنطة. ولكنه بذلك صار دقيقا ناعما لتغذية كل العالم، ينبغى أن نتغذى من خروف الفصح، ونتعلم كل معانى صليبه وآلامه، وموته الكريم ودفنه، ولكننا يجب أيضا أن نتغذى من غلة الأرض السماوية، ونستمد حياة وبركة من قيامته المجيدة وصعوده.

لقد تعلمت الكنيسة ان تقدر أهمية التجسد والصليب. فقد اكتظت متاحف العالم بأبدع ما أخرجه الفن عن الميلاد والصليب العجيب،

ولكنها لم تصل بعد الى نفس هذه النسبة فى تقدير أهمية صعوده من أقسام الارض السفلي الى قمة المجد التى يملأ منها كل الاشياء. اننا نذكر القيامة كعلامة على بنويته لله، ولكننا لا نعطيها نفس الاهمية كخطوة أولى لصعوده الى السماء حاملا ايانا معه من مجد الى مجد الى أن نجلس معه فى السماويات. ليتنا ندرك ما قصده الرسول حين قال مؤكدا "**بل بالحرى قام أيضاً**" (رو ٨ : ٣٤) ونصل الى عمق فكرة حين قال انه ان كان عرف المسيح حسب الجسد لكن الان لا يعرفه بعد لانه اراد ان يعرف قوة قيامته (٢كو ٥ : ١٦، فى ٣ : ١٠). ان خروف الفصح جيدا، أما غلة الأرض فتتضمن الثمار، والعسل، ومادة الخبز، وهكذا كلها تنبت فى تربة حياة القيامة.

نستطيع ان ننظر الى صعود المسيح من عدة نواح. ولكن يبدو اننا فى كل ناحية نقف تحت يديه المبسوطتين لمنح البركة كما فعل أولئك الذين شاهدوه وهو يرحل عنهم ويؤخذ عن أبصارهم. ان عظمة ابن الله الذى ارتفع فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى ليس فى هذا الدهر فقط بل فى المستقبل أيضاً، والثقة بأن نفس القوة التى أقامته من القبر الى يمين الاب تنتظر حتى تفعل هذا بعينه لكل واحد منا، والايقان بانه بقيامته أعد هبات لكل منا، وهى أفضل هباته (ملء الروح القدس) التى تنتظرنا حتى نطلبها وننالها، وتذكرنا باننا مهما اختلفت أوضاعنا فنحن واحد معه نلنا رضاه وحزنا محبته ـ هذه كلها

حقائق تحرك قلوبنا المتغافلة وتجعلها تطفر فرحا لن يستطيع أن يقدم مثله وفرة القمح أو الخمر. سعيد حقا هو الذى يصعد أيضا هناك بالقلب والذهن، ويسكن معه الى الابد وكل من يفعل هذا فانه يأكل من غلة الارض وثمارها.

(٣) المـــــن :

"وانقطع المن فى الغد عند أكلهم من غلة الأرض". لم تكن هنالك فترة بين الاثنين. بل بدأ أكل الغلة قبل انقطاع المن. ونبت الواحد قبل انقطاع الآخر كريش العصفور.

ان الله لا يسمح بتلك الفترات التى قد يبدو فيها انه تركنا، أو بأن مواردنا قد نضبت، مما يشكو منه الكثيرون. من الجائز جدا ان يقطع عنا كل ما هو غير عادى وشاذ الذى يمثله المن ولكنه ينتظر حتى نألف موارد نعمته العادية المنتظمة التى تمثلها الغلة، من جهة بركات حياتنا الخارجية قد يذلنا أحيانا ويسمح بالجوع "قد يجف نهر كريت قبل أن يرسلنا الى صرفه أما من جهة الحياة الداخلية فانه يهب بلا حد. فالمائدة مهيأة أمامنا على الدوام تجاه مضايقنا؛ وذلك النوع من الغذاء فى متناول أيدينا قبل أن ينقطع هذا.

ثم اننا على الدوام نحرم من المن المألوف الذى يأتينا بلا عناء وبلا بحث من جانبنا لكى نلجأ للغلة التى تتطلب التفكير والاعداد. هذا أمر ضرورى، لأننا بذلك نتعلم دروساً ثمينة عن الصبر. وانكار الذات.

والتعاون مع الله. ولكن آه. فاننا فى بداية الأمر نحجم بل نرهب التغيير. من ذا الذى لا يشكو قائلا "العتيق افضل" ؟ اثاث الغرفة القديم. المنزل القديم حيث قضينا أسعد الايام. مظاهر الحياة القديمة المألوفة. الطرق القديمة لتأدية الأمور. ليس من الهين الحرمان من كل هذه. ولكنها لم تعد تصلح للتهذيب الذى نحتاجه. ولذلك يجب أن نتركها لنستبدلها بما نجهله ولا عهد لنا به من قبل، حيث نستطيع ان نرى طرق الله رؤية جديدة، ونصبح عاملين معه.

يالعمق رحمة الله وشفقته الذى يدعنا نرى الجديد قبل أن يأخذ العتيق، ويعودنا على المشى قبل أن يبعد الكرسى الذى كنا نستند اليه طويلا. فلا ننزعج ان كانت تنقطع عنا مباهج الأيام السالفة، لأنه خير لنا أن نعيش حسب نواميس الحياة العادية من ان نعيش حسب الظروف الاستثنائية أو المعجزية. وعلى كل حال فان انتاج التين والرمان، الزيت والعسل، الشعير والقمح، يحمل نفس القوة الالهية التى تنزل المن. وتحول رطوبة الأرض والهواء الى حيوية العنب يحمل نفس القوة التى تلزم لمعجزة قانا الجليل. وحفظ النفس فى البر والقداسة كل الايام يتطلب نفس القوة التى تلزم لاعلان رؤى غير عادية وكلمات لا ينطق بها.

وفضلا عن كل هذه الدروس نتعلم من انقطاع المن أننا كلما تقدمنا فى الحياة المسيحية ازددنا تفكيرا فى بركات المسيح فى ارتفاعه

عنا أكثر من تفكيرنا فى بركاته فى نزوله الينا بالتجسد. فان تفكيرنا الآن فى العرش وفى مجيئه الثانى أكثر من تفكيرنا فى المذود. وهنالك فرق كبير بين حصر التفكير فى الميلاد وحصره فى الصعود. وكم من نظريات لاهوتيه توجد ناقصة اذا وزنت فى الميزان انها تغفل هذه الحقيقة وهى ان المن ينقطع عند عبور الاردن ودخول كنعان.

اذن فهذا هو الدرس الرئيسى الذى أمامنا. ينبغى أن نتعلم بأن نعيش الحياة التى تتغذى على حياة ابن الله. "أنا حى بالأب. فمن يأكلنى فهو يحيا بى" ويعمل بى أعمالا عظيمة، بل يفعل المستحيلات.

هل تتوق الى المزيد من القوة فى أعمالك أو آلامك، فى شهادتك أو فى صد العدو؟ اذا فتقدم الى جسد المسيح ودمه، تأمل فى كلمته، تحدث اليه، أمتلىء من روحه الذى يأخذ مما له ويخبرنا. "طوبى للجياع والعطاش لأنهم يشبعون" "أشبع الجياع خيرات" "وخبز يسند قلب الانسان".

الفصل السابع

المسيح رئيس جند الرب

(يشوع ٥: ١٣ ـ ١٥)

بقوته نتقوى فى جهادنا القادم ضد قوات الظلمة ونمسك السلاح الذى أعطانا النور والحق ومحبة السماء.

"هويتير"

"وحدث". لم يخبرنا الوحى عن مكان الحادث أو زمانه، فهذه تفاصيل لا قيمة لها ازاء هذا الحادث العجيب الذى حصل قبل غزو كنعان. أما عن الزمان فلعله فى نفس يوم انقطاع المن حيث رأى رئيس جند الرب أن الأرض يجب أن تقدم المؤونة الآن. وأما المكان فيكفى أن نعرف بانه "عند أريحا".

من خلف كان الأردن، ولم يعد ظاهرا فيه أثر لانشقاق حيث عبرت الجماعة، ولو كانت الحجارة التذكارية الحديثة تشهد لمعجزة جفاف قاع النهر. من أسفل، تحت ظلال الجبل، توجد محلة اسرائيل. حيث كان الشعب يستريح من عنائهم الطويل. فى أول اغتباط لهم اذ أدركوا ان ارتحالهم الطويل قد انتهى. والى الأمام. على بعد خمسة أميال. وفى الطريق الى كنعان. كانت تقوم أريحا بأسوارها المنيعة.

لابد أن تكون فترة الانتظار هذه قد ملأت قلب يشوع، على الاقل، اضطرابا. انه لم يكن ينسى كيف ان الجيل السابق فضل عبودية مصر،

منذ أربعين عاما، أو القبور فى البرية عن ان يواجهوا أهوال المدن المحصنة أو الاعداء الجبابرة. ألا ينتظر من أبنائهم أن يقفوا نفس الموقف؟ كان أهون عليهم أن يحاربوا عماليق أو عوج أو سيحون. لأنهم التقوا باسرائيل فى ساحة الحرب فى الخلاء ولكن هذا يختلف كل الاختلاف عن مهاجمة مدينة محصنة تستطيع أن تثبت أمام الحصار الطويل الامد. كان مستحيلا أن يتركوها خلفهم دون اخضاعها. ولكنه كان أيضا يعد انتحارا ان يلبثوا امامها حتى يلزموها بالتسليم. واذا ظلوا طويلا خارت عزيمة الشعب وازدادت قوة العدو. ولابد ان يشوع، وهو وحيد، كان يتوق الى لحظة مع موسى أو الأفضل مع ملاك حضرة الله الذى وعد الشعب برفقته لهم حينما كانوا لا يزالون حالين تحت سفح جبل سينا.

واذ كان يشوع يطيل التفكير العميق متمشيا وحده" نرى فجأة "انه رفع عينيه ونظر واذا برجل واقف قبالته وسيفه مسلول بيده". ما أشد حاجتنا الى هذه العين المرتفعة الى فوق. فطالما ثبتنا أعيننا الى أسفل فى الارض، وتغافلنا عن رفعها الى فوق، الى الرؤى السماوية التى تنتظرنا من كل ناحية.

ولكن من كان ذلك الرجل؟ هل كان طيفا أم حقيقة، عبرانيا أم كنعانيا، صديقا أم عدوا؟ لم يستطع يشوع ان يجزم، ولكن قلبه كان طاهرا نقيا، ولذلك لم يتردد عن الذهاب اليه وابتداره بهذا السؤال "هل أنت لنا أو لاعدائنا فصارت اليه الاجابة الملكية "كلا بل انا رئيس جند

الرب. الآن أتيت" فسقط يشوع على وجهه الى الارض وسجد، ووقف موقف التواضع والطاعة قائلا "بماذا يكلم سيدى عبده".

اذن فلا سبيل الى التشكك فى شخصيته. ورغم أنه ظهر كأنسان الا أنه يقينا لم يكن انسانا ولا ملاكا. لو انه كان هذا أو ذاك لرفض فى الحال ما قدمه له يشوع من سجود. فان أهل لسترا حينما اوشكوا أن يذبحوا لبولس وبرنابا صرخا مذعورين وقائلين "أيها الرجال الاخوة لماذا تفعلون هذا. نحن أيضا بشر تحت آلام مثلكم" وحينما سقط يوحنا على وجهه ـ فى نشوة المجد والفرح ـ عند قدمى الملاك الذى اسدل عن نفسه الستار قال له الملاك "انظر لا تفعل. لانى عبد معك ومع اخوتك الانبياء" (رؤ ١٩ : ١٠، ٢٢ : ٩).

ولكن عندما سجد يشوع امام هذا الشخص العجيب لم يصده عن اتضاعه. بل قبله كما قبل سجود بطرس فى سفينة الصيد، وكما قبل سجود الأبرص اذ خر على وجهه امام قدميه الطوباويتين طالبا الشفاء. على ان يشوع طلب منه ان يقدم المزيد من الاحترام، مع الحرص الشديد، بنفس الكلمات التى وجهت الى موسى من العليقة المشتعلة، حيث تحدث اليه يهوه. ونحن نؤمن ان الذى تحدث الى يشوع على عتبة كنعان لم يكن سوى يهوه اله اسرائيل الذى حصر كل مسرته فى بنى البشر قبل التجسد بأجيال طويلة، والذى مهد للتجسد بزيارات مبدئية لارضنا فى صور ملموسة.

أما اللقب الذى ينسبه الرب لنفسه هنا فانه يلازمه فى كل صفحات الكتاب المقدس. فاشعيا يقول انه قد جعل "رئيسا وموصيا للشعوب" (أش ٥٥ : ٤). وبطرس يصفه بأنه رئيس الحياة. ورسالة العبرانيين تشير اليه كرئيس خلاصنا الذى تكمل بالآلام. وفى نهاية الكتاب نرى جمعا حاشدا خارجا من السماء المفتوحة يقوده رئيس متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله (رؤ ١٩ : ١١ ـ ١٣).

(١) الاهمية الخاصة لهذه الرؤية من ناحية يشوع :

يتجه الرأى العام الى القول بان هذا الرئيس الالهى اتى ليحل محل يشوع فى القيادة ويبدأ بقيادة صفوف اسرائيل، كما يحل امبراطور الألمان فى ساحة القتال فيخضع لع أعظم قواده ويسلمون اليه قيادة الجيش مكتفين بتنفيذ خططه. ولكن ليس هذا هو عمق المعنى هنا. فان "جند الرب" لا تشير مبدئيا لجيوش اسرائيل الحالين بجوار الاردن، بل الى جنود آخرين غيرمنظورين، حالين حول تلك المرتفعات، ولو لم تسمع الأذن البشرية نداء الحراس فى حراستهم، أو تر العين بريق السيوف فى ضوء الشمس، أو تشهد فرقهم المصطفة. تلك الفرق الملائكية المطهمة كانت هى الجنود التى يرأسها هذا القائد العجيب.

هنالك اشارات عديدة فى الكتاب المقدس تشير الى حلول جنود الملائكة حول أولاد الله. فان يعقوب اذ كان فى طريقه عائدا الى كنعان بعد مشاجرته مع لابان، خائفا من متابعته اياه، لاقته ملائكة الله، كأن

فرقة من الجنود السمائية ظهرت له بغتة، مؤكدة له المحافظة عليه من كل هجوم. وحينما ذعر غلام اليشع اذ رأى نفسه محاطا بجنود العدو سمح له ـ استجابة لصلاة اليشع بان يرى الجبل مكتظا بخيول ومركبات نارية. والمرنم يتحدث الينا عن ملاك الله الحال حول خائفيه، وعن الجنود التى تطيع أمره. وفى بستان جثسيمانى نرى الرب يشير الى الاثنى عشر جيشا من الملائكة التى كانت واقفة على أتم الاستعداد انتظارا لأقل اشارة للمجئ سريعا للنجدة. اذن فمما يتفق مع روح الكتاب أن نرى هذه الجنود منتظرة وراء ستار غير المنظور لكى تهجم على أعداء الله واسرائيل. كل هذا يعطى معنى جديدا للعبارة القديمة المألوفة التى عرف بها الرب "من هو ملك المجد؟ رب الجنود هو ملك المجد".

ولكن ان كان صحيحا انه توجد قوات للنور فصحيح أيضا انه توجد قوات للظلمة. هذا ما يؤكده لنا الكتاب المقدس على الدوام. فخلف آلهة الامم يفضح الوحى الشياطين الذين يتسلطون على البشر عن طريق الاوثان البغيضة صنعة أيديهم. وخلف الامبراطوريات الواسعة الارجاء غير المؤمنة يكشف لنا رجال الله عن وجود عوامل شيطانية تحركها على الدوام. وخلف ظلمة هذا الدهر يعلمنا الكتاب المقدس ان نتطلع الى الارواح الشريرة التى تتسلط عليها من السماويات. هذه تحتلها فى الوقت الحاضر، وحينما يجئ المسيح ثانية فانه يطوح بها أولا الى الأرض

ثم الى الهاوية (١ كو ١٠ : ٢٠، دا ١٠ : ١٣، اف ٦ : ١٢، رؤ ٢٠ : ٢ و ٣).

اذا فهل هنالك ما يدعو للعجب بسقوط أسوار اريحا، أو تشتت تلك الجيوش العظيمة دون أن تمتد اليهم يد، أو اخضاع الارض بعد حرب دامت سبع سنوات؟ كانت هذه الاعمال المجيدة هى النتائج الأرضية المنظورة للنصرة التى تمت فى الأجواء السماوية الروحية على يد الجيوش التى تتبع كلمة الله على خيول بيضاء متشحة بكتان أبيض نقى. لقد سقطت تلك الاسوار لأن الجنود السماوية قد لطمتها لطمة قوية. وتلك الجيوش ولت هاربة لأن قوات الظلمة المتحالفة معها أكرهت على الهروب أمام الرب اله الجنود. وتلك الارض أخضعت لان أهلها انتزعوا منها بأيد لا تراها العين البشرية. اذا فقد كان هنالك معنى روحى عميق للكلمات التى نطق بها كالب منذ أربعين عاما، والتى حاول بها تشجيع شعبه "قد زال عنهم ظلمهم (أو حصنهم كبعض الترجمات) والرب معنا. لا تخافوهم" (عد ١٤ : ٩). وكل هذا يزيدنا فهما للمعنى الذى قصده الرب اذ قال "أنا رئيس جند الرب. الآن اتيت" (أو كرئيس جند الرب قد أتيت الآن).

(٢) أهمية هذه الرؤية من وجهة نظر الكنيسة :

اذا اتيح لنا ادراك الحقائق التى تتضمنها رواية غزو أرض كنعان لوجدنا فيها لذة جديدة. فانها، كما ذكرنا، ليست مجرد سفر تاريخى

بل صحيفة منتزعة من أخبار السماء، تتحدث الينا عن الصراع العنيف الحادث منذ دخول الشر الى العالم، والذى سوف يدوم حتى يبيد ابن الله أعمال أبليس.

فى عالم الطبيعة نستطيع أن نتبين علامات للصراع والاصطدام. ففى كل ناحية نجد جيوشا تلتحم معا للعراك، ثم تفترق لتعوض عن خسائرها أو تحصى غنائمها. وتخبرنا الاكتشافت العلمية الأخيرة ان ذرات الهواء الهادئ غير المنظورة فى حركة سريعة حولنا، تتزاحم بعضها مع بعض، وتجاهد جهادا عنيفا للاحتفاظ بطريقها، ولكن آلافا من الذرات المشابهة المجاهدة أيضا تعوقها، وهكذا نحن نعيش وسط تيارات عنيفة من الذرات. لا يمكن ان نجد بركة مهما كانت هادئة، أو غابة مهما كانت ساكنة، أو جزيرة مهما كانت جميلة، او منظر مهما كان فتانا ــ دون أن تكون محاطة بالعوامل المقاومة التى تجاهد للغلبة. فسريعو الحركة يسيرون فى اثر فريستهم، والأقوياء يلتهمون الضعفاء، والبقاء للأصلح فى هذا العالم الصاخب.

وكل الذين يدرسون طرق الله يجدون كل هذا ملفتا أنظارهم الى صراع أشد بين الظلمة والنور، الشر والخير، الشيطان وملكنا. وهنا نجد الأهمية الحقيقية لصعود الرب الى السماء الذى كان أسمى المعجزات التى تمت فى مجيئه الأول، والذى هو تمهيد لامجاد مجيئه الثانى.

كان الرب يسوع يواجه قوات الظلمة كل أيام خدمته على الأرض.

فقد هاجمته فى برية التجربة، وقاومته بواسطة عناصر الشر التعسة التى كانت فى قبضة يدها، وتجمعت بكل قوتها فى جثسيمانى، ثم على الصليب، وكان تقاوم كل خطوة من خطواته وقت القيامة. الى وقت مجيئه لم يستطع أى مخلوق من مولودى المرأة ان يبرهن بانه خليق بالثبات أمام هجماتها. أما حياة وموت الرب يسوع المسيح فقد قلبا أوضاعها. وعندما قام وصعد "فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى ليس فى هذا الدهر فقط بل فى المستقبل أيضا" فقد استقر الأمر دون أى ريب. ان الانسان وان كان بنفسه ضعيفا عن الثبات أمام قوات جهنم الا أنه بالمسيح، وبفضل اتحاده بابن الله، يعظم انتصاره، ويستطيع كل شئ فى المسيح الذى يقوته، وانه كتبت له الغلبة.

لم تكن نصرة الصعود للمسيح فقط، بل كانت لشعبه أيضا لكى يرسل اليهم جنوده السماوية لنصرتهم الأكيدة فى جهادهم على الارض. حينما انتصرت الكنيسة انتصاراتها العظيمة على أوثان اليونان وروما، على كل التعاليم والفلسفة الوثنية، على هياكل الزهرة وديانا وجوبتر كانت واثقة من هذا فان نجاحها لا يعزى الى قوتها الحربية بل الى القوات الروحية التى كانت متحالفة معها. لهذا السبب عينه يعزى انهيار العبادة الوثنية ونجاح الانجيل فى كل ارجاء المسكونة دون أدنى مقاومة. هذه النتائج بلا شك لها نظائرها من التغيير فى دائرة العالم غير المنظور الابدى، الذى ليست لدينا عنه فكرة صحيحة. ولابد ان

انتصارات الكنيسة فى المستقبل تتوقف لا على ثروتها أو كثرة عددها أو هيبتها بل على محالفتها المقدسة المباركة مع الجنود السماوية التى أشار اليها المسيح فى تخم أريحا حين حين قال "أنا رئيس جند الرب. الآن اتيت".

هذه الحقيقة لم يقدرها الا القليلون مع الاسف الشديد. فالكنيسة كثيرا ما ظنت بانها تستطيع بقوتها الغلبة على شر العالم، أو وقفت مكتوفة الأيدى أو مذهولة أمام أريحا، أمام الخطية التى انتصبت لتعترض سبيلها. فالمدن المقهوره (السكر، الشهوة، الانغماس فى اللذات، البلادة) ابت ان تلبى نداءاتها وتفتح أبوابها، وهزأت بكل محاولتها. وعندئذ لجأت الى قيصر، الى الطرق البشرية، والمحالفات العالمية والنجدات الحربية. ولكن هذه المحاولات ذهبت أدراج الرياح، لأنه رغما عن كل هذا لم تسقط الاسوار، ولم يستسلم العدو..

فعلى أولاد الله أن يتوبوا عن خطاياهم وتقصيرهم فى هذه الناحية. وليتيقوا بأن رئيس الجنود السماوية قد جرد فعلا جنوده ضد أعدائه. وليتركوا كل ما يعطل المحالفة أو يعوقها. وليصيحوا بهذا النداء الحربى القديم المؤسس على الاعتراف بهذه الحقيقة الروحية العظمى، ويرفعوا الصوت عاليا قائلين : سيف للرب ولشعبه (قض ٧ : ٢٠).

(٣) اهمية هذه الرؤية من وجهتنا نحن :

قد نشعر بعض الاحيان اننا وحيدون ويائسون. قد يكون الجنود الذين

تعودنا التعاون معهم مستريحين ومستلقين فى خيامهم. قد يبدو بأنه لا يوجد من يستطيع اراحتنا من ارتباكاتنا أو معاونتنا فى تفكيرنا. وأريحا أمامنا منيعة ـ أبروشيتنا المهملة كنائسنا الخاوية، شعبنا القساة القلوب، أفراد عائلتنا الذين انتزع من قلوبهم خوف الله. كيف نستطيع أن نمسك بهذه، ونسلمها للرب، كقلعة جردت من حصونها الحربية لكى يحتلها؟

قد نرتبك فى بدء الامر أمام هذه المسكلة التى تبدو عديمة الحل وعندئذ نعتزم حلها، ونستخدم كل حكمتنا وجهودنا فى هذا السبيل. وندرس خطط الآخرين ونقلدها، ونلقى ابلغ المقالات والعظات، ونبذل المجهودات الجبارة، ونلجأ للاعلانات الجذابة والطرق الرشيدة المستقاة من العالم. هب ان اسرائيل قد تعلموا دروسا فى تسلق الاسوار وأخذ المدن الحصينة من الكنعانيين. أو ان الشعب هاجموا أريحا بقوة واقتدار معتزمين أن يجدوا أو يفتحوا فيها ثغرة. ليست هذه الافتراضات على أى حال سخيفة. فانها على الاقل تتكرر كل يوم فى حياة الكثيرين جدا من أولاد الله الذين ينسون "أن السعى ليس للخفيف ولا الحرب للاقوياء. لانه ليس بالقوة يغلب انسان" (جا ٩ : ١١ ، ١صم ٢ : ٩).

على أننا فى ساعة يأسنا، حينما نكون قد بذلنا اقصى ما فى وسعنا عبثا، وسقطنا كعصفور البحر الذى يندفع بكل قوته نحو برج الفنار فيسقط اسفله بجناح مكسور، فحرى بنا أن نخرج منفردين معترفين

بضعفنا وعجزنا، ومنتظرين الرؤية، لاننا نكون وقتئذ جديرين برؤية رئيس جند الرب. انه يتعهد بالدفاع عن قضيتنا، ويرسل جنوده ويربح المعركة، ويحطم أسوار اريحا. هذه الاسوار لا يمكن أن تسقط الابالايمان لان الايمان يتحالف مع قوة القدير اللانهائية، ويصبح القناة التى تجرى منها قوة الله. كما تسرى القوة الكهربائية فى الاسلاك. قد يستخدم تعاوننا؛ ولكن لمجرد الدوران حول الاسوار بالثوب الكهنوتى النقى، ونفخ الابواق.

ولكن يجب ان نكون اطهارا. قال ذلك القائد الالهى ليشوع "اخلع نعلك من رجلك لان المكان الذى انت واقف عليه هو مقدس". حيث وجد الله وجدت القداسة، وحتى كنعان لا يمكن ان تكون مقدسة الا اذا وقف الله على ارضها. فينبغى ان نكون مقدسين اذا اردنا التعاون معه. يجب ان نخلع الانسان العتيق. بشهواته وامياله. يجب ان نطهر انفسنا من دنس الجسد والروح. يجب ان نخلع اعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور.

نحن نعلم علم اليقين انه لا يمكن ان يتحالف مع غير المؤمنين أو الدنسين. ولا يمكن ان تكون له شركة معنا طالما كنا نتستر على عاخان فى اخفاء لسان الذهب والثوب الشنعارى. فان اردنا ان يخرج مع جيوشنا لكى ينقذنا ويدفع اعداءنا امامنا فلتكن محلتنا مقدسة. ولنحرص على ان لا يرى فينا اقذارا فيرجع عنا (تث ٢٣ : ١٤).

ليس الحرب للاقوياء. ولا السعى للخفيف. بل للذين يعيشون حياة

العزلة عن العالم والتكريس لله. والآنية المستعدة لخدمة السيد يجب ان تكون مقدسة. والشرط الاساسى للخدمة الناجحة هو القداسة لا الفراسة. اذا فمن القلب المقدس وحده يخرج الايمان الذى يستطيع ان يمسك بالقوات غير المنظورة، الروحية الالهية. ليته لا يكون هنالك فاصل بين قداسة الله وقداستنا. فاصل يمنع عنا التيار. يمنع عنا ملء القوة.

الفصل الثامن
اسوار اريحا
(يشوع ٦)

به يعظم انتصارنا فى كل جهادنا. فالى الامام فى الحرب كجند الرب.

(بونار)

كان أهل أريحا وقتئذاك تسودهم أفكار كثيرة، أهمها أن عزيمتهم قد فترت وذاب قلبهم فى داخلهم. فانهم لم يمكنهم حشد قواتهم، ولم يستطيعوا اخراج رجال الحرب، ولم يتمكنوا من مباغتة جيش اسرائيل ليلا، اذ كانوا حالين على ضفاف الأردن تتوسطهم خيمة الله. وكأن الملك والشعب قد حل عليهم ذهول عميق، أو استغرقوا فى سبات تام شل حركتهم وعاقهم عن الوقوف موقف الدفاع. "وكانت اريحا مغلقة مقفلة بسبب بنى اسرائيل. لا أحد يخرج ولا أحد يدخل، ع١ "ذابت قلوبهم ولم تبق فيهم روح بعد من جراء بنى اسرائيل" ص ٥ : ١.

أما من الناحية الأخرى فان اسرائيل ربما يكونون قد ملوا الانتظار، وتاقوا للاندفاع فى الحرب. واذ كان رجال الحرب واثقين فى قوتهم فانهم رغبوا فى مواجهة سكان الارض ليمسحوا بالدماء عار الهزيمة

التى منى بها آباؤهم فى حرمة (عد ١٤ : ٤٥، تث ١ : ٤٤). واذ كانوا يظنون أن عبور الاردن يعزى الى وجود الكهنة فلعلهم كانت لهم رغبة سرية في قلوبهم أن يظهروا بانه قد حان الوقت للكهنة للوقوف بجانبهم، أما هم فيتقدمون بجرأتهم وشجاعتهم ويملكون الارض بقوتهم.

ولكنهم كان يجب أن يتعلموا ان الارض انما هى هبة، تنال بالايمان، لا بالجهاد. وكل ما أراده الله منهم هو أن يطيعوا، وينتظروا، ويثقوا، بينما يكون القائد الالهى قد تقدم بجنوده السماوية الى القتال ليحرز النصر. "فقال الرب ليشوع. انظر. قد دفعت بيدك أريحا وملكها جبابرة البأس. تدورون دائرة المدينة جميع رجال الحرب. حول المدينة مرة واحدة".

يقينا ان هذا كان أعجب منظر شهدته حامية محاصرة. فالجيوش التى حاصرت المدينة لم تحاول الهجوم، أو اقامة المتاريس أو تسلق الاسوار. ولم تحاول اعطاء فرصة للمفاوضات، أو المناقشة فى شروط التسليم. ويبدو أنه كان مفهوما لدى الطرفين أن الحرب ستكون عنيفة جدا بلا رحمة. وبلا ابطاء بدأ جنود اسرائيل يدورون حول المدينة. "تدورون دائرة المدينة" أليس الاحرى ان نقول بأن تابوت العهد دار حول المدينة، وان رجال الحرب ساروا فى اثره؟ لأنه فى كل حالة، سواء أعطيت التعليمات من رئيس جند الرب الى يشوع، أو من يشوع الى

الجيش، كان موضع تابوت العهد يحدد بكل دقة والواقع أن يشوع لدى عودته من المحادثة الالهية يبدو أنه دعا الكهنة اليه أولا، ثم القى اليهم تعليماته. بعد ذلك وجه الحديث الى الشعب بوجه عام. هنالك نغمة تأكيد خاصة فى الكلمات "فدار تابوت الرب حول المدينة".

كان هذا بعد الفجر بوقت وجيز. ولم تكن الشمس قد ارتفعت فى المشرق. وعندئذ خرج حشد عظيم من محلة اسرائيل وبدأ يتحرك. كان فى المقدمة رجال الحرب، كل سبط تحت رايته، ثم سبعة كهنة متشحين باللباس الابيض وضاربين بالبوق، ثم تابوت عهد الرب مغطى بأغطيته لاخفائه عن أعين الاسرائيلين والكنعانيين أيضا، وأخيرا سبط دان كمؤخرة للجيش.

اتجه هذا المحفل الغريب صوب المدينة، ملتزما الصمت التام، عدا الكهنة الذين كانوا يضربون بالابواق بصفة مستمرة. لم يسمع أى صوت قط سوى صوت الابواق. لم يسمع أى نداء أو تحد أو تعنيف أو أى هتاف كما يليق بمن يدعى لنفسه السيادة. بل كان كل الجيش يدور صامتا حول المدينة كالأفعى. وعند انتهاء الدورة كان الكنعانيون يرون ما يذهلهم، فبدلا من الهجوم المباشر المتوقع كان الجيش يعود الى المحلة التى خرج منها منذ ساعة أو اثنتين. وينقضى باقى اليوم دون أقل حادث. "هكذا فعلوا ستة أيام".

وفى اليوم السابع تكرر الدوران حول الاسوار سبع مرات. وفى ختام المرة السابعة ارتفع صوت يشوع وسط سكون المساء وصرخ قائلا "اهتفوا لأن الرب قد اعطاكم المدينة". بعد ذلك ضرب الكهنة بالابواق، وهتف الشعب هتافا داويا رددت أصداءه الجبال المجاورة، ورددته النساء والأطفال فى المحلة، فسقطت أسوار أريحا فى مكانها "وصعد الشعب الى المدينة كل رجل مع وجهه (مقابل وجهه) وأخذوا المدينة". وكما قال أحد كتاب العهد الجديد بعد ذلك باجيال طويلة عند التحدث عن هذا الحادث الخطير كعلامة بارزة لذلك الايمان الذى يربط قلوب القديسين فى كل العصور ويتحدها معا كما يجمع الخيط عدة لآلئ الى عقد واحد "بالايمان سقطت أسوار اريحا بعد ما طيف حولها سبعة أيام". فى عدة نواح نستطيع أن نجد نظيرا لهذا الحادث العجيب.

(١) فى الحياة المسيحية :

ان كانت مصر تمثل صراعنا مع العالم، وعماليق يمثل صراعنا مع الجسد، فان سبعة شعوب كنعان تمثل صراعنا مع الرياسات وقوات الشر الروحية التى تحاول أن تصدنا عن دخول السماويات وتظلم قلوبنا عن أن تدرك ما أعده لنا المسيح واذ تختبئ خلف حصون بعض الصعوبات أو العادات فانها تناوئنا وتهددنا بتعطيل نمونا فى الحياة الروحية. من منا، أو من قارئىء هذه السطور، يجهل، أو لم يختبر يوما ما احدى الصعوبات ـ عادة محبوبة، أو صداقة، أو احبولة شريرة ـ وبدت كأنها حاجز لا يمكن

تخطيه في سبيل تمتعنا ببركات الحياة المسيحية التي في امكاننا، بل التي هي لنا في المسيح، ولكنها لاجل هذا السبب تبدو كأنها بعيدة عنا؟ هذه الصعوبة هي اريحا.

والآن لنثق تماما بأنه ليس في قصد الله ان تقف أية صعوبة مهما كانت عميقة الاساس، سدا منيعا في سبيل دخول المفديين الى السماويات التي هي لهم في المسيح، حتى اذا كانت نتيجة خطاياهم أو سوء تصرفهم أو طياشتهم في الايام الاولى، أو ابتعادهم عن الطريق الضيق. التقيت بالكثيرين ممن صرحوا بأنهم قد خسروا الى الأبد حقهم في أعمق اختبارات الحياة الروحية المباركة لأنهم ارتكبوا بعض الشرور في الماضي، التي وان كانت قد غفرت منذ أمد طويل الا انها قد تركت خزيها وعارها، تركت آثار الجروح، تركت نتائجها المريرة المدمرة، الامر الذى من أجله أصبح الطريق الى كنعان مغلقا في اعتقادهم. التقيت بغيرهم ممن يرغبون حقا في التمتع بكل ما يمكن الوصول اليه في هذه الناحية من الباب الذهبي، عتبة الأبدية، غير انهم يشيرون الى بعض العراقيل في الطريق، الى الحالة التي وصلوا اليها من الفتور الروحي ونوم الضمير، ومن أجل هذا أيضا فانهم يخشون أن لا يستطيعوا أن يعملوا أكثر من أن يحطوا رحالهم، وان كانوا على ضفاف الأردن حقا الا أنهم على عتبة أرض الموعد. وهنا نكرر السؤال مرة أخرى : من ذا الذى لم يقف وقتا ما، أمام أريحا على عتبة أرض كنعان؟

لأمثال أولئك وهؤلاء توجد لذة لا تعادلها لذة وعزاء ما بعده من عزاء في الكلمة التي تحدث بها رئيس جند الرب ليشوع اذ وقف على الارض المقدسة خالعا نعله "انظر. قد دفعت بيدك أريحا وملكها جبابرة البأس".

اصمت : هذه أصعب كل الوصايا. أن لا يسمع صوتنا، أن لا تخرج كلمة واحدة من أفواهنا، ان نبث شكوانا لله وحده كل هذا غريب على أذواقنا وعلى ما ألفناه. وكما أن الموت هو آخر عدو يقضى عليه في عالم الله، كذلك ضبط اللسان، فانه آخر درس يتعلمه أولاد الله. كلنا نتوق الى أن ننفس عن احزاننا، ان نتحدث عن أوجاعنا، ان نقارن أنفسنا بالآخرين أو نتناقش فى انجع علاج. اننا نفضى باسرارنا لأصدقائنا بعد أخذ الوعود منهم بعدم افشائها، وبعد ذلك نتحقق مع الالم المرير صدق كلمات السيد "ما كلمتم به الأذن فى المخادع ينادى به على السطوح" (لو ١٢ : ٣).

أن القلب الهادئ الصامت هو وحده الذى يستطيع التأمل فى سماء عناية الله التى تظللنا، أو يتبين أقل همسة من صوته فى الجو الهادئ، أو يدرك ملء نعمته وقوته. حينما نسكت أنفسنا كفطيم فحينئذ فقط نصل الى الموقف الذى فيه يتدخل الله لمعونتنا. ليس المطلوب أن نكون صامتين أمام اله، بل كحمامة صامتة وسط الغرباء، كنعجة صامتة أمام جازيها "كفوا (أو "اصمتوا" كبعض الترجمات) واعلموا انى أنا الله.

اتعالى بين الامم. اتعالى فى الارض" (مز ٤٦ : ١٠) والنفس التى تعلمت أن رب الجنود بجوارها واله يعقوب ملجأها هى الخليقة بأن تصمت وتنتظر، وتسرع بأن تسكب كل احزانها الخفية أمام ذلك الصديق الالزق من الاخ. فى ذلك الحصن الحصين تلجأ كما فى محاجئ الصخر لتختبئ من العواصف القاصفة.

اطع : كما رأينا فى هذه الرواية كذلك فى النعمة يجب ان يكون هنالك تعاون بين الله والانسان. فاسوار أريحا لم يكن ممكنا أن تسقط الا بقوة الله، على ان بنى اسرائيل فى نفس الوقت كان يجب أن يدوروا حولها. والله وحده هو الذى يستطيع ان ينمى حبة الحنطة ويعطيها جسما حسبما يشاء، ولكن الانسان يجب ان يحرث ويزرع ويحصد ويدرس ويطحن. وابن الله وحده هو الذى كان فى استطاعته ان يبارك الخمسة ارغفة ويقيم لعازر، ولكن الانسان كان يجب ان يقدم الارغفة للمسيح، وان يوزعها على الجماهير، وان يرفع الحجر عن فم القبر. والله وحده هو الذى يستطيع ان يزيل العراقيل التى تقف فى طريق الحياة المباركة المكرسة، ولكن هنالك واجبات يجب علينا ان نتممها.

وما هى هذه الواجبات؟ فى بعض الاحيان نحن نرفض الطاعة التى يجب ان نقدمها فى الحال. هنالك اشياء يجب ان نعملها ولكننا لا نتممها. وهنالك خطر لا يقل عن هذا وهو اننا نفعل أكثر مما ينبغى، كأن نحاول تسلق الاسوار التى امرنا بأن ندور حولها فقط، أو نهتف قبل

ان يصدر الينا الامر بالهتاف. أو ندور حول المدينة أكثر من المرة الواحدة التى امرنا بها يوميا. ليس من الأمر الهين ان ندرك باننا اذا اقتصرنا على الحد المطلوب، ولو كان ضئيلا فى أعيننا. يكون العمل أتم وأكمل. واننا نوفر الوقت بالاستراحة فى خيامنا صامتين. وانه "باطل هو لكم ان تبكروا الى القيام مؤخرين الجلوس (للراحة). لكنه يعطى حبيبه نوما" (مز ١٢٧ : ٢).

اذن فكل ما تقتضيه ارادة الله منا ـ سواء للعمل أو للامتناع عن العمل ـ فيجب علينا الطاعة السريعة. ونترك له اتمام الباقى. فى الشهادة للانجيل قد يطلب من البعض حمل تابوت العهد المقدس وقد يطلب من الآخرين الهتاف بالبوق بصفة مستمرة كعربون لهتاف النصرة، وقد يطلب من غيرهم ان يؤدوا العمل اليومى العادى فى صمت تام. على ان موقفنا جميعا يجب ان يكون موقف يشوع فى طاعته العسكرية السريعة اذ نطق بهذه الكلمات الرائعة : "بماذا يكلم سيدى عبده".

ليكن لك ايمان. حول النظر عن كل استعداداتك، بل حتى عن الاعمال التى أمرك بها الله، الى الله نفسه. واذ تفعل ذلك تجد ان كل صعوباتك قد ذابت وتلاشت، ذلك الحجر قد تدحرج عن فم القبر، وذلك الباب الحديدى قد فتح من تلقاء ذاته، وتلك الاسوار الضخمة قد سقطت.

سلم لمخلصك كل الصعوبات التى قد تبدو مستحيلة التغلب عليها، والتى تقف عثرة فى سبيل تمتعك باسمى ما اشتراه لك المسيح. انتظر أمامه صامتا حتى تعرف ماذا يريدك ان تفعل. وفى نفس الوقت احرص بان تخلع عنك كل ما يتعلق بالماضى، وتطهر نفسك من كل دنس الجسد والروح، ثم افعل ما يأمرك به مهما كلفك من نفقة. ثم ثق بانه يعمل من أجلك، وان المعوجات ستصير مستقيمة والعراقيب سهلا، وان مجد الرب سوف يرى فى قلبك وفى حياتك (اش ٤٠ : ٤)، فيضطر كل من يراك للاعتراف بأن الرب قد عظم العمل معك. "قد دفعت بيدك اريحا" فضع قلبك على هذه الكلمة المفرحة. ورغم أن الاسوار لازالت قائمة، فاعتبرها كأنها قد سقطت، وانك اذ ترى اطلالها سوف تتقدم منها الى امتلاك الأرض.

(٢) فى الخدمة المسيحية :

يتحدث الينا الرسول عن الحصون التى يجب هدمها، وكل علو يرتفع ضد معرفة الله، ويؤكد انه لم يحارب ضدها حسب الجسد، وان اسلحة محاربته ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون واستئسار كل فكر عال ومتكبر الى طاعة المسيح (٢كو ١٠ : ٣ ـ ٥).

ما أشد حاجة كل الخدام المسيحيين للتأمل فى هذه الكلمات المخصبة. ان الخطر الذى يتهددنا فى هذه الأيام هو ابتعادنا عن بساطة الكنيسة الأولى التى لم تتقدم لمحاربة الخرافات والخطايا الفاضحة السائدة

فى عصرها بأى سلاح سوى السلاح الذى ترمز اليه هذه الحادثة القديمة العهد. فقد كانت هنالك الثياب الكهنوتية النقية البيضاء، كان هنالك رفع كفارة المسيح، الهتاف بالبوق، اذاعة رسالة الانجيل. بمثل هذه الاسلحة تلاشت الرجاسات الشنيعة، وتبددت أنظمة العبادة الوثنية البغيضة، كما يتبدد ضباب الصباح أمام أشعة الشمس.

بأية حسرة وألم ينظر شهداء وقديسو الكنيسة المسيحية الأولى ورسلها وأنبياؤها الطرق التى نتخذها نحن اليوم لمحاربة الانواع المختلفة من الرذائل والقبائح التى تواجهنا. فالمسكرات تحتمى خلف حصون قوية ـ حصون وأسوار النظم الاجتماعية والعادات السائدة، والعرف المألوف فى الدولة، والارباح الطائلة. والنجاسة قد شيدت لنفسها حصنا منيعا، فاصبحت تتباهى مفاخرة فى شوارعنا بكل وقاحة وجرأة، وتهزأ بنا من معاليها فى صالات الموسيقى والرقص ودور التمثيل. وتجارة المخدرات تهزأ بنا لتعضيد الحكومات لها، وقد تفشت بين الكثيرين حتى أصبحت عادة متأصلة، ولا يضيرها أن تدفع المبالغ الطائلة فى سبيل الاحتفاظ بحقها فى الوجود. وفساد القلب البشرى نوع آخر من أريحا، فيه قامت ابراج الاعتقاد بمخاطبة الارواح Spiritualism وعدم الاكتراث، والكبرياء، والغطرسة، هذه كلها التى ترتفع ضد ناموس الله. وفى حياة كل خادم مسيحى توجد اريحا فى جمود احساس زملائه الخدام، روح المقاومة من المسيحيين الاخرين، أو أشكال خاصة من الخطية متفشية فى الدائرة التى

أوكلت اليه.

حينما نواجه بكل هذه فاننا نميل الى محاربة العالم بأسلحته العالمية، وسلوك طرق هى أقرب للجسد منها للروح. هذا خطأ فاضح. فرجاؤنا الوحيد هو أن نلتزم الحدود الروحية المحضة، لان محاربتنا ليست مع لحم ودم، بل مع الأرواح الشريرة المستترة وراء كل ما يرى فى هذا العالم الحسى. واذا استطعنا ان نطرح الأرواح المظلمة التى تستتر وراء الشر لرأينا كل النظم التى تسندها قد تلاشت كعصافة تذريها الريح.

فلنكن اطهارا وقديسين، مخصصين بعض الوقت لفحص قلوبنا فى حضرة رئيس جند الرب. لنرفع ذبيحة المسيح. لنضرب بوق الانجيل للانذار وللدعوة للتسليم. لنقض الأوقات الطويلة فى صلاة صامتة أمام الله. لتكن لنا روح الاخوة والمحبة كما نسيت اسباط اسرائيل كل الفوارق التى بينها وجردت نفسها حملة واحدة ضد العدو، وفوق الكل لنؤمن برفقة الله لنا وتعاونه معنا ــ وحينئذ نرى المعجزة القديمة تكررت، وأسوار أريحا سقطت.

(٣) فى تاريخ الكنيسة :

يقينا ان رواية أخذ أريحا جديرة بان تقرأ كمثل لما هو عتيد أن يكون. نحن نعلم ان العالم قد وضع فى قبضة الشرير. وانه يفتخر على الله، منذ العصور السحيقة، بأسواره الحصينة وأبوابه المنيعة. ويبدو كأنه لا يمكن أن يأتى الوقت الذى فيه يسبح المرنمون ويهتف الملوك.

وفى نفس الوقت ان اسباط كنيسة المسيح المختلفين يدورون حول الأسوار معرضين للهزء الكثير والسخرية الشديدة، ولو ان الذين انساقوا فى تيار العالم يحسون فى بعض الأحيان بالألم الممض حينما يذكرون الدينونة العتيدة. لا تزال أسوار المدينة يلف حولها منذ تسعة عشر قرنا، والبوق يضرب، والشهادة مستمرة. ويقينا ان الأيام السبعة أوشكت على الانتهاء.

لعل امتلاك أرض كنعان ليس الا صورة مصغرة لما عساه أن يحدث فى المستقبل القريب. لقد سلم الله ممالك العالم لأبنه، ولكنها يجب أن تحاط بجنود مختاريه الى أن يبطل كل رياسة وكل سلطان وكل قوة.

الفصل التاسع
توقف ثم هزيمة
(يشوع ٧ : ١ و ٢)

والآن أيها المؤمنون اسمعوا نداء الحرب : اثبتوا فالأرض امامكم مفتوحة.

كملوا جهادكم لتنالوا الراحة الموعودة على أن طريقنا للمجد كثيرا ما ظللته السحب القاتمة.

(كبل)

استغرق غزو كنعان سبع سنوات، وفى كل هذه المدة الطويلة لم يخسر اسرائيل الحرب سوى مرة واحدة. والواقع ان الستة وثلاثين رجلا الذين ضربهم أهل عاى يبدو أنهم كانوا كل الخسارة التى حلت بجيوشهم. ويحدثنا الوحى عن هذه الهزيمة بكل دقة لانها تحمل دروسا فى غاية الأهمية لاسرائيل، ولنا نحن أيضا.

كثيرا ما منى الأغلبية الساحقة من المسيحيين بمثل هذه الهزيمة. فانهم بصفة مستمرة يهربون أمام أعدائهم. ينهزمون أمام الخطية الساكنة فيهم، أمام هجمات الشيطان، وأمام الشرور العظيمة التى يجاهدون ضدها باسم الله. وبدلا من أن يتألموا بسبب هزيمتهم فانها تصبح عادة مألوفة. صحيح انهم يتألمون وقتيا، ولكن التأثير سرعان ما يزول. انهم لا يرتمون أمام الله متلهفين لمعرفة سبب الفشل، ويعالجونه، ثم يتقدمون

من منظر الانكسار الى منظر الانتصار لو اننا عنينا بالبحث عن أسباب هزائمنا لحصلنا على نتائج ثمينة جدا فى صفاتنا وحياتنا لا تقل عن نتائج الانتصار.

كانت هنالك ثلاثة أسباب لهذه الهزيمة.

(١) كانوا واثقين فى أنفسهم بسبب صغر مدينة عاى :

كانت اريحا قد أصبحت أطلالا دارسة. فان اسرائيل "حرموا كل ما فى المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف". ولم يبق منها الا "الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها فى خزانة بيت الرب "وراحاب وبيتَ أبيها وكل مالها"، "ورداء شنعارى نفيس ومائتا شاقل فضة ولسان ذهب" سوف نتحدث فيما بعد.

لم يخش يشوع أى هجوم من الخلف. ولذلك فانه ثبت وجهه فى الحال نحو داخلية البلاد. واختار واديا عميقا متجها نحو الشمال كطريق لعبور جيشه. يلتقى هذا الوادى بواد آخر على بعد ثمانية أميال من فتحته. وعند ملتقى الاثنين تقع مدينة عاى الصغيرة. وعدد سكانها ١٢ الفا.

وكان عدد رجال الحرب فيها الفين، ولكن الموقع كان حصينا ومتملكا على مدخل الوادى، ولذلك فان يشوع لم يكن أمامه سوى أن يستعد لها بضربة قاضية تقضى عليها كما حل بأختها أريحا.

عند عودة الرجال الذين أرسلوا ليتجسسوا الموقع قرروا أن المدينة أصغر

جدا من أريحا، ولذلك فانها تحتاج لوقت أقصر وقوة أقل. كان يلزم كل الجيش، أما عاى فيكفيها نحو ثلاثة آلاف رجل. "لا تكلف كل الشعب الى هناك لانهم (أى أهل عاى) قليلون".

ولكن هذا التقرير يشعر بان أخذ أريحا يعزى لهجوم جيش اسرائيل، مع انهم فى الواقع لم يبذلوا أى مجهود معها، وكل ما فعلوه انهم طافوا حولها وهتفوا. أما الذى أخذها ثم سلمها لأيديهم فهو رئيس جند الرب. والدمار الذى حل بها لم يكن بفعل أيديهم بل بضربة يده. لذلك فقد كان حديثهم هذا تجاهلا لحقيقة الامر الواقع. واعترافا بان نصرتهم كانت نتيجة بعض الصفات الموروثة فيهم. واشارة الى انهم ان كانوا قد انتصروا على اريحا فلابد ان ينتصروا على عاى أيضا.

ان أشد الأوقات خطرا على الحياة المسيحية هى الساعة التى فيها نتيه عجبا بسبب انتصار حديث. حينئذ تأتى التجربة تذبح لنا الذبائح وتقدم لنا البخور ولكن الى الخراب والدمار. اننا نعظم من شأننا فى الحرب حتى تحتل الذات كل التفكير. ونفتخر بأننا قد أخذنا الارض بسيفنا، وذراعنا خلصتنا. واذ نتباهى بانتصارنا العظيم فى أريحا فاننا نحتقر عقبة ضئيلة كعاى. ونحاج أنفسنا باننا ان كنا قد نجحنا فى الواحدة فاننا يقينا سوف ننتصر بسهولة على الأخرى. وهكذا يحدث غالبا أن النجاح العظيم فى العلن يعقبه سقوط فى السر، وأن أولئك الذين يكتسحون أمامهم كل شئ على المنبر ينهزمون أمام شهوة بسيطة أو أمام حدة الطبع. والذى يحدث بعد ذلك ان الالم المرير لهذه الكسرة يبدد كل أثر

لنشوة السرور لتلك النصرة، ان أشد الاوقات حاجة للنصيحة "اسهروا وصلوا" هو عندما يكون العدو قد ولى الادبار امامنا. حينما تتم النصرة العظيمة على جبل الكرمل ـ كما حصل مع ايليا ـ ويعود الشعب الى بيوتهم بعد ذبح جميع انبياء البعل، فلنحرص على أن نصعد الى قمة جبل الكرمل الذى تمنطقنا فيه للجهاد العنيف، ونجثو على الارض واضعين الوجه بين الركبتين للصلاة.

لو أن يشوع فعل هذا لما انخدع بكلام الجواسيس ووضع كل اتكاله على مجرد الاستعدادات الحربية، ولما دبر أمره على أساس احتقار صغر المدينة، ولما اضطر ان يرى جنوده متقهقرين فى حالة الذعر الشديد.

فى الحياة المسيحية ينبغى ان لا نحتقر أى شئ مهما كان تافها، وينبغى ان لا نتوهم باننا نستطيع التغلب عليه بقوتنا لحقارته. وطالما كنا بعيدين عن الله فان أصغر تجربة تدحرنا. وان حالة الضعف فينا بالغة أشدها حتى أن الخطية مهما كانت حقيرة فى حد ذاتها تعجز عن أن تقف أمامها أقوى قوة فينا. والانتصارات التى ننالها فى الشركة من الله لا تورثنا قوة، بل اننا نظل ضعفاء كما كنا، وحالما نصطدم بأضعف الاعداء فاننا حتما سوف نخر صريعين طالما كنا بعيدين عن الله. اذا فالايمان والسهر، والشركة مع الله ـ التى نجحت أمام أريحا هى وحدها التى يمكن أن تكون مفتاح النجاح أمام عاى.

(٢) وقصروا فى أنتظار الله :

كان فى وسطهم حرام قطع الصلة بينهم وبين الجنود التى كانت

تعمل تحت قيادة القائد السماوى الذى ظهر ليشوع. ورغما عن انه كان أمرا اليما جدا للرب ان يسبب الحزن لشعبه الا أنه من أجلهم ومن أجل اسمه القدوس كان ينبغى ان تدان الخطية وان تنتزع فى الحال. كان ضمن الحجج التى قدمها يشوع "وماذا تصنع لاسمك العظيم"؟ ولكن لاجل نفسى هذا السبب سمح الله بالهزيمة.

ليس هنالك أقل شك فى أن يشوع لو كانت شركته بالله متصلة لأعلن اليه روح الله وجود الشر وسط الجماعة، وبذلك كان يكتشف عاخان ويدان قبل التقدم الى عاى. هذا ما حدث فى الحالة المماثلة فى أعمال الرسل، فان موقف عاخان من اسرائيل كان كموقف حنانيا وسفيرة من الكنيسة الأولى. ولو لم يتضمن الاصحاح الخامس من سفر الاعمال خبر اكتشاف بطرس ـ بارشاد الروح القدس ـ للحرام الذى ارتكبه حنانيا وسفيرة سرا لتضمن خبر هزيمة شنيعة أو كارثة ماحقة.

واذا جاز لنا ان نتخيل النتيجة التى كان ممكنا ان تحل بالكنيسة الأولى لو لم يستأصل هذا الشر من جذوره فاننا نقول اننا كنا مضطرين ليس فقط لحذف الاخبار التى تتحدث عن الآيات والعجائب التى صنعت بين الشعب، ووحدة التلاميذ وانفتاح أبواب السجن، بل لأن نضع بدلها أنباء عن هروب جماعة الله ـ التى لم يكن ممكنا الا أن تكون قليلة العدد جدا ـ أمام ثورة الاعداء، واضطرار بطرس لوضع وجهه فى تراب دور الهيكل، وعن مقدار الفزع الذى يملأ قلوب

القادة وعامة الشعب، وعن التجديف الذى يوجه لأسم الرب يسوع والتشهير الذى يلصق به. ولكن شيئا من هذا لم يحصل قط لأن روح الله استطاع أن ينطبق بشهادته بلا عائق.

من الأمور الجوهرية جدا ان نصغى لتحذير الرسول "لو حكمنا على أنفسنا لما حكم علينا" ان الله يرى الشرخ الضئيل جدا فى الطينة التى تصنع منها الآنية الفخارية، ويرى بداية العطب فى الفاكهة، والقرحة البسيطة التى تهدد الجسم كله. هذه كلها قد لا نتبينها نحن، أما هو فانه يعرف كيف انها تؤدى الى الفشل حتما، ولذلك فانه لا يتباطأ عن انذارنا بسببها. ولكن ما هى الجدوى ان كان يتحدث لآذان قد صمت، أو لأولئك الذين اغتروا بحكمتهم، أو افتخروا بنصرة لم تكن الا عطية منه؟ وسط نشوة المسرات العالمية والمجون لا يمكن أن نرى اليد الخفية التى تكتب على الحائط، ووسط نصائح الانبياء الكذبة المتكررة بصفة دائمة لا يمكن أن نستشير الصوت الواحد الذى قد يخطئ آراءنا. لعله لا توجد تجربة واحدة تحل بنا دون سماح من الله. ومع أنه يسمح بها الا انه يحذرنا منها، يرفع الصوت وهو متيقظ وحده ونحن نيام، ينبهنا اليها قبل حلولها. وهو لا يكتفى بهذا، بل يحذرنا أكثر من مرة ومرتين، بل يحركنا بأصابعه التى تروعنا اذا كنا غير متنبهين، غارقين فى سبات عميق.

وحينما يكون أولاد الله غافلين ـ كيشوع ـ عن أصوات الانذار

التى تتحدث بكل هدوء وسكون وبنغمة منخفضة فان الله يضطر بان يتركهم سائرين فى طرقهم حتى تباغتهم كارثة مروعة تطرحهم على وجوههم الى الأرض. آه لو ان يشوع ارتمى على وجهه بالصلاة وسط هاتف النصرة على اريحا لما اضطر أن يرتمى على وجهه بقلب كسير وسط صراخ الكسرة وانزعاج الجيش. لو انه طلب مشهورة الله قبل ارسال الجواسيس لما اضطر ان يطلب المشورة عما يجب أن يفعله لاصلاح موقف الهزيمة. ان سكين التقضيب الحديدية يجب أن تمتد بالمتاعب للكثيرين منا لتفعل ما كان يجب أن تفعله سكين كلمة الله الفضية المنقية.

قبل أن نتقدم الى الامام خطوة جديدة، حتى ولو كانت وجهة الهجوم مجرد مدينة عاى المتواضعة، فمن الواجب، ومن الحكمة أيضا، ان نرجع الى الجلجال. فيبدو ان يشوع لم يرجع اليها بعد سقوط أريحا. يجب أن نختلى فى حديث روحى مع نصيرنا القدير، لنسأله عما اذا كان لديه شئ يقوله لنا، ونتوسل اليه ليعلن الينا ما قد يراه فينا من شر، ونستعرض أمام عينه الفاحصة اسباط قلوبنا لكى يفضح ـ قبل الحرب لا بعدها ـ عاخان الكامن فيها.

(٣) وتعدوا العهد :

١ ـ كان يشوع يميل لالقاء تبعة فشلهم على الله. فقد بدا له كأن الله أساء اليهم اذ اتى بهم الى مثل هذه الصعوبات الجسيمة. وكان

يبدو اليه، حسب حكمه الملتوى بسبب هذه الكارثة، انه كان الافضل للجماعة ان يلبثوا على الشاطئ الآخر لنهر الأردن "ليتنا ارتضينا وسكنا في عبر الاردن" فقد تجسم امام عينيه شبح الهزيمة القادمة والخراب التام. وكان حديثه ينم على ان ايمانه قد تركه، وأوصاله انحلت، ولم يعد بعد بطلا، بل أصبح مثل الكنعانيين أنفسهم الذين ذابت قلوبهم كما ذاب قلبه الآن. ولكن فى الواقع لم تكن التبعة على الله الذى كان مهتما بأن يقود شعبه الى أسمى درجات البركة، بل كانت كلها ملقاة عليهم.

تمر علينا أوقات نميل فيها لالقاء التبعة على الله : لماذا صنعتنى هكذا أيها الفخارى الاعظم؟ لماذا انتزعت من وطنى الهادئ، أو ابروشيتى الوادعة، أو منطقة خدمتى السعيدة، لكى يقذف بى فى هذا البحر المتلاطم الامواج؟ حينما نعانى ألم الهزيمة الناجمة عن قوة العدو الفائقة أو دهائه النادى فاننا نميل الى توجيه الذنب لله. وأما أن نقر بأن طبيعتنا كان يجب أن تكون أقوى مما هى عليه، أو انه قد اتى بنا من مكاننا الهادئ ووضعنا على سفح الجبل حيث تعصف علينا العواصف القاصفة. فاننا للأسف ننسى أن ابانا يجيزنا الأردن ليعطينا اختبارات أوسع، ويفتح أمامنا امكانيات أفسح، ويقدم الينا فرصة أحسن للوصول الى غناه الذى لا يستقصى. لا يمكن أن تكون مهمة دون الكفاية من النعمة، ولا عدو دون الكفاية من القوة الغالبة، ولا تجربة دون الكفاية

من النعمة التى تحول أبسط المعادن الى ذهب.

ليس من الضرورى أن نواجه الهزائم فى أرض الموعد. فانها تعزى على وجه الاطلاق لبعض النقائص أو العيوب فينا، كما أنها تسبب الحزن والألم لمحب النفوس الابدى. لا مبرر للهزيمة فى الحياة المسيحية. فان الله يقصد أن نكون أعظم من منتصرين (يعظم انتصارنا) فى كل زمان وفى كل مكان. وطريق الجندى المسيحى يجب أن يكون كالشمس اذ تخرج فى ملء قوتها وتسير بكل انتظام من الشرق حتى تنتصف فى كبد السماء. أيها المؤمن! لا تلق تبعة فشلك على الله، بل ابحث عنها فى داخلك.

٢ ـ والذى تعدى هو اسرائيلى واحد، ومع ذلك فقد قيل وقد أخطأ اسرائيل بل تعدوا عهدى". لا يقف أى واحد منا بمفرده، فاننا لا يمكن أن نخطئ دون أن نؤثر على الحالة الروحية لكل اقراننا ولو لم نشعر. ولا يمكن أن تبرد حرارتنا دون أن نعمل على خفض درجة حرارة كل القلوب المجاورة. كذلك لا يمكن أن نرتفع الى فوق دون أن نرفع معنا غيرنا. ولا يمكن أن تتحرك نجمة فى الفضاء دون ان تؤثر على مركز وسرعة باقى المجموعة. ولا يمكن أن تلقى ذرة الرمل على شاطئ البحر دون أن تؤثر على الذرات المجاورة. "ليس أحد منا يعيش لذاته ولا أحد يموت لذاته" (رو ١٤ : ٧). "ان كان عضو واحد يتألم فجميع الأعضاء تتألم معه. وان كان عضو واحد يكرم فجميع الاعضاء تفرح

معه" (١كو ١٢ : ٢٦).

لو كان الاسرائيليون يدركون كيف أن سلامة الجميع تتوقف على طاعة كل منهم، لكان كل فرد قد راقب اخوته، كما راقب نفسه، ليس من أجل خاطرهم فقط بل من أجله هو أيضاً. ولو كان أعضاء الهيئات المسيحية يدركون التأثير العظيم ـ فى الخير والشر ـ الذى يحدث نتيجة تصرف اى واحد منهم لتوفرت هنالك طاعة أكمل لوصايا العهد الجديد المتكررة المتضمنة حث الاقوياء لاحتمال ضعف الضعفاء، وحث العظماء للتنازل وغسل أرجل الادنياء، وحث الجميع لكى لا ينظر كل واحد الى ما هو لنفسه بل الى ما هو لآخرين أيضاً. "ملاحظين لئلا يخيب أحد من نعمة الله" (عب ١٢ : ١٥).

ان كانت هذه الكلمات تقع تحت ابصار اى نفس تدرك انها تلعب دور عاخان فلتتحذر، وطالما كان اليوم يدعى اليوم لتعترف، ولترد الحرام، ولتتب. ليس فقط لكى تنجو من الدينونة المحتمة، بل أيضا لكى لا تجلب النكبات والفشل على أولئك الذين تعيش معهم، ولكى لا تطوح بالابرياء فى فوهة المصائب العامة، فيد عاخان تلطخت بدماء الستة وثلاثين الذين هلكوا فى هروبهم الى شباريم.

٣ ـ ما أشد تغافلنا عن تحذيرات الله الصريحة. لم يكن ممكنا توضيح أية وصية أكثر من تلك التى أوصوا بها أن لا يمسوا أى شئ من غنائم اريحا. فالمدينة بكل من فيها وما فيها كان مقضيا عليها بالخراب التام،

عدا بعض أشياء معينة احتفظ بها لخدمة خيمة الاجتماع. ولعله قد قصد بهذا الاجراء حفظ بنى اسرائيل من التجربة التى كان لابد لهم من الوقوع فيها لو انهم أطلقوا العنان لشهواتهم فى غنائم المدينة. أما حرمانهم منها فكان القصد به تقوية أخلاقهم وتهذيب ايمانهم. ولكن شهوة العيون وشهوة الجسد وتعظم المعيشة جرفت وصية الله من قلب عاخان. وتيار الشهوة الجامحة اكتسحه وراء حدود كلمة الله.

وعلى أى حال يجب أن لا نكون قساة فى ادانته. فليس هو آخر من كسر وصية الله الصريحة. والكتاب المقدس ملئ بالتحذيرات من محبة العالم، ومحبة الملابس الفاخرة، ومحبة المال، وحب الانتقاد، والكبرياء، والطمع الجشع، والرداء الشنعارى، ولسان الذهب. ومع ذلك فان الآلاف من المسيحيين يكسرون هذه الوصايا الصريحة، كأن الله واحداً منهم، أو كأن كلماته لا قيمة لها. فلا عجب ان كانت قوات اسرائيل تلقى الهزيمة، وان كانت التكلمة القديمة تتحقق فى حياة الأفراد أو فى تاريخ الكنيسة "قد أخطأ اسرائيل بل تعدوا عهدى الذى أمرتهم به. بل أخذوا من الحرام. فلم يتمكن بنو اسرائيل الثبوت أمام أعدائهم. ولا أعود أكون معكم ان لم تبيدوا الحرام من وسطكم".

الفصل العاشر
وادى عخور
(يشوع ٧)

لن تتجمع سحب تحت الشمس الا وتعبر أخير فنرى وجه الله ثانية.

(كنجسلى)

أكانت تجربة مفاجئة تلك التى اكتسحت امامها عاخان حين دخل اريحا هو وبقية شعب اسرائيل؟ أم كانت نتيجة شر قديم نما وترعرع وأصل جذوره فى القلب دون ان يلقى من يقاومه؟ من المستحيل أن نجد جوابا شافيا. وكل ما نستطيع قوله هو ان القضاء المروع الذى حكم به علينا يجعلنا نعتقد ان هذه التجربة لم تكن نتيجة تسليم عابر للخطية. وهذا ما توضحه لنا القصة على الأقل : انه مساء يوم امتلاك اريحا. وقبل ان يتصاعد لهيبها فى كبد السماء، اختلس رداء نفيسا مما اشتهرت به شنعار، وبعض النقود الفضية ولسان ذهب، وحملها خلسة.

اننا نتصوره آتيا بها الى خيمته، حيث وجد من الضرورى أخبار بنيه بالأمر، لانهم لو لم يشتركوا فى اخفاء الجريمة لما اشتركوا فى قصاصه المروع. وبمساعدتهم حفر حفرة فى الرمل وأخفى الغنيمة، التى كانت حسب أمر يشوع مكرسة للرب.

تمت كل هذه العملية فى الخفاء، وكان واثقا من تضامن رفاقه فى

الخيمة، حتى انه وسط البحث العام عن السارق كان مطمئنا كل الاطمئنان ومتيقنا من عدم افتضاح أمره، الى ان اشار اليه أصبع الله الذى لن يخطئ قط، كأنه قد قال "انت هو الرجل".

ولكن يالهول الآلام التى كان يعانيها فى نفس الوقت. لقد ظل وقتا طويلا لم يفتضح أمره، وكان الضمير وحده هو الذى يشهد ضده، والقلب هو الذى يحفظ السر. أما منظر الدور الذى لعبه على سهول اريحا فطالما رددته ذاكرته حيث لم تكن هنالك جماهير المتفرجين الملتفين حوله، ولم يكن أحد يتفرس فى وجهه، ولم يأت أحد من الرسل المنزعجين الذين ركضوا فيما بعد الى خيمته لاخراج المسروقات من تحت الأرض.

وبعد عبور الثورة الأولى للسرقة، وهبوط حرارة الحمى، بدأت وخزات الضمير القاسية تحز فى قلبه لاحساسه بارتكابه هذا الشر العظيم. وفى فترة هدوء رد الفعل تحدث الضمير. وحينما سار مع بقية الجيش فى الوادى الى عاى، حينما رأى رفاقه يولون هاربين، حينما ركض بأقصى سرعة راجعا الى المحلة، حينما التقى باقرباء الستة والثلاثين الذين سقطوا فى الحرب، حينما رأى الذعر الذى استولى على يشوع وشيوخ اسرائيل، أدرك باحساس روحى لا يخطئ ان خطيته هى التى جلبت العار والخراب لاسرائيل. والآن لننتقل لدرس هذا الموقف الذى فيه اكتشفت خطيته، وكيفية تصرف الله بصددها، لاننا بهذا نتعلم شيئا

عن فعل ذلك السيف ذى الحدين، الذى يخترق مفاصل النفس والروح، ويميز افكار القلب ونياته.

(١) يجب ان يكون حزننا على الخطية أشد من حزننا على نتائجها:

مزق يشوع ثيابه، وسقط على وجهه الى الأرض امام تابوت الرب الى المساء، متألما بسبب الاهانة التى لحقت الشعب ومنذهلا بسبب النتائج التى قد تتبع هذا حالما تنتشر الاخبار. وبحسب نظرته التى لم تتعد ان تكون نظرة بشرية مجردة، كان يتوقع اسوأ النتائج حينما تدرك شعوب كنعان فجأة ان جيوش اسرائيل رخوة. هذا ما تخوفه يشوع : ان "يسمع الكنعانيون وجميع سكان الأرض ويحبطون بنا ويقرضون اسمنا من الأرض".

حالما نرتكب الخطية نتلفت حولنا خلسة لنتحقق ان كان قد رآنا أحد، ثم نحاول ان نمنع النتائج التى تنجم بطبيعة الحال. واذا ما فشلنا فى هذه المحاولة شعرنا بأقصى درجات الهوان والاذلال. فشاول كان همه الأول ان يأتى صموئيل ليعبد الرب معه وبذلك يكرمه فى عيون شيوخ اسرائيل أكثر من اهتمامه بعصيان وصية الله. اننا نفزع من نتائج الخطية أكثر من الخطية نفسها، نخشى افتضاح أكثر من ارتكابها، نعمل حسابا لما يقوله الناس عنا أو يفعلونه بنا أكثر مما نعمل حسابا لنظرة الألم والحسرة التى تبدو من محيا ذلك الوجه الذى يتطلع الينا من وسط جماعة الأرواح الممجدة فى السماء.

اما الله فانه على العكس من هذا. لان أشد ما يحزنه هو خطيتنا، وجهلنا ما تنطوى عليه الخطية من شر مستطير. اذا مرض الولد فان الذى يحزنه ما سبب له المرض من الحرمان من اقرانه، والحرمان من الرحلة أو الرياضة أو التسلية التى كانت تنتظره، أما الأم فان الذى يحز فى قلبها هو المرض نفسه الذى يدل عليه ارتفاع الحرارة أو سرعة التنفس. وانك لا تجد فى قلب الأم اثرا للحزن من أجل حرمان ابنها من متعاته لأن عطفها الذى يحنو على ابنها فى فراشة تتلاشى أمامه كل العوامل الأخرى.

قليلون جدا منا هم الذين يدركون حقيقة كنه الخطية، لاننا لم نختبر الحياة الخالية منها، سواء فى حياتنا أو حياة الآخرين. قد يتحدث البعض قائلين انهم قد تخلصوا من الخطية تماما، ولكنهم لا يعقلون ما يتكلمون به أو يؤكدونه . لم يولد بين النساء من هو خال من الخطية تماما سوى الواحد الأوحد. فالاطفال يبدون أمامنا كالزهرة الناصعة البياض التى لم تتلوث بأى ملوث، والقديسون يبدون بلا لوم ولا عيب ـ ولكن هؤلاء وأولئك لا يمكن أن يكونوا خالين تماما من الخطية طالما كانوا ينتسبون للبشرية الساقطة.

ومن الممكن بطبيعة الحال أن نتعلم شيئا عن قبح الخطية وشناعتها وكيف انها خاطئة جدا لدى التطلع الى آلام المخلص النفسية والجسمية فوق الصليب، وما كلفته من تضحية عظيمة جدا لمحبة الله، لدى

تذكرنا ما يقرره الكتاب المقدس من أن أشر أنواع المرض مرض الخطية، ولدى تأملنا فى الدود الذى لا يموت والنار التى لا تطفأ. ومع ذلك فان خير طريقة لمعرفة الخطية على حقيقتها هى أن نزداد اتصالا بالله الكلى القداسة. فكلما ازددنا معرفة له ازددنا فهما لفكره عن خداع قلبنا الشرير ووجدنا الخطية كامنة فى الموضع الذى لم نكن نظنه من قبل، فى عواطفنا، فى أعمالنا الدينية، فى تعجلنا فى الحكم على الآخرين، فى افتقارنا الى الرقة ودقة الاحساس والمحبة المشفقة، فى دينونتنا المرة لأولئك الذين كان من الممكن أن يرجعوا عن طريقهم لو انهم عوملوا باللطف والاشفاق وروح الوداعة. لنعلم بأن كل نظرة أو اشارة أو كلمة أو فكر لا يتفق مع المحبة الكاملة يدل على أن أصل الخطية لم يستأصل بعد من طبيعتنا، ومن أجل هذا يجب أن نحزن على الخطية نفسها أكثر مما على نتائجها. هذا هو الحزن المقدس الذى لا يحتاج الى أن نندم عليه. هنا الدموع التى يختزنها الملائكة فى قارورة الدموع. فى ساعات كهذه نحن نزداد اقترابا من العالم الأبدى الذى تبغض فيه الخطية، لا لأنها سببت طرد آدم من الفردوس، فهذا قد عوضننا عنه بما هو أفضل، بل لأنها هى الخطية.

(٢) يجب أن نسلم أنفسنا لحكم الله :

"فقال الرب ليشوع : قم. لماذا انت ساقط على وجهك" وكأنه قد قال له : انت حزين من أجل النتيجة، احزن بالحرى من أجل السبب.

اننى قادر على حفظ شعبى من هجمات أعدائهم، ولو أحاطت بهم كل شعوب كنعان، وقادر أيضا على حفظ مجد اسمى. ليست هذه هى الامور الجديرة بالاهتمام الآن، بل تلك السوسة التى تنخر فى أصل النبتة، وذلك الوبأ الذى يتفشى بين شعبى الذى فديته. اننى بذراعى احفظكم من كل الهجمات، اما انتم فاهتموا بالبحث عن الحرام وابادته.

كلما وجد الفشل المتكرر فى حياتنا لنثق بان هنالك شرا خفيا كامنا فى القلب وفى الحياة. قد لا يكون من الميسور دواما ان نحدد الموضع الذى يكمن فيه الشر. ولكن لنتأكد بانه فى وسطنا حرام، ولأجل هذا فلا نستطيع الثبات أمام اعدائنا. هنالك عيب فى الاسلاك التى توصل الينا تيار النعمة والقوة الالهية، ومن العبث ان نصلى الا بعد اصلاح ذلك العيب. ان الوقت الذى يقضى فى الصلوات السرية والجمهورية يحسن ان يصرف أغلبه فى كشف أنفسنا لعين الله الفاحصة وكشف تصرفاتنا مع بعضنا البعض وسلوكنا امامه. ومن الخطأ ان نجثو على وجوهنا أمام الله طالبين بركة ـ وبنوع اخص بركة الامتلاء بالروح القدس ـ طالما كان هنالك شر فى قلوبنا يجب علاجه قبل ان ننال تلك البركة. ليست المسألة مسألة رغبة الله أو عدم رغبته. بل مسألة نواميس العالم الروحى التى تجعله لا يتحالف مع مرتكب الخطية بتعمد.

ايها القارئ العزيز. هل تحس انك سائر الى الوراء فى خدمتك

المسيحية. أو انك معرض للفشل المستمر أمام تجربة بسيطة؟ اذن يحسن ان تتوقف قليلا. ليس لكى تعقد اجتماع صلاة بل لكى تبسط حياتك وتكشف قلبك امام الله، حتى اذا كنت لا تعرف الشر الذى هو أساس تعبك فانه يكشفه لك، ذاك الذى له عينان كلهيب نار، والذى فى يده سيف حاد.

١ ـ وفى تحرى أسباب الفشل يجب ان نكون مستعدين لمعرفة أسوأ الامور، ولعل هذا هو أصعب الشروط واقساها. نحن كلنا ـ كالنعامة ـ نخبىء رؤوسنا فى الرمال من الأخبار غير السارة. ان صوت العزيمة الحديدية أو المسيحية الناضجة هو الذى يستطيع ان يقول دون أقل تردد "دعنى أعرف اسوء الامور" ولكن لنذكر ـ ونحن نكشف أنفسنا للطبيب الصالح ـ انه هو عريسنا، ان عينه تشع محبة وشفقة، انه لا يريد أن يكشف أصل التعب الا لكى يزيله، وبذلك ننال ملء الصحة والقوة والبركة.

وهو سوف يحصل على نتائج بحثه بطرق معروفة لمحبته وعطفه ورقته. فلا تجزع ولا تفزع. لا تندفع من الواحد الى الآخر لطلب المشورة. لا تربك نفسك بمحاولة تمييز صوته وسط الاصوات الصاخبة "كفوا (اصمتوا) واعلموا" (مز ٤٦ : ١٠). ان مسئولية كشف اخطائك لك ملقاة عليه كلها طالما كنت قد وضعت كل شئ فى يديه. اتركه هنالك وانتظر. ان كان لديه شئ يقوله فانه سوف يقوله يقينا، بكل

وضوح، وبدون أى خطأ. وان كان لا يقول شيئا فلأن الوقت المناسب لم يحن بعد. ولكنه غدا، وفى الصباح، قد يتحدث اليك، ويسر كل شئ اليك. وفى نفس الوقت انتظر، وثق.

٢ ـ وحينما يعالج الله الخطية فانه يتتبع تسلسلها حتى يصل الى أصلها. لاحظ كيف يحرص المؤرخ أن يذكر مرتين سلسلة نسب عاخان. فى كل مرة يقول "عخان بن كرمى بن زبدى بن زارح من سبط يهوذا" (ع ١ و ١٦ ـ ١٨).

هنالك، فى الصباح الباكر، وقف يشوع وفينحاس لاكتشاف المتعدى بمساعدة الاوريم والتميم، مر رؤساء أسباط اسرائيل أمامهما فأخذ سبط يهوذا. ثم مرت قبيلة يهوذا، فأخذت عشيرة الزارحيين. ثم مرت عشيرة الزارحيين، فأخذ زبدى. ثم كرمى، ثم عخان. كيف جمد قلبه حينما أدرك قرب النهاية المحتومة.

على ان الخطية متشبعة. ولكى نعالجها علاجا شافيا ينبغى الرجوع الى أصلها. فكل الذين تتبعوا بدقة خطوات الحياة الداخلية يشهدون انه ينبغى انقضاء فترة طويلة بين أول بذرة للخطية فى فكرة منحرفة أو نظرة شريرة وبين زهرتها أو ثمرتها التى تظهر فى الارتكاب الفعلى للخطية. نحن عادة نعالج الاخطاء التى تظهر فى أعين الاخرين، والاحرى بنا الرجوع الى الباعث لها الكامن فى القلب قبل ظهورها ببضع ساعات، والى الاهمال فى ترك هذا الباعث هناك نحن لا ننتبه الا حين يتزحزح

الصخر من مكانه ويهدد بالسقوط على سقف منزلنا. أما الله فانه يريد أن يرجع بنا الى اللحظة التى حمل الريح فيها بذرة صغيرة، فأتت واستقرت فى أحد أركان القلب، ورغم ان التربة كانت ضئيلة الا انها استطاعت ان تتأصل وتمد جذورها، وكسبت القوة الكافية التى مكنتها من أن تشق الصخر الذى رحب بها. وبهذا التأمل الدقيق فى صغائر الامور فى بدايتها يريد الله ان يحصننا ضد كبائر الخطوب.

ان ما ندعوها خطية هى نتيجة الأخطاء السابقة التى تساهلنا فيها منذ أيام أو أسابيع، والتى اكتسبت قوة داخل القلب بمرور الوقت. فجبال الثلوج هى نتيجة تزحزح بعض قطع صغيرة من الثلوج من أمكنتها قبل أن تداهم هذه الجبال بيوت القرويين ببضع أسابيع. اذا فما أثمن النصيحة التى يقدمها لنا الحكيم "فوق كل تحفظ احفظ **قلبك** لأن منه مخارج الحيوة" فاذا أردنا أن نحفظ أنفسنا من كبائر التعديات، علينا ان نحرص لحفظ القلب من الاخطاء الدفينة، التى تستطيع بدهائها ومكرها ان تفلت من كل شئ الا الضمير المحتفظ بيقظته وحساسيته بنعمة الروح القدس.

فى ضوء هذه الحقائق نزداد فهما لمعنى بضع آيات من أعمق ما ورد فى الرسائل ـ فيعقوب يحدثنا ـ ولا يوجد من يحدثنا عن موضوع كهذا خيرا من هذا الرسول القديس الذى رأس الكنيسة الأولى ـ قائلا "كل واحد يجرب اذا انجذب وانخدع من شهوته" وهذه تدل يقينا على

أن التجربة ليست أمراً خارجا عن النفس كما يتوهم البعض. ثم يستمر في الحديث قائلا "ثم الشهوة اذا حبلت تلد خطية. والخطية اذا كملت تنتج موتا". لاحظ هذه الكلمات «**اذا حبلت تلد**» انها عميقة جدا. في الطبيعة ينبغي انقضاء فترة بين الحمل والولادة، هي ما يسمونها فترة الحمل أو فترة التفريخ.

اذا فان كنت قد هزمت أمام عاى لا تكتف ان كنت قد اكتشفت عخان. بل استمر في بحثك حتى تعرف ما الذى اكسبه قوة ليؤذيك. وهكذا جد في طريقك متتابعا حلقات السلسلة الطويلة. الى ان تجد جده الأول في أمر لم يكن يخطر على بالك ولكنه هو أصل الداء. ونفس كلمات عاخان توضح لنا الامر جليا "رأيت .. فاشتهيتها. فاخذتها".

٣ ـ ويحسن بعض الاحيان ان نستعرض عشائر القلب والحياة. يجب ان نجعل عشائر كياننا الرئيسية ـ العلنية والسرية ـ تمر أمام الله، سلوكنا في اماكن العمل، في العائلة، في الكنيسة حتى تؤخذ احداها. ثم نفحص تلك العشيرة، ونتغلغل في كل اتجاهاتها وفروعها. ونحللها تحليلا دقيقا الى عناصرها الاولية، ونفحص كل عنصر. اذا استدعى مراجع الحسابات في احدى الدوائر المالية الكبيرة للبحث عن سبب العجز فانه ـ لبعض أسباب ظاهرة أمامه ـ يستبعد من بحثه بعض المستندات الخاصة بالنواحي المربحة، وهكذا يضيق دائرة بحثه قليلا قليلا.

هذا الواجب، فحص النفس، يجب ان يؤديه أقل الناس قابلية له، لانهم أشد الناس حاجة اليه. أما أولئك الذين تعدوا فحص ذواتهم فانهم لا يحتاجون الى مذكر، بل لعلهم يحتاجون الى النصيحة بعدم المغالاة فى هذا الواجب، وعدم اساءة استعماله. وعلى كل الذين يقومون به ان يعتمدوا على الروح القدس. وينظروا للرب المبارك عشر مرات مقابل كل نظرة لفساد قلوبهم. "ناظرين الى يسوع" هذا هو السر الحقيقى لنمو النفس.

(٣) ويجب ان لا تكون هنالك أية مناقشة مع الخطية عند اكتشافها:

"فأخذ يشوع عخان بن زارح والفضة والرداء ولسان الذهب وبنيه وبناته وبقره وحميره وغنمه وخيمته وكل ما له وجميع اسرائيل معه وصعدوا بهم الى وادى عخور. فرجمه جميع اسرائيل بالحجارة واحرقوهم بالنار ورموهم بالحجارة" بعدئذ كرر الرب الكلمات التى نطق بها قبل أخذ اريحا "فقال الرب ليشوع لا تخف ولاترتعب... قد دفعت بيدك ملك عاى وشعبه ومدينته وأرضه".

وبعد ذلك عبر يشوع الوادى الطويل آخذا معه ثلاثين الف رجل جبابرة البأس. كان كل شخص واثقا من نزاهته المطلقة، ولهذا لم يكن هنالك أى مبرر للهزيمة والفشل. اجريت الاستعدادات بكل مهارة، وكان تظاهرهم (اسرائيل) بالهرب داعيا لخروج كل رجال عاى من المدينة بكل تسرع لمتابعة العدو، فتركت المدينة تحت رحمة الكمين

الذى قام بناء على الاشارة التى أعطاها لهم يشوع، ودخل المدينة وأضرمها بالنيران. وفى نفس ذلك المكان الذى لقى فيه اسرائيل هزيمة مريرة أخذ الشعب غنائم وفيرة، سيما من البهائم التى ساقوها الى المحلة فى الجلجال.

حينما يعجز القلب والجسد، حينما ترفض اليد اطاعة الارادة الخائرة، ان كان الشر قد فت فى عضدنا فاصبحنا عاجزين عن رفع الحجر أو مسك السكين أو قدح الزناد لخروج الشرارة لتوليد النار، فانه حينئذ يفعل نيابة عنا ما يجب أن يعمل، ولكننا عجزنا عنه. قد نعثر على البعض ممن أوتوا قوة كافية بها يستطيعون رفع الفأس لزحزحة الحجر أو قطع الذراع المتسمم قبل ان يسرى السم الى باقى الجسد. ولكن البعض الاخر يجب ان ينتظر مبضع الجراح. على أن الدرس الواحد الذى يجب أن يتعلمه الجميع هو ان نسمح لله بأن يتمم عمله فينا وبنا ونيابة عنا.

وهكذا يتحول وادى عخور الى "باب الرجاء" (هو ٢ : ١٥) فان اسرائيل سار من ذلك الوادى المحدب الى النصر، أو ـ حسب الخيال الرائع الذى صوره لنا هوشع ـ أن الشعب سار وسط حقول الحنطة والكروم والزيتون، وتغنى هناك كأيام صباه، وكيوم صعوده من أرض مصر. ياله من تشبيه صادق، فاننا فى الحياة الداخلية اذا التقينا بوادى عخور. وادى الضيق والتعب والألم، لابد أن يتحول الى "باب للرجاء" باب الدخول الى جنة الرب متى أدينا واجبنا بمنتهى الامانة والاخلاص، وحينئذ نتغنى أغنية جميلة، وننشد انشودة الفرح والانتصار، فيبدو كأن مرح الشباب امتزج باختبارات الشيخوخة ونضوجها.

الفصل الحادى عشر

عيبال وجرزيم

يشوع ٨: ٣٠ (١)

اذن يا ابن الأبدية حب أباك الرحوم. أرد ما يريده القدوس، لا عن رهبة بل رغبة فالرهبة شيمة العبيد، والرغبة شيمة المحبين. ولا يقوم أمام الله الا الكمال والكمال هو المحبة، المحبة ولا سواها.

(لونجفيلو)

كان هذا أحد المناظر المؤثرة الشديدة التى حصلت أثناء احتلال أرض كنعان. فاريحا وعاى صارتا كومتى رماد، وملكاهما وشعباهما أبيدوا عن آخرهم، وساد القرى التابعة لهما صمت رهيب. وسرت الأنباء فى كل أرض عن قدرة اله اسرائيل. ولابد أن تكون الأنباء قد تخطت حدود العالم المنظور الى عالم الأرواح الشريرة التى ظلت طويلا تملأ الأرض المختارة بنجاساتها الدنيئة وعباداتها البذيئة فأذلت من تشامخها وكبريائها. لابد أن يكون ذلك العالم غير المنظور، عالم الظلمة، قد ساده الفزع كما حصل فى تلك الساعة التى ولد فيها المسيح حسبما يصوره لنا ملتون الشاعر الانكليزى المعروف فى قصيدته الرائعة عن الميلاد.

---

(١) حينئذ بنى يشوع مذبحا للرب اله اسرائيل فى جبل عيبال كما أمر موسى عبد الرب بنى اسرائيل.

ويبدو أن شعوب كنعان سادها الفزع بدرجة شديدة جدا حتى انهم لم يظهروا أية مقاومة ولم يحاولوا أية معاكسة، لأن كل اسرائيل ارتحلوا ثلاثين ميلا لتأدية واجب دينى أمروا به بصراحة أكثر من مرة من واهب الشريعة الاعظم الذى كانت كلماته المرشد الأول لهم.

"فيوم تعبرون الأردن الى الأرض التى يعطيك الرب الهك تقيم لنفسك حجارة كبيرة وتشيدها بالشيد. وتكتب عليها جميع كلمات هذا الناموس" (تث ٢٧ : ٢ و ٣، ١١ : ٢٦ - ٣٢). لم يضيع يشوع وقتا فى اطاعة هذه الوصية الدقيقة العاجلة، بل بعد يومين أو ثلاثة أيام من سقوط عاى، ولعله بعد ثلاثة أسابيع من عبور الأردن، اجتمع كل الشعب فى وادى شكيم الممتد من الشرق الى الغرب، والقائم بين جبل عيبال بقممه الشامخة شمالا وجبل جرزيم جنوبا.

وهذا الوادى المحصور بين هذين الجبلين هو من أجمل بقاع فلسطين. تقع بئر يعقوب فى بدايته، وكل أراضيه اكتست بحلة سندسية خضراء من جنات وكروم وأشجار زيتون، امتدت حتى أسوار شكيم، وسرت فى الجو أصوات خرير المياه المتدفقة من الجداول والينابيع المتجهة فى كل الاتجاهات. أما عرض الوادى فيبلغ نحو ثلث ميل، أما قمم الجبلين فترتفع الى ميلين تقريبا. ومما يلاحظ أن الجبلين اذ كان يواجه أحدهما الآخر ويكاد يعانقه، وبينهما الوادى المزدهر بحقوله وبساتينه والبالغ عرضه نحو خمسمائة ياردة، كان منحدر كل منهما متدرجا

بحالة طبيعية كأن صفوفا من المقاعد قد صفت على جانبه. وهكذا كان هنالك مدرج طبيعي (امفيتياتر) يتسع لعدد وفير من المستمعين، وكان الجالس على كل من الجانبين يستطيع الاستماع بسهولة الى الآخر، حتى ان الكائن تريسترام يتحدث عن استصحابه لجماعته يوما ما وتقسيمهم الى فرقتين جلست كل على منحدر أحد الجبلين وبدأت تتلو الوصايا العشر بالتتابع بنغمة الترنيم، فكانت كل فرقة تسمع الأخرى بكل وضوح.

أخذ يشوع شعبه الى ذلك الموضع لتقديم خدمة خشوعية تمهيداً لامتلاك الأرض.

(١) بناء مذبح على جبل عيبال :

كان جبل عيبال مقفرا ومجدبا. اذن فكان هنالك تناسب بين مظهره وبين الدور الذى لعبه فى الخدمة الرهيبة التى تمت فى ذلك اليوم لانه اجتمع على منحدره جمع حاشد، ستة أسباط بأكملهم، ردد اثنتى عشرة مرة بصوت داو كلمة "آمين" ردا على جماعة اللاوين المتشحين بالثياب البيضاء، اذ وقفوا مع يشوع والشيوخ والعرفاء والقضاة فى الوادى وقرأوا جميع كلمات اللعنة كل ما كتب فى سفر التوراه.

على ان هذا لم يكن أول ما أجرى فى ذلك الاحتفال المقدس فانه قبل أن يتخذ الشعب موضعهم على منحدرات الجبل بنى مذبح على منحدرات جبل عيبال السفلية. وفى تث ٢٧ نجد بعض التفاصيل عن

بنائه. حيث يتبين انه كان يجب ان يبنى من حجارة غير منحوتة لم يرفع عليها حديد، ولعل الحكمة فى ذلك اعاقتهم عن أى مجهود يبذل لاقامة شبه لله، ومنع كل المناظر الخلابة التى دفعت الأمم المجاورة الى الدعارة والفجور.

هنالك قدموا محرقات وذبائح سلامة. اما المحرقة فكانت تعرف باسم "محرقة وقود رائحة سرور للرب" (لا ١ : ٩ و ١٣ و ١٧) وكانت كل الذبيحة تحرق على المذبح. وهنا يشير الروح القدس اشارة ثانوية ـ لواجبنا نحو تقديم أنفسنا لله دون تحفظ. ولكنه يشير ـ اشارة أساسية ـ الى تقديم ابن الله نفسه لاتمام ارادة الأب فى فدائنا. لم يؤخر شيئا، ولم يكن هنالك أى تحفظ. بل اخلى نفسه. طوعا لا قسرا، لانه قال "ان أفعل مشيئتك يا الهى سررت" (مز ٤٠ : ٨). يالها من كلمة عذبة فى قلب الاب. ان كانت هنالك آلام مريرة فى أحد الجانبين، ففى الجانب الآخر مسرة جزيلة بعثتها المحبة اللانهائية.

وأما ذبائح السلامة فانها كانت أيضا ضمن محرقة وقود رائحة سرور الرب، ولكنها لم تكن تحرق باكملها، بل كان مقدموها يأكلون جزءا منها، للدلالة على ان لهم فيها شركة مع الله. اذن فان يشوع وممثلى الشعب المختارين اشتركوا فى جزء من الذبائح أمام اسرائيل اطاعة للوصية الالهية "وتذبح ذبائح سلامة وتأكل هناك وتفرح امام الرب الهك" (تث ٢٧ : ٧). لو ان أحد الحثيين من أهل البلاد رأى هذا

المنظر من وراء احدى الصخور لحكم فى الحال ان الرب يسر بسعادة شعبه. وان خدمته كرائحة الزهور. أو كوليمة الابناء على مائدة ابيهم. اننا نأكل من ذبيحة السلامة حينما نتأمل فى محبة الرب وموته عنا، وندرك فكر الاب نحو رضائه عن العمل العظيم الذى أتمه والروح التى اتمه بها.

واذ نجوز فى أرض الموعد يجب أن نحرص على ان لا نترك وراء ظهورنا تلك التأملات المباركة عن الدم الكريم الذى افتدينا به والذى هو حياتنا. فان أسمى وأبهج اختباراتنا لا يمكن أن تحل محلها، ويجب أن نذكر أنفسنا ونذكر الآخرين بصفة دائمة باننا خطاة افتدينا بالدم الزكى الثمين، وان كل رجائنا فى الخلاص، وشركتنا مع الله، والبواعث التى تدفعنا للخدمة ـ هذه كلها مستمدة مما فعله مخلصنا حين حمل خطايانا فى جسده على الخشبة.

وطالما كان هو قد مات هناك فلا مبرر قط لأن نقف على جبل اللعنة. لانه لم يحسب نفسه ثمينة عنده، وتلك المنحدرات الجرداء البغيضة صارت منظر الشركة المباركة مع الله. ونحن نجلس معه ونأكل من وليمته، ومن قمة الى قمة يطارد الفرح فزع اللعنة، ويبتسم الينا من الصخور الدهرية أما ينابيع المياه الحية المتدفقة فانها تعكس لنا نور الشمس وتشنف آذاننا وسيقاها العذبة ولانه سفك دمه فانه سيكون هنالك "طل ومطر وحقول تقدمات" على نفس جبل عيبال بخلاف

جبال جلبوع (٢صم ١ : ٢١)، الى أن تصير منحدراته كجبل البركة المقابل. آه أيها الرب المبارك، بأى لسان نستطيع أن نشكرك يا من فديتنا من لعنة الناموس وجعلت جبل عيبال مكان اللقاء مع الله.

(٢) الناموس فى كنعان :

وحول المذبح وضع بعض الرجال الأقوياء حجارة عظيمة، وكلسوها بالكلس أو الاسمنت الذى كان من الميسور أن يكتبوا عليها جميع كلمات الناموس بوضوح (تث ٢٧ : ٨). فى ذلك الجو الجاف حيث لا أثر للرطوبة أو الصقيع ليشقق الكلس أو يحلله كان ممكنا أن تبقى عدة أجيال تلك الكتابة المحفورة فى الاسمنت وهو لين أو المكتوبة بالمداد أو النقش على سطحه الأملس بعد جفافه كما هو الحال فى النقوش المصرية القديمة على الجدران. ونظرا لأن الوقت لم يكن يسمح بكتابة كل الناموس فمن المرجح أن أهم موارده الجوهرية فقط هى التى أودعت تلك الآثار العظيمة لكى تنقل للاجيال القادمة حالة اسرائيل وقت إمتلاك أرض فلسطين. كانت الكتابة شهادة قائمة عن الخطايا التى صيرت تلك الأودية الخصبة جرداء، كما كانت قائمة لتحريضهم على الطاعة التى يتعلق عليها المستقبل.

ولكننا اذ نحول النظر عن المعنى الحرفى الى الرمزى، ونتساءل عن المعنى الرمزى الذى تشير اليه كتابة الناموس فى موضع مرتفع كهذا فى أرض الموعد فاننا ندهش فى بداية الأمر. ماذا يمكن ان تعنيه؟ هل

هنالك علاقة، على أى حال، بين الناموس والنعمة؟ هل أولئك الذين يجلسون مع المسيح فى السماويات لا يزالون مطالبين بالناموس، أو "تحت الناموس" حسب تعبير الرسول؟ أليس حقيقيا اننا باتحادنا بالمسيح الذى مات قد انتقلنا من الدائرة التى كنا مرتبطين فيها ببعلنا الأول ـ الناموس ـ وتركناها وراء ظهورنا؟ ألسنا من أجل ذلك قد تحررنا من ناموس بعلنا الأول وارتبطنا بآخر، بذلك الذى اقيم من الأموات؟

لا توجد سوى اجابة واحدة لكل هذه الاسئلة. هى اننا قد متنا للعهد الذى كنا ممسكين به، والآن نعبد بجدة الروح لا بعتق الحرف. ونحن لا ننظر الى طاعتنا كأنها تهبنا الاستحقاق لننال رضى الله، أو نكسب أية بركة من بركات الانجيل. ولكن صحيح أيضا أن الايمان لا يبطل ناموس الله، وهو لا يزال يتعهد بكتابته واضحا على الواح قلوبنا فى أرض الموعد. فى كل واحد منا يوجد عيبال بمذبحه وحجارته. والنفس لا ترجع الى تلك المبادئ الأولى للحياة الكاملة قسرا من الخارج بل بدافع الروح القدس.

وهاك توضيح الأمر. فاننا عندما نسلم انفسنا بالتمام لروح الحياة الذى فى المسيح يسوع، والذى يسرى فينا سريان الدم فى العروق والشرايين، فانه يجعلنا سريعى التأثر بأقل وصية تصدر من ذاك الذى علمنا ان نحبه، ونرهب ان نرى أى أثر للألم على وجهه أشد من رهبتنا من آلام الضمير القاسية، ونجد سماءنا فى ابتسامته التى يعلن بها رضاءه

عن حياتنا وعن اعمالنا، والتى تعلو وجهه حينما نتمم أقل وصاياه، ونحس بالمحبة التى ملأ بها قلوبنا والتى تقدم لنا اسمى نواميس الحياة ـ وهكذا اذ نسلم ذواتنا له نجد انفسنا، دون ان نشعر، باننا نحفظ الناموس بطريقة كانت بعيدة عنا حينما كنا نمارس الناموس مجرد ممارسة سطحية خارجية. وعندئذ نصرخ مع المرنم "كم احببت شريعتك (ناموسك) اليوم كله هى لهجى" مز ١١٩ : ٩٧.

(٣) اجتماع الجماعة :

وبعد اتمام هذه الفرائض مثل المشهد الثالث والأخير لهذا الدور الرهيب. فى مركز الوادى استقر تابوت العهد مع مرافقيه من الكهنة واللاويين. وبجانبهم يشوع ورؤساء الاسباط والعرفاء والقضاة. وعلى منحدرات جبل عيبال جلس أسباط رأوبين وجاد وأشير وزبولون ودان ونفتالى. أما على منحدرات جبل جرزيم فجلس الاسباط الاكبر والأهم ـ شمعون ولاوى ويهوذا ويساكر ويوسف وبنيامين. وكأن صوت البركة يجب ان يكون أعلى من صوت اللعنة ـ نبوة على غلبتها الأخيرة ونصرتها.

"وبعد ذلك قرأ يشوع جميع كلام التوراة البركة واللعنة حسب كل ما كتب فى سفر التوراة. لم تكن كلمة من كل ما أمر به موسى لم يقرأها يشوع قدام كل جماعة اسرائيل والنساء والاطفال والغريب السائر فى وسطهم". واذ كان يقرأ بكل خشوع ـ سواء البركة أو اللعنة

ـ كانت كل فقرة يرد عليها بكلمة أمين، التى كانت تنبعث من الوف الحناجر، فتدوى كالرعد فى الفضاء، وتردد أصداءها الجبال المحيطة. ويندر أن تكون الارض قد شهدت هتافا عاليا كهذا.

خليق بنا أن نتأمل فى قائمة البركات الموعود بها لدى الطاعة والتى نجدها مفصلة فى الاصحاح الثامن والعشرين من سفر التثنية، لكى نتبين نظائرها الروحية، واذ تتكشف لنا نطالب بها. وعلينا (أولا) ان نتأكد من أننا مصطلحون مع الله (ثانيا) اننا سائرون حسب قصد الله متممون ارادته (ثالثا) اننا نعمل على مجد اسمه غير مبالين بمصالحنا الشخصية على الاطلاق. وعندئذ نجد أنفسنا قادرين على الانتفاع بالبركات التى لم نكن نحلم بها قط. عندئذ يفتح لنا الرب كنزه الصالح فى السماء، ويزيدنا خيرا، ويقيمنا لنفسه شعبا مقدسا تث ٢٨ : ٩ و ١٢.

وخير ما نختم به تأملاتنا هو أن نتوسل بأن يملأنا الله بروحه القدوس المرشد لكى نختار ما يرضيه، ولكى لا نحيد قيد شعرة الى اليمين أو الى اليسار عن طريق طاعته الضيق، حافظين وصاياه، مطيعين أوامره، سائرين حسب ارادته تماما.

وهكذا يمتنع غضب عيبال ويسكب جرزيم بركاته علينا. ويكون نصيبنا التطويبات التى افتتح بها الرب عظته الرائعة. ويكون نصيبنا ملكوت السموات، التعزية الالهية، الميراث الأرضى، الشبع والرحمة، معاينة الله، امتياز البنوية المباركة، وأخيرا الاجر العظيم (مت ٥ :١ ـ ١٢).

الفصل الثانى عشر
حيل الشيطان
(يشوع ٩)

ان الاخطار التى يجب أن نتجنبها تسعى اليها باقدامنا، وطريق الخطية نلجه بتغافلنا. والجو المسمم نخلقه حولنا. والباب الذى يجب أن يوصد نفتحه أمام عدونا.

(برايت)

تأهبت كل المملكة للحرب. والخلافات البسيطة تنوسيت، والمنازعات المحلية أوقفت، والعداوة المميته اكتسحتها ضرورة الساعة، واتحد الد الأعداء لمواجهة الفاغ الخطر. وكما إتفق الفريسيون والصدوقيون على قتل المسيح رغم العداوة القائمة بينهم منذ الدهور، كذلك فعل كل الملوك، الحثيون والاموريون والكنعانيون والفرزيون والحويون واليبوسيون، فأنهم "اجتمعوا معا لمحاربة يشوع واسرائيل بصوت واحد". كل الاحقاد زالت أمام هذا الخطر العام.

وصلت أنباء هذا التضافر الخطر الى المحلة فى الجلجال، حيث كان الرؤساء والشعب قد عادوا حديثا من زيارتهم لشكيم. والمرجح ان يشوع سمع هذه الانباء دون اضطراب كثير. أما الرؤساء فقد رحبوا بالانباء الاخرى التى وصلت فى نفس الوقت والمتضمنة بأنه فى امكانهم قطع معاهدة مع الشعب الذى اظهر استعداده للوقوف الى جانبهم فى تلك

الفترة الخطيرة على أن هذه المعاهدة كانت ستكلفهم من التعب مقدار ما كلفتهم خطية عخان ان لم يكن أكثر.

كلما فوجئنا بمتاعب ليس لنا عهد بها من قبل فلنتوقع بأننا قد نلتقى بتجربة كتلك التى قدمها الجبعونيون لاسرائيل.

(١) "عملوا بغدر":

فى أحد الايام استرعى التفات اسرائيل منظر غريب على أبواب المحلة. فقد تقدم اليهم جماعة من الغرباء كان يبدو عليهم انهم قادمون من بلاد بعيدة. لأنهم فى كل قطعة من ملابسهم وفى جوالق حميرهم كانت تظهر علامات الرحلة الطويلة. أخذوا "نعالا بالية ومرقعة فى أرجلهم. وثيابا رثة عليهم. وزقاق خمر بالية مشققة ومربوطة: وكل خبز زادهم يابس قد صار فتاتا". فاجتمعت كل جماعة اسرائيل لينظروا اليهم وهم داخلون. واذ مر الجبعونيون على الاسرائيليين وهم واقفون مشدوهين لهذا المنظر قال كل واحد للآخر: من هم، ومتى جاءوا؟ ومن أين جاءوا؟ فانه واضح انهم غرباء فى هذه البلاد. كان من الميسور جدا اظهار منتهى العطف عليهم بسبب التعب الشديد الذى كان يبدو انهم عانوه لطول السفر، ولم يشك أى واحد لحظة بان وراء هذا التظاهر المحكم يستتر جماعة من الحويين. ولكن هذا ما حصل. لأول مرة وقف فى تخم المحلة التى كانت مقدسة للرب جماعة من سكان كنعان الذين صدر الأمر صراحة لاسرائيل بابادتهم.

لو لم يكن هذا التظاهر لما سمح لهم بالوقوف فى تخم المحلة. بل لأرتفع صراخ الفزع من الجميع، ومنعوا هؤلاء القوم من أية محاولة للكلام. ولكن كلامهم كان معقولا، واشاراتهم الى الرب فى غاية الوقار، ومظهرهم يدل على أحقية أدعائهم عن أنفسهم، حتى انهم استهووا عقل يشوع والرؤساء والشعب تماما.

لا تزال هذه هى الطريقة التى نجرب بها، فان الشيطان يجربنا بحيله أكثر مما يجربنا بهجماته المباشرة الصريحة، ويجربنا بغرور وخداع الخطية أكثر مما يجربنا بحربها العلنى. وليس مما يدعو للعجب ان كان أولئك الذين ينجحون فى أريحا وعاى يسقطون فى الحبائل التى حاكها أهل جبعون بحيلهم. خير لك أن تلتقى بقيافا من أن تلتقى بيهوذا. والشيطان الأسود لا يخشى منه بقدر ما يخشى من الشيطان الأبيض.

تأمل فى تاريخ الكنيسة الأولى. فانها إذ لم يكن لها جاه أو ثورة أو علوم بشرية لتستعين بها نجحت نجاحا عظيما جدا فى ارساليتها الجوهرية فى القرون الأولى لوجودها، فحررت العبيد، ورفعت المرأة من حالتها الوضيعة، وهدمت حصون العبادة الوثنية ورذائل العلوم الفلسفية، وربحت عشرات الألوف للمسيح. لم يكن هنالك أقل مبرر للشك فى أنها سوف تتمم بسرعة ارادة مؤسسها الالهى نحو ملء العالم بانباء الفداء والكرازة بانجيله لكل الخليقة. وفى كل تلك الايام كانت كل خطوة تكلف الكثير من العناء بل من الدماء، قام ملوك الأرض، وتآمر

الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه. وجهت عشرة اضطهادات مروعة ضد تابوت العهد، مهددة بأن تجرفه فى سيل من الدماء "اضطهد التنين العظيم المرأة، فالقت الحية من فمها وراء المرأة ماء كنهر لتجعلها تحمل بالنهر" رؤ ١٢ : ١٣ – ١٥.

على أن نتيجة كل هذا كانت مرضية. فان المرائين لم يندمجوا بين صفوف المخلصين، وهؤلاء لم يحسبوا أنفسهم ثمينة عندهم حتى يكرزوا بانجيل المسيح سواء بكلامهم أم بحياتهم. كانت تلك الأيام هى التى مشى فيها القديسون على الأرض فى ثياب بيض، ولم يستح الله ان يدعى الههم، وكان الناس يجذبهم بهاء هذا الجمال السماوى.

وبعدئذ لجأ الخصم الى الحيلة بعد ان فشل فى أن يغلب بالقوة. فسادت الكنيسة روح الانقسام، ثم روح العالم، وعقدت محالفات بين الكنيسة والعالم، بين الحق والباطل، بين الانسان الجديد والانسان العتيق.

ومن تلك اللحظة ظهر التغيير على كنيسة المسيح. وما نالته من الجاه والنفوذ بسبب السطوة العالمية خسرته فى ناحية القوة الروحية والصفات الأساسية. من تلك اللحظة بدأت تضعف حياة الشهادة فى الكنيسة. واليوم بلغ بها الضعف مبلغا عظيما حتى غطاها الخزى والعار.

كم من نفوس صمدت أمام أنواع التجارب الظاهرة ولكنها ضعفت أمام حيل المجرب. فعلى المسيحيين حديثى الايمان أن يخشوا من أولئك

الذين يتقدمون اليهم بحجة انهم هم أيضا متدينون مثلهم، وغيورون مثلهم، ولكنهم يبتدئون بان ينصحوهم بعدم المغالاة. علينا أجمعين أن نحذر من هؤلاء الذين يدخلون خلسة الى عواطفنا، ومشوراتنا، وعائلاتنا، وأعمالنا، الذين يدعون الغيرة على المسيحية وهم بعيدون عنها، الذين يتحدثون عن اسم الله ومجده كذبا، والذين يعرضون علينا استعدادهم لبذل أقصى جهدهم لخدمتنا وهم يتآمرون على خرابنا. يوجد حولنا الكثيرون من الجبعونيين. "أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح. بل امتحنوا الأرواح هل هى من الله. لأن انبياء كذبة كثيرين قد خرجوا الى العالم" (١يو ٤ : ١) "ولكننى أخاف انه كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تفسد أذهانكم عن البساطة التى فى المسيح" (٢كو ١١ : ٣).

(٢) «من فم الرب لم يسألوا»:

يبدو أن رؤساء اسرائيل شكوا فى بداية الأمر فى هؤلاء الغرباء "فقال رجال اسرائيل للجبعونيين لعلك ساكن فى وسطى فكيف أقطع لك عهدا". ولكن شكوكهم تبددت حينما استمعوا الى روايتهم ورأوا العلامات الظاهرة التى تدل على رحلتهم الطويلة. هنا حقا كانت الفرصة لاظهار حكمتهم. لم تسنح لهم الفرصة الى الآن لاظهار شجاعتهم وقوتهم، ولكنهم على الأقل يستطيعون ان يبرهنوا الآن على بعد نظرهم. كان واضحا جدا أن هذا الأمر برمته يحتاج للرجوع الى فينحاس باوريمه وتميمه. ولكنهم "أخذوا من زادهم" المتعنن، علامة

على ارتضائهم بان يحسبوهم أصدقاء وحلفاء، وفعلا "حلف لهم رؤساء الجماعة". على أنهم "من فم الرب لم يسألوا".

يالها من كلمات تنذر بالسوء، بل تنذر بالمصائب. وهذا ما حصل فعلا. الى الآن كان الرب هو المحرك الاصلى لهم، أما الآن فلأول مرة يصبح المحرك الاصلى يشوع والشعب. فى كل الاصحاحات السابقة نقرأ هذه الكلمات "وقال الرب ليشوع". أما هنا فلا نعثر على هذه العبارة. لأن اسرائيل عملوا من تلقاء ذواتهم عن طريق رؤسائهم المنتخبين، ولذلك فانهم سقطوا فى الفخ بسهولة. لو أنهم استشاروا الرب لاكتشفت المؤامرة.

فنتعلم هذا الدرس الجوهرى. ان الحياة مليئة بالاشياء الغامضة المحيرة، وكثيرا ما يتعذر علينا أن نتبين الحق، فالعذارى الجاهلات يشبهن الحكيمات فى مظهرهن، والزوان يشبه الحنطة، والاجير يقلد تماما صوت الراعى، والشيطان يظهر تماما فى شبه ملاك نور، والطريق الواسع يفصله عن السكة السلطانية حدود بسيطة. اننا فى أشد الاحتياج لا الى المعرفة فقط بل الى الفهم لكى نميز الأمور المتخالفة كما طلب الرسول لأهل فيلبى (فى ١ : ٩و١٠).

فى رسالة العبرانيين (ص ٥ : ١٤) يتضح أن قوة التمييز هذه تنشأ "بسبب التمرن" وفى الفقرة السابقة المقتبسة من رسالة فيلبى يتبين أنها تعزى لأزدياد المحبة. ولكننا اذا تمشينا مع ما يعلنه لنا الوحى فى

الاصحاح التاسع من سفر يشوع موضوع دراستنا الآن نستطيع القول أن تلك القوة تنال بطبيعة الحال بالتعود على طلب المشورة من فم الرب.

لاتثق فى حكمك الشخصى. حينما تكون واثقا كل الثقة من أنك على حق فى عمل معين، فيحسن أن تزداد تأكدا برفع قلبك الى الله لتتبين رضاءه أو عدم رضاه. وحينما تدفعك البواعث الداخلية أو الخارجية للتعجيل فى اصدار الحكم بالاستناد الى استنتاجاتك الشخصية فاحرص بأن ترفع القضية من المحكمة الابتدائية ـ حكمك الشخصى ـ الى محكمة الله العليا. وان وجدت بعد ذلك بعض الشكوك أو التردد فاعلم بأن الوقت لم يحن بعد لكى تدرك كل ارادة الله. فى مثل هه الظروف انتظر، واضعا كل مسئولية الانتظار وما ينجم عنها على الله. والبث فى الانتظار. وكما ان السائح فوق الجبال اذا داهمه الضباب يفضل أن يقف منتظرا أو يضطجع حيث داهمه الضباب عن ان يهيم على وجهه لئلا يصل الى هاوية سحيقة، كذلك انتظر انت أيضا. ان كنت قد وضعت فى الله ثقة مطلقة فعليه هو أن يرشدك ارشادا واضحا لما يجب أن تفعله. وحينما يحين وقت العمل فانه يعطيك علامات واضحة لا تقبل الشك عن ارادته بدرجة أنك لا تستطيع بأن تخطئها "كل منتظريك لا يخزوا" (مز ٢٥ : ٣).

الحياة مليئة بالصعوبات. والحراب المسنونة تنتظر المتهورين المندفعين أسفل الحفرة التى قد غطيت فوهتها بطبقة رقيقة جدا من التراب. يجب

أن نحذر من فخ الصياد، والوباء الخطر السالك فى الدجى، والشبكة التى نصيت فى الخفاء، ومن الشيطان الذى يأتينا بمكر فى شكل الحية. على أن الصلاة سهم نافذ، وقبل أن تنفذ الى الشر فاذا بالشر ينفضح بعجزه، وإذا بنا نفوق من غفوتنا ساهرين.

قبل أن تدخل فى أية شركة ـ كاختيار شريكة حياتك، أو اختيار شريك فى عملك، أو الدخول فى أى مشروع يقتضى اشتراك الاخرين معك، يجب أن تطلب المشورة من فم الرب وهو لابد أن يعطيك اجابة واضحة، أما على فم صديق، أو ببعض ظروف استثنائية وغير منتظرة، أو بفصل من الكتاب المقدس. انه يختار رسوله المناسب، ولكنه يقينا سوف يرسل رسالة.

(٣) «محتطبو حطب ومستقو ماء»:

هنالك بعض الاقسام يكون الحنث فيها أفضل من تنفيذها، كما كانت الحالة مع هيرودس ازاء المعمدان. وان كان هنالك خطر من ابقاء هؤلاء الحويين لئلا يفسدوا اسرائيل فكان الأفضل جدا ابادتهم كبقية الكنعانيين بالرغم من القسم الذى قطعه الرؤساء على أنفسهم. على أن هذا الخطر قد اتخذت له الحيطة اللازمة باذلالهم فى خدمتهم "وجعلهم يشوع محتطبى حطب ومستقى ماء للجماعة ولمذبح الرب" احتفظ بهذا الوضع طويلا. ولكن مصيبة شديدة حلت باسرائيل فيما بعد لأن شاول بتهوره وجنونه كسر ذلك العهد الذى قطعه معهم يشوع والرؤساء

(٢صم ٢١).

هذا مثل جميل ومعز للطريقة التى بها يسيطر الله على اخطائنا ويخرج من خطايانا بركات، كما يخرج الكيماوى أجمل الاصباغ من اقذر المواد. قد يكون أحد قارئى هذه السطور قد دخل ـ خطأ أو بغير تبصر ـ فى محالفة مع جبعونى، سواء فى الزيجة أو فى الاعمال العالمية أو فى أية ناحية أخرى. ألاجل هذا يتركون دعوتهم العليا ويتنحون عن خدمتهم السامية للعالم؟ أيكفون عن أن يكونوا نصيب الله وخداما بين البشر؟ كلا. بل ليرجعوا الى الله بالتوبة والاعتراف فيعلمهم كيف يمكن أن تكون نفس هذه الصعوبات وسائط عظمى للمعونة، وبذلك يقطعون حطبا للذبيحة ويستقون ماء للمذبح، ويعملون على بنيان النفوس "من الآكل خرج أكل ومن الجافى خرجت حلاوة".

"ان كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهى ترتضى أن تسكن معه فلا يتركها. والمرأة التى لها رجل غير مؤمن وهو يرتضى أن يسكن معها فلا تتركه. لأن الرجل غير المؤمن مقدس فى المرأة والمرأة غير المؤمنة مقدسة فى الرجل. لأنه كيف تعلمين أيتها المرأة هل تخلصين الرجل. أو كيف تعلم أيها الرجل هل تخلص المرأة. ولكن الله دعانا فى السلام" (١كو ٧: ١٢ - ١٦).

من أعذب الأمور ان تفكر فى نعمة الله التى تغفر خطايانا كخطوة ابتدائية لتحويل نتائج تلك الخطايا الى بركات. كم رأينا فى حياة

قديسى الله ان تلك النبوة القديمة قد تحققت وهى انه "عوضا عن الشوك ينبت سرو وعوضا عن القريس يطلع آس" فتكون هذه "للرب اسما وعلامة أبدية لا تنقطع" (اش ٥٥ : ١٣).

صحيح ان النتائج الطبيعية لخطايانا قد تجرى مجراها. فيد السكير يجب أن ترتعش، والدنس يجب ان يتحمل نتائج خطاياه، والجبعونى يجب ان يظل خادما لك أبدا، على ان هذه النتائج لا تقضى القضاء المبرم بل تخدم المصلحة، لا تعوق بل تعمل على التقدم والنمو. انها تقطع الخشب وتستقى الماء لعرش الحياة لداخلية وبناء الأخلاق وتقدم أسمى المبادئ المسيحية.

الفصل الثالث عشر
يوم خالد
يشوع ١٠ : ١٤ (١)

هذا اليوم سيضيء الى الابد، وهو لك بمثابة كوكب الهى فى هذا العالم الملئ بالظلمات.

(بروكتر)

"لم يكن مثل ذلك اليوم" كان يوما فريدا فى تاريخ الغزو، وفى حياة يشوع. لاحظ هنا:

(١) المحالفة التى عقدت ضد اسرائيل:

كان اسرائيل قبل الآن يحارب مدنا منفردة ـ اريحا وعاى، أما الآن فقد اجتمع معا خمسة من ملوك الاموريين وهم، ملوك أورشليم وحبرون ويرموت ولخيش وعجلون.

كانت مدينة جبعون الخائنة هى هدف هذه القوات المتحالفة. أولا لأن انضمامها للاعداء قد هيج أشد السخط فى قلب حلفائها السابقين، وثانيا لأنهم رأوا ان احتلالها قد يمكنهم من الهجوم على اسرائيل. وكان هذا السبب الأخير هو القصد الاساسى أمام أدونى

---

(١) ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده سمع فيه الرب صوت انسان. لأن الرب حارب عن اسرائيل.

صادق، الذى يذكرنا اسمه (ومعناه رب البر أو رب السلام) بمجد ملكى صادق السابق صديق ابرام. وتبعد مدينة جبعون العظيمة عن أورشليم ستة أميال فقط شمالا.

وبغتة وجد رجال جبعون أنفسهم محاطين بجيش جرار لم يجرؤوا مهاجمة يشوع مباشرة بسبب الخوف الذى بعثه فى قلوبهم انتصاره العظيم، ولذا صبوا جام غضبهم على أولئك الذين تجاسروا على عقد محالفة معه. واذ كان الجبعونيون واثقين من أمانة يشوع للعهد الذى قطعه معهم منذ فترة وجيزة فانهم أرسلوا اليه رسالة عاجلة لطلب النجدة.

(٢) ايمان يشوع العظيم :

كانت هنالك أيام مشهودة سابقة فى تاريخ حياته ـ يوم الفصح حين سار فى طليعة سبطه، يوم الحرب مع عماليق حين ساق أمامه قبائل البدو سوق الانعام اذ كان موسى رافعا يدية، يوم وقف أولا مع معلمه وسط ضياء مجد رؤية الله، يوم رجع هو وكالب من تجسس الأرض وسمع بأذنه بأنه هو وحده الذى سوف يعيش من شعبه ويدخل أرض الموعد. كانت هنالك أيضا أيام عجيبة أخيرة يوم عبر الاردن، يوم رأى الملاك، يوم رأى أسوار أريحا تسقط. ولكن فى كل أيام حياته "لم يكن مثل ذلك اليوم".

١ ـ **كان يوم القوة.** حالما وصلته الرسالة وجد أنه من الضرورى ان

يبين بأنه خليق بالثقة التى وضعت فيه. وقبل غروب الشمس صدر الأمر فى المحلة بأن يستعد رجال الحرب للرحيل فى نصف الليل، وفى الليل البهيم اجتاز الطريق من الجلجال الى جبعون وطولها نحو خمسة عشر ميلا وعرة المسالك وأتى الى الجيش وكان لايزال نائما ولم يتهيأ بعد للحرب. ان البلادة والخمول لا يليقان بأولئك الذين أؤتمنوا على المهام العظمى وتحريك روح الله للانسان يجعله نشيطا، والمقاصد السامية تحفز الارادة، وكل ما فى الطبيعة خلق ليسعف النفس النبيلة.

٢ ـ كان يوم الشركة. حالما وصلته الرسالة الاولى تحدث اليه الله بهذه الكلمات التى سببت له المزيد من الدهشة "لا تخفهم لأنى بيدك قد اسلمتهم. لا يقف رجل منهم بوجهك". وفى قوة هذا الوعد وتحت ضغط الحاجة الملحة، تحدث مع الله بما لم يتحدث به انسان من قبل.

لابد أن الحرب كانت سجالا طول الصباح. لقد بدأت فى الفجر، وبعد الظهر أعطى الملك الاشارة للتقهقر، واذ لم يستطيع الكنعانيون ان يصمدوا أمام ضربات اسرائيل الموفقة التى نسبوها للرب الجبار فى الحروب ولوا هاربين كخراف مشتتة مذعورة. ساروا عشرة أميال فى هربهم، حتى وصلوا الى منحدر بيت حورون. ومن ذلك الموضع ينحدر الطريق الوعر المسالك بطول ميلين وعمق ٧٠٠ قدم. كانت الصخور مدرجة. اسرع الهاربون فى ذلك الانحدار لعلهم يصلون الى حصونهم التى فى أسفل الوادى. وكانوا ينتظرون الليل على أحر من الجمر لكى

يريحهم من مشقة الهروب. وهنا عصفت عليهم الزوبعة ـ التى سوف نتحدث عنها فيما بعد ـ بغضب لا يحتمل، كان كل جنود السماء صبت عليهم نيران الغضب فجأة. وحينما وصل يشوع الى رأس الوادى كانت الجيوش الهاربة على المنحدر، وكان الوادى من أسفل قد تكاثفت فيه الغيوم التى طبقت على العدو. أما من فوق فقد اختلطت أصوات المغلوبين بأصوات الغالبين وأصوات الحجارة العظيمة التى هبطت عليهم من السماء. ومن خلفة كانت الشمس تسرع الى المغيب. ولم يكن باقيا على مغيبها أكثر من ساعة أو اثنتين.

تحت هذه الظروف تجاسر يشوع أن يطلب من الله طلبة لم يسبق لها مثيل ـ ان يطول النهار: لماذا لا تسمح للشمس التى هى خلقة يديك، والتى عبدها أهل هذه الأرض عوضا عنك طويلا، بان تتمم قصدك فى ابادة أولئك الذين قدموا لها المجد اللائق بك وحدك؟ ولماذا لا تسمح للقمر الذى طالما شهد قبائح الاموريين بان يشهد الآن تطهير هذه الرجاسات بالدماء؟ انهما خلقة يديك يارب، وهما يأتمران بأمرك، فاصغ لصوتى واجعلهما ان يقفا.

هنالك أيام سامية جدا فى حياة الانسان حين يجد أن الافكار والمقاصد التى كانت تجمع قوة فى هدوء قد تخطت كل الحواجز وبرزت الى الوجود فى حيز العمل أو الكلام أو الصلاة. اذن فلسنا سكارى بالخمر بل نحن فى نشوة السرور بسبب ما نحس به من القوة

التى لا يهبها الا الروح القدس وحده. ما أقل الذين قد اختبروا حياة الامتلاء بالروح القدس التى هى ميسورة للجميع، والتى نحصل عليها بالشركة الحية مع الله. حينما ندرك هذه الحياة فاننا نصبح كالفتيلة المدخنة (التى تكاد تنطفئ) اذا غمرت بغاز الأوكسجين، أو كالزهرة التى تكافح ضد الصقيع اذا فقلت الى جوحار. فى تلك الساعة ندرك ما قصده المسيح حين قال "من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح فى لبحر ولا يشك فى قلبه بل يؤمن أن ما يقوله يكون فمهما قال يكون له" (مر ١١ : ٢٣).

(٣) وكان يوما شهد فيه نصرة عجيبة:

واذ فشل الملوك فشلا ذريعا نهائيا، واضناهم التعب، اختبأوا فى مغارة فى مقيدة. على أن يشوع لم ينتظر حتى يقضى عليهم، لأنه كان متلهفا لاتمام ما بدأه والحيلولة دون دخول الكنعانيين مدنهم ثانية. لذلك اتخذ الاحتياطات اللازمة لحفظ الملوك محجوزين فى المغارة حتى عودته. وللحال عاد ثانية فى نشوة الانتصار دون أن يخسر نفسا واحدة كما يقرر يوسيفوس. فاستدعى الملوك من مخبأهم، واذ جثوا تحت اقدام قاهريهم "دعا يشوع كل رجال اسرائيل وقال لقواد رجال الحرب تقدموا وضعوا أرجلكم على أعناق هؤلاء الملوك". واذ وقفوا فى هذا الوضع العجيب الذى يدل على النصرة الفائقة الوصف جالت بمخيلة يشوع التأكيدات التى سبق أن أعطيت اليه عن النتيجة النهائية لهذه الحرب. لقد رأى اليوم الذى فيه تجثو كل ركبة أمام قوة الرب، الذى فيه يبيد

كل ملك أمام ذراع اسرائيل والذى فيه تخضع كل الأرض. لذلك فانه فى كل السنوات التالية استطاع أن يستعيد فى ذاكرته تلك اللحظة التى وقف فيها على قمة جبل الرؤية وقال "لا تخافوا ولا ترتعبوا. تشددوا وتشجعوا. لأنه هكذا يفعل الرب بجميع أعدائكم الذين تحاربونهم" ع٢٥.

(٤) تدخل الرب العجيب:

ان العاصفة التى هبت عصر ذلك اليوم على المنحدر بيت حورون لم تكن عادية وحجارة البرد فى تلك البلاد كبيرة الحجم حتى انه يقال انه فى بعض الاحيان تزن قطعة الثلج الواحدة التى تتساقط فى البرد نحو رطل أو أكثر، وهذه بطبيعة الحال تكفى لقتل أى رجل تسقط عليه. ولكن العجيب فى الأمر ان العاصفة هبت فى لحظة، وان غضبها انصب كله على الامورين دون أن يلحق أى اذى باسرائيل "وبينما هم هاربون من أمام اسرائيل وهم فى منحدر بيت حورون رماهم الرب بحجارة عظيمة من السماء الى عزيقة فماتوا. والذين ماتوا بحجارة البرد هم أكثر من الذين قتلهم بنو اسرائيل بالسيف".

على أن معجزة اليوم الرئيسية كانت هى توقف نور النهار. واضح ان الاعداد ١٢ – ١٥ مقتبسة من سفر ياشر الشعرى. يتبين هذا من أن العدد ١٥ هو صورة طبق الاصل للعدد ٤٣، ومن أن اسلوب هذه الاعداد يختلف كل الاختلاف عن أسلوب النثر الرائع التاريخى. ولكن

لا مبرر قط لاعتقاد البعض بأن هذه الاعداد تعطينا وصفا رمزيا للحرب وللنصرة الكاملة، كأن ياشر أراد أن يقول ان اسرائيل اتم فى هذا اليوم الواحد عمل يومين. فالكلام واضح كل الوضوح أن الكتاب يشير الى معجزة خطيرة تمت فعلا.

ان قوة الله لا حد لها. فبارئ كل الكائنات هو المتسلط عليها. ويقينا انه من اليسير ان يملى ارادته على الطبيعة، على الانسان، على ارادة الانسان. ومعجزة القيامة جديرة باقامة طبيعتنا البشرية وجعلها طبيعة روحية لتحتل مكانها وسط قوات العالم الروحى، ولذلك فلا مبرر قطعا للتردد فى تصديق اية معجزة سلم بها. كذلك لا مبرر قط للشك فى قدرة الله على ايقاف ساعة الزمن اذا وجد هنالك أى داع لهذا.

بالطريقة التى رآها الله أمر نواميس الطبيعة باطالة النهار حتى ينتهى اسرائيل من قتل اعدائهم حتى لم يبق منهم الا اقلية ضئيلة دخلت المدن المسورة. أما كيف تمت المعجزة الرهيبة فهذا أمر لا يعنينا فى بحثنا الحالى ويكفى ان نقرر تصديقنا بالحادث نفسه. فانه بطريقة معينة اطال الله النهار حتى ينتقم الشعب من أعدائهم "ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده سمع فيه الرب صوت انسان. لأن الرب حارب عن اسرائيل".

ولا يسمح لنا مجال البحث الحالى لتتبع خطوات الغزاة فى اجتيازهم من مدينة الى أخرى فبعضها ـ كمدينة لخيش ـ يبدو انها استماتت فى

المقاومة، والبعض الاخر كحبرون لابد أن تكون قد اعطيت اليها أهمية عظمى بسبب المناسبات التى تربطها بتاريخ حياة الآباء الاولين وتجولهم فى الارض، والبعض الآخر ضرب بسهم وافر فى المدنية كدبير مدينة الكتب والعلم، وعلى أى حال فقد عوملت كل المدن بنفس الشدة ولم يستبق منها أحد فالملوك قتلوا وعلقت جثثهم الى المساء وكل النفوس حرمت ولم يبق منها أحد وقتل الجميع بحد السيف.

لنذكر بأن الاسرائيليين كانوا منفذى العدل الألهى، ارسلوا لينفذوا الحكم الذى تستحقه رجاسات كنعان ـ هنالك كرسى لدينونة الأمم كما لدينونة الافراد. هذا الكرسى ينتصب فى هذه الحياة، وعلى وجه هذه الارض، وهذه الدينونة تقوم والديان القدير يحرص على ان احكامه ينبغى ان تنفذ. وله وكلاء كثيرون جيوش الفرس لتنفيذ حكمه على بابل، الوندال التوتونيون على روما، القوزاق الروسيون على نابليون، كما كان اسرائيل منفذى الحكم على الاموريين الذين كان اثمهم قد كمل وقتئذاك، ويهدد بأن ينفث سموم عدواه فى كل العالم.

(٥) الدرس الذى نتعلمه لأنفسنا:

هنالك أيام استثنائية شهدنا فيها ظروفا عسيرة، ومقاومات شديدة، وصراعا روحيا عنيفا، حتى أنها تقف فريدة فى رعبها وهولها بين سائر أيام حياتنا. واذا نتطلع الى الوراء اليها، كثيرا ما رددنا كلمات الوحى "لم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده".

على أننا ان كنا عائشين فى شركة مع الله، عاكفين على اتمام ارادته فهذه الايام لا تأتى دون أن يأتى أيضا الصوت العذب "لاتخفهم لأنى بيدك قد أسلمتهم". وينبغى أن يكون كل اهتمامنا أن لا يحولنا أى شئ عن طريقه أو يعيق وصول نعمته الينا. ينبغى أن نكون كالقائد الحكيم، فنحفظ الطريق مفتوحا الى قاعدة العمليات الحربية الاصلية التى هى الله. متى تم هذا فلا مبرر للجزع، ولا مبرر لأى اهتمام آخر. فالتجربة العظمى لم يسمح بها الا لأسداء نعمة عظمى. بل لنسر بالدخول وسط العاصفة للحصول على اختبارات جديدة عن أن يسوع فيه كل الكفاية، فانه يزداد اقترابا منا فى هذه التجارب الخاصة أكثر من أى ظروف أخرى.

وفضلا عن ذلك فان هذه الايام تكون مليئة بالشعور برفقة الله يقينا. فان قلب يشوع كان طول مدة الحرب فى صلة دائمة برئيس جند الرب الذى ركب بجواره طول اليوم. لذلك ففى كل حروبنا ينبغى أن ترتفع قلوبنا وعقولنا حيث المسيح جالس لنستمد منه نعمة فوق نعمة حسبما نحتاج، كالغائص فى أعماق البحار الذى يستنشق نسيما جديدا من طبقة الهواء العليا. فى هذه الأوقات يجب أن لا تكون مجرد طلبتنا الى الله أن **يعيننا**، لأن هذه الكلمة قد تعنى ان هنالك الكثير من الثقة بالنفس، ومهما كان فينا من قوة فيجب أن نتخلى عنها وقت الحرب، لأن الله من جانبه لا يتدخل فى انقاذنا اذا حاولنا استخدام قوتنا أو بذل

أى مجهود من جانبنا. اذن فلنطلب منه أن يحفظنا بدلا من أن نطلب أن يعيننا. لنضع كل الامر فى يدى الله، طالبين منه أن يتقدمنا، ويحارب عنا، وينقذنا، كما فعل شعبه فى ذلك اليوم الخالد.

فى مثل هذه الايام يكون لنا نور لا يمكن أن يعزى لأى عامل من عوامل الطبيعة. شمسنا لا تغرب، وقمرنا لا يغيب، لأن الرب يكون لنا نورا أبديا. أو كما تحدث الينا زكريا بعد ذلك بعدة أجيال، ولاشك فى أنه كان يشير الى يوم جبعون العظيم "ويكون يوم واحد معروف للرب. لا نهار ولا ليل بل يحدث انه فى وقت المساء يكون نور" (زك ١٤ : ٧).

فلنطلب فقط نعمة الروح القدس، لكى نحفظ فى هذه الحالة الروحية فلا نحرم من شئ من نعمة الله الحافظة التى تقدم لنا المعونة فى حينها. لنثق فيها، ولنتكل عليها، ولننتفع بها. لنثبت فيه لكى نطلب منه واثقين أنه يسمع صوت الانسان ويحارب عنا.

الفصل الرابع عشر
طلب النصرة
يشوع ١١

ارفع قامتك الى العلاء فقد خلقك الله ببصيرة، احكم لا لكى تربط بالسلاسل وتقاد كالبهائم بل لكى تخضع لنفسك كل الكائنات وقد دعاك للمصارعة مع الأعداء وقبل كل شئ لجهاد أشد هو المصارعة مع نفسك.

(كوبر)

يحدثنا السواح ان من أجمل مناظر فلسطين مياه ميروم التى لابد ان يكون قد تغير لونها بسبب كثرة الدماء التى سفكت فيها فى ذلك اليوم موضوع حديثنا الآن.

ليست البحيرة متسعة، ولكن مياهها الزرقاء ترتادها ربوات طيور الماء التى تعشش فى الغابات التى تنمو على حافتها الشمالية حيث يصب نهر الاردن. على منحدرات الجبال التى تنتهى اليها من الناحية الغربية تمت كل حوادث الآباء الأولين.

واذا وصلت أنباء يوم جبعون العظيم الى يابين ملك حاصور وملأ الخوف قلبه دعا كل قبائل شمال كنعان الى هذا المكان الجميل. كان خيرا له ـ من الناحية البشرية ـ لو لم يتأخر كل هذا التأخير، بل حشد قواته فى الوقت المناسب ليتعاون مع ادونى صادق ورحل بها من الشمال فى نفس الوقت الذى هاجم ادونى صادق فيه جبعون. ولكى

يعوض عن هذه الفرصة التى فاتته نراه الآن يرسل رسلا بأقصى سرعة ليحرك المملكة كلها. ولعله استخدم كلمات مماثلة للكلمات التى بها دعا شاول اسرائيل ـ بعد ذلك بسنوات طويلة ـ لاتباعه الى يابيش جلعاد، حيث أخذ فدان بقر وقطعه وأرسل الى كل تخوم اسرائيل بيد الرسل قائلا من لا يخرج وراء شاول ووراء صموئيل فهكذا يفعل ببقره".

أسرع الرسل فى كل جبال الجليل، من أقاصى لبنان شمالا الى سهل اسدرايلون وجبل الكرمل جنوبا، والى حدود البحر الكبير غربا. سمع اليبوسيون هذه الدعوة فى بلادهم الجبلية، والحويون أسفل جبل حرمون فى أرض المصفاة، ويبدو انه حتى البقية الباقية من التحالف الجنوبى المحطم قد دفعوا قواتهم الضئيلة الى تلك الجيوش الجرارة "فخرجوا هم وكل جيوشهم معهم شعبا غفيرا كالرمل الذى على شاطئ البحر فى الكثرة".

لم يكن هناك وقت للترفيه عن الجنود فى المحلة فى الجلجال رغم ان يشوع كان قد عاد توا بقواته للاستراحة من عناء الحرب. ولذلك فانه طالما وصلته الأنباء قام فى الحال وجميع رجال الحرب معه الى ميروم التى تبعد عن الجلجال مسيرة خمسة أيام، وتقدم الى أعظم معركة فى حياته. يخبرنا يوسيفوس ان مجموع تلك القوات المتحدة بلغ ٣٠٠ الف مشاة، و١٠٠ الف مركبة. ويقول أيضا بان الاسرائيليين فزعوا اذ اضطروا لمواجهة هذه المركبات الحديدية التى كانت تندفع بسرعة وتشق صفوفهم لتمكن الجند من قذف قذائفهم واحداث نتائج

مروعة. ولعل بعض الأنباء عن هول تلك القوات المنتظرة قد وصلت يشوع حينما كان على بعد يوم من المحلة. وربما تكون نفسه قد انزعجت لحظة بسبب الأزمة الخطيرة، ولكن ثباته وشجاعته وعزيمته لم تتزعزع، لأنه في نفس وقت وصول الأنباء وصله الصوت الالهى مؤكدا ومطمئنا: "لا تخفهم لانى غدا فى مثل هذا الوقت أدفعهم جميعا قتلى امام اسرائيل".

أعاد يشوع نفس الخطة التى كانت موفقة فى الماضى. فانه داهمهم بغتة، ربما فى الفجر، وحالما داهمهم الاسرائيليون تملك الجيش العظيم الخوف والفزع. ولا شك فى ان جنود الملائكة تعاونت من السماويات مع جيوش الرب، واذ رأى الملوك هزيمتهم تلاشى كبرياؤهم وغطرستهم. لابد أن تكون ألوف النفوس قد زهقت بسيف الانتقام، بينما فر ثلاثة من الجماعات، الأولى الى مدينة صيدون التى تبعد نحو أربعين ميلا، والأخرى الى شاطئ البحر، حيث سكن إيليا مع الأرملة فيما بعد، والثالثة الى المصفاة الكامنة أسفل حرمون.

تحطمت قوة العدو. ولكن بعد هذا الانتصار النهائى جرد يشوع حملة ضد "المدن القائمة على تلالها" التى خرج منها يابين وحلفاؤه للحرب. أحرقت حاصور بالنار، ربما لالقاء الرعب فى باقى المدن، اذ كانت هى أهم المدن التى تحالفت ضد اسرائيل أما المدن الباقية فقد اكتفى بتحريم كل سكانها القادرين على الحرب واحراق المركبات "كما أمر الرب موسى عبده هكذا أمر موسى يشوع وهكذا فعل يشوع. لم يهمل شيئا من كل ما أمر به الرب موسى".

أما العناقيون، الذين كانوا طوال القامة بدرجة شاذة، والذين كانوا رعبا لاسرائيل، فقد أبيدوا مع مدنهم، وبعدئذ انتقلت ملكية الأرض كلها لأيدى اسرائيل.

(١) كانت نصرة حاسمة:

طالما استجمع الكنعانيون قواهم قبل الآن ليوقفوا تقدم اسرائيل، أما بعد هذه الموقعة فانهم لم يجرؤوا ان يلتقوا بهم فى الحرب مرة أخرى. فان روحهم قد تحطمت وقواهم قد تلاشت. وهنا يذكرنا الموقف بصعود الرب الى السماء، ذلك القائد المنتصر الاعظم الذى كان يشوع رمزا له.

ليس مستبعدا أن تكون قوات الظلمة التى ظلت تقاوم مخلصنا طول أيامه على الارض قد حشدت كل قواتها لحرب أخيرة اذ ارتفع فى السحاب صاعدا الى السماء. رائحة لهذه الحقيقة فى كلمات الرسول الذى يحدثنا بأنه ارتفع "فوق كل رياسة وسلطان وقوة" (اف ١ : ٢١) مستخدما نفس الاصطلاحات التى استخدمها فيما بعد معبرا عن صراعنا مع قوات الشر الروحية فى السماويات (اف ٦ : ١٢).

ولكنه على كل حال انتصر على كل القوات المقاومة "اذ جرد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهارا ظافرا بهم فيه" (كو ٢ : ١٥). والرسول يتحدث عنه قائلا أنه "اذ صعد الى العلاء سبى سبيا" (اف ٤ : ٨) مستعيرا هذا التشبيه من نشيد هو من أسمى أناشيد الظفر التى قيلت فى العالم. ففى السنوات التالية نطق روح الله على لسان دبورة النبية بنفس هذا التشبيه أولا عند وصف انتصار اسرائيل على ملك حاصور،

وكان يدعى أيضا يابين:

قم يا باراق

واسب سبيك يا ابن ابينوعم

والفكرة بلا شك هى أنه عندما يصبح الشخص المضطهد ظافرا فى النهاية فانه يسبى ذاك الذى كان قد سباه هو وغيره أولا. والظالم الذى يسبى يصبح بدوره مسبيا أسيرا.

هكذا تم حين قام يسوع من الأموات وصعد الى السموات فان الشيطان الى ذلك الوقت كان قد بسط نفوذا قويا على الانسان، بحيل تجاربه، بأعمال السحر التى انتشرت فى العالم، بالقاء الرعب والفزع فى القلوب من الموت والقبر، وبسموم اتهاماته لم يستطع أحد أن يقف أمامه، وبدا كأن قوة الشيطان يجب أن تنتصر على الانسان الى الأبد، على أقوى البشر كشمشون، وأحكمهم كسليمان، وأكثرهم وداعة كموسى، وبرارة كآدم. ولكن هذا الوضع قلب رأسا على عقب بأعمال الرب المجيدة، الذى دحر الشيطان بموته وقيامته وصعوده، وأعلن الى الأبد سيادة الانسان ـ فى شخصه المبارك ـ على كل قوات الظلمة التى تغشى الأرض أو الهواء أو السماويات. "سبى سبيا". ونحن نستطيع أن نرى الجيوش الجرارة من الرياسات المسبية التى تتبع مركبته وهو صاعد: العالم الذى ظفر به، الموت الذى أبطله، الهاوية التى انتزعت منها مفاتيحها لتعلق فى منطقته منذ ذلك الوقت، ابليس وكل جنوده، رياسات جهنم وقواتها. كل هذه تسير فى صف طويل مكبلة بالاغلال كالعبيد.

لا مبرر لتكرار هذه الصراع مرة أخرى. لأنه قد تبين لكل المسكونة بصفة حاسمة، وتقرر الى الابد، انه وان كان آدم الأول عجز عن أن يقف أمام هجمات الشيطان، بل استسلم له هو وكل نسله، الا أن آدم الثانى قد عظم انتصاره عليه، ليس من أجل شخصه فحسب، بل أيضا من أجل كل الذين يتحدون به بالإيمان. قد يكون هنالك حرب فى السماء، ولكنها تشبه الحرب التى شنها يشوع بعد انتصاره النهائى، والتى مهما كانت شديدة الا انها لم تؤثر على نتيجة ذلك النجاح الباهر الذى احرزه. وان كان المسيح قد بدد قوات الظلمة حينما عصفت عليه فى ساعة آلامه الجسدية فهل يعقل لحظة واحدة انها تستطيع أن تفعل شيئا الآن وهو جالس عن يمين الأب متزرا بالقوة والمجد؟

(٢) وهذه النصرة كانت تحتاج الى تكملتها:

رغم ان انتصارات اسرائيل كانت حاسمة الا انه كان هنالك شعور بأنها غير كاملة. صحيح أن يشوع أباد المدن وكل من وجده فيها، ولكن يبدو ان الكثيرين من السكان سبق ان التجأوا الى الصخور والكهوف المجاورة لمنازلهم، حتى اذا ما هدأت عاصفة الغزو خرجوا من مخابئهم وتملكوا ثانية المنازل والحقول التى انتزعت من أياديهم وقتيا. كان هذا مطابقا لكلمة موسى، الذى سبق ان تنبأ بنفس هذا الوضع حين قال "الرب الهك يطرد هؤلاء الشعوب من أمامك قليلا قليلا. لا تستطيع أن تفنيهم سريعا لئلا تكثر عليك وحوش البرية" (تث ٧: ٢٢).

كانت تعد من أكبر الاخطاء السياسية لو أنه فكر فى استئصال كل السكان لئلا تقفر الارض من الزراعة، ويفتقر الكثير من الأعمال

الضرورية للأيدى العاملة. هذا علاوة على السبب الذى ذكره موسى نحو كثرة وحوش البرية بدرجة خطرة. اذا فقد كان من الحكمة استئصال الكنعانيين تدريجيا. كانت انتصارات يشوع حاسمة، ولكنها لم تكن نهائية. لذلك كانت فى حاجة لاتمامها بمعرفة الاسباط المختلفة. لم يكن هنالك أقل شك فى نجاحهم فى متابعة انتصارتهم، كما لم يكن هنالك أقل شك فى احراز هذه الانتصارات. فوعد الله كان يشمل هذا وذاك. لأنه فى نفس الوقت الذى أعلن فيه استقرار اسرائيل فى أرض كنعان تدريجيا أعلن أيضا ان الرب الههم يدفع أعداءهم أمامهم ويوقع بهم اضطرابا عظيما حتى يفنوا (تث ٧ : ٢٣).

ويؤكد لنا الكتاب "انه كان من قبل الرب ان يشدد قلوبهم حتى يلاقوا اسرائيل للمحاربة فيحرموا فلا تكون عليهم رأفة بل يبادوا (يشوع ١١ : ٢٠). ويجب ان لا يفهم من هذا بطبيعة الحال ان الله قد أحدث بنفسه فيهم هذه النتيجة التى ما كانت تحصل بفعل النواميس الطبيعية التى وضحها هو. كلا فان الله أحبهم كما يحب كل العالم. وهم كانوا مندرجين ضمن عملية فداء المسيح. وكان من الممكن أن يخلصوا كما خلصت راحاب. واذا ما قيل ان الله شدد قلوبهم فيجب ان يفهم من هذا ان قلوبهم تقست بالتعدى ضد ما أعطى اليهم من نور، طبقا لتلك القاعدة الجوهرية التى وضعها الله وهى انه اذا قاوم الانسان اقتناع ضميره بالحق ازدادت أقدامه رسوخا فى طرقه الشريرة. لذلك يقال بان الله يتمم ما يتم فعلا بمعرفة نواميس العالم الأدبى التى وضعها. فمما هو واضح جدا ان الكنعانيين كانوا يعرفون ان الله مع

اسرائيل، لان راحاب قالت "علمت ان الرب قد أعطاكم الأرض وان رعبكم وقد وقع علينا وان جميع سكان الأرض ذابوا من أجلكم. لاننا قد سمعنا.. سمعنا فذابت قلوبنا.. لان الرب الهكم هو الله فى السماء من فوق وعلى الأرض من تحت" يشوع ٢ : ٩ - ١١). والجبعونيون قالوا "لاننا سمعنا خبره (خبر الرب) وكل ما عمل بمصر" (يشوع ٩ : ٩و ١٠). اذا فلاشك فى أن اسم الرب انتشر فى كل الأرض. وحينما حشد الملوك قواتهم للحرب ضد اسرائيل كان ذلك كما هو الحال فى الاجيال:

قــــام ملـــــوك الأرض
وتآمـــر الرؤســـــاء معــا
على الرب وعلى مسيحه

ولكن ما أثمن الدروس الروحية التى يمكن أن نجدها فى كيفية اتمام يشوع هذه العمليات تدريجيا "فأخذ يشوع كل الأرض حسب كل ما كلم به الرب موسى واعطاها يشوع ملكا لاسرائيل حسب فرقهم وأسباطهم" على أن اسرائيل كان عليهم ان يحاربوا فى كل شبر من الارض لكى يطردوا اعداءهم المغلوبين. وهكذا ـ كما رأينا ـ قد انتصر الرب انتصارا حاسما على كل اعدائنا، ولكن علينا ان نطالب بالانتصار بصفة دائمة حتى يبطل الموت، فى حالة كل واحد منا، وهو العدو الأخير.

لقد غلب العالم، ولكننا يجب ان نغلبه بالايمان. والجسد سمّر على الصليب، والانسان العتيق قد بطل، ولكننا ينبغى ان نميت أعمال

الجسد بالروح لكى نحيا. وابليس دمر نهائيا، ولكننا علينا ان نختبئ فى الابن الوحيد، واثقين بأنه يحفظنا، لكى لا يمسنا الشرير. والهاوية والموت غلبا وسارا ضمن محفل الأسرى خلف آدم الثانى، ولكننا يجب ان نلتقى بهما لئلا يأتى هو أولا قائلا اذ نقترب منهما "اين شوكتك يا موت. أين غلبتك يا هاوية. ولكن شكرا لله الذى يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح" فى كل هذه يعظم انتصارنا بالذى احبنا، ولكنه لن يوجد فى حياتنا ذلك اليوم الذى لا نحتاج فيه ان نغلب بدم الخروف وبكلمة شهادتنا رؤ ١٢ : ١١ . اذن فصوت يسوع وهو صاعد الى السموات ينطق بالبركة سبعة اضعاف للذين يغلبون.

لا يوجد عدو يقاوم نموك فى النعمة، أو معاند يحاول تعطيل خدمتك، أو أى نوع من الشر لاتلاف نفوس البشر، دون ان يكون مندرجا ضمن قائمة الأعداء الذين انتصر عليهم المسيح. فلا ترهبهم، لأنك حالما تلمسهم يولون هاربين أمامك والله وقد وعد بان يخضعهم تحت قدميك. انما تشدد وتشجع. لا ترهب ولا تجزع. الرب معك يا جبار البأس، "جبار" لأنك متحد بالقدير الجبار القهار. **أطلب النصرة.** حينما تتجمع عليك الأعداء **اطلب النصرة.** وحينما تخور عزائمك **اطلب النصرة** تيقن ان لك نصيبا فى تلك النصرة التى حازها المسيح، لا من أجل نفسه فقط بل من أجلنا أجمعين، واذكر انك كنت فيه حينما أحرزها، **فطلب النصرة.** ثق بأنها لك، فاجمع الغنائم. لا تجزع من العناقيين ولا من المدن المحصنة. فأنت أحد الجنود الظافرين. **أطلب نصيبك فى نصرة المخلص.**

الفصل الخامس عشر
راحة فى السماويات
يشوع ١١ : ٢٣ (١)

تطلع بعين الآب الثاقبة فرأى ينبوع الحياة وبيت أبيه، ومخلصه الله واستمد المعونة التى تكفى لحاجة الساعة وهكذا ثبت عينيه فى أرض الحياة.

(بولوك)

يقسم سفر يشوع نفسه بنفسه تقسيما طبيعيا الى قسمين، الأول يختص بغزو أرض الموعد، والثانى بتقسيمها. وحلقة الاتصال بين الاثنين نجدها فى ختام الاصحاح الحادى عشر. هنالك تنتهى رواية الغزو، ويبتدئ الحديث عن التقسيم. وهنالك نجد هذه الكلمة الخالدة "واستراحت الأرض من الحرب" التى تعبر عن حالة الهدوء والسلام المباركة، والتى نجدها تكرر فى الاصحاح الرابع عشر. على ان الامر لم يقتصر عند هذا الحد، ففى الإصحاح الحادى والعشرين يخبرنا الوحى ثانية أن الرب "اراحهم حواليهم حسب كل ما أقسم لابائهم".

والآن كل هذا يتمشى مع التطبيق الروحى الذى ظللنا نتابعه فى هذا السفر. ويقيننا أن وجه الشبه قريب جدا حتى أنه يجعلنا واثقين باننا

---

(١) فأخذ يشوع كل الأرض حسب كل ما كلم به الرب موسى وأعطاها يشوع ملكا لاسرائيل حسب فرقهم واسباطهم، واستراحت الارض من الحرب.

لا نتبع خرافات مصنعة، بل نتبع "امثلة الاشياء التي فى السموات"، واعلانات أكيدة عن خطط ومقاصد الله. فان الذى أعلن لنا الجلجثة فى الذبائح والمحرقات أعلن لنا أيضا القبر الفارغ وجبل الصعود فى غزو كنعان وتقسيمها بمعرفة يشوع. وفى حالة المخلص المجيد الذى كان يشوع رمزا له كانت هنالك فترة راحة مباركة. فانه بين اتمام نصرته وبين سكب الروح القدس يخبرنا الكتاب بأنه جلس عن يمين الآب. والكنيسة طالما رددت هذه الأغنية العذبة "الجالس عن يمين الله فى مجد أبية".

ان جلوس الرب يسوع المسيح عن يمين الله استعارة رائعة الجمال مليئة بالغذاء للتفكير النقى. واضح جدا انه يشير الى مجد عظمته، انه واحد مع الاب فى جوهر لاهوته. وواضح أيضا انه يشير الى وحدة الرب يسوع المسيح فى اللاهوت رغم اتخاذه طبيعتنا. ونجد فى الجلوس أيضا معنى الراحة. فالجلوس فى وضعه يشير بطبيعة الحال الى الراحة. وهنا لا يسعنا الا أن نتساءل بكل وقار وخشوع عن طبيعة راحته لكى نتمتع نحن أيضا بالراحة التى يحفظها منذ الدهور.

(١) راحة المخلص:

لم تكن الراحة من التعب. حينما يكد المرء فى عمله فانه يطرح نفسه جالسا لكى يستعيد قواه المنهكة. صحيح ان المسيح لم يشفق على نفسه. ولهيب المحبة الذى كان يتأجج فى صدره أكل قبل الأوان ذلك الأناء الذى كان مشتعلا فيه. كان يقضى النهار كله فى العمل المتواصل، والليل فى الصلاة. كانت حياته سلسلة من الاحزان والآلام.

تحمل آلام جثسيمانى، واحتمل ثقل خطايا البشرية. ولكن هذه كلها لم تكن مبررة أو كافية للتعب أو الاجهاد. فى فجر القيامة استيقظ استيقاظ الناعس. لم يكل ولم يعيا. ومهما يكن ما تعنيه هذه الكلمة فان جلوسه عن يمين الله لا يعنى قطعا أن المخلص اجهد نفسه واحتاج الى الراحة.

هل تعنى أنه بدأ فترة توقف عن العمل، وان جهوده الفدائية توقفت قليلا؟ كلا والف كلا. فالبشير مرقس الذى يختم انجيله بالحديث الجليل عن ارتفاع الرب الى السماء وجلوسه عن يمين الله يخبرنا بعد ذلك مباشرة وفى نفس الوقت انه عندما خرج تلاميذه وكرزوا فى كل مكان كان الرب "يعمل" معهم ويثبت الكلام بالآيات التابعة وان انسكاب الروح القدس يوم الخمسين وسياسة الكنيسة وادارتها ورعايتها وانسياب الحياة والقوة بصفة دائمة من الرأس الى أعضاء الجسد، كل هذه تبرهن على أن المسيح يعمل من وراء الستار الذى يتماوج كلما اخترقه أحد الاعزاء الذين نحبهم للدخول الى ما ورائه. من أجل صهيون لا يسكت ومن أجل أورشليم لا يهدأ (اش ٦٢ : ١).

اذا فالراحة التى يرمز اليها جلوس الرب يسوع المسيح عن يمين الله لم تكن هى راحة الاجهاد ولا راحة التوقف عن العمل. وماذا تعنى؟ يقينا أنها تعنى أنه اكمل العمل الذى قام ليعمله. أنه ترك العرش، أخلى نفسه من مجده، وصار جسدا لكى يقضى على التعديات، ويضع حدا للخطية، ويتمم المصالحة ويأتى ببر أبدى. كل هذه اتمها. وعلى

الصليب قال "قد اكمل". ومن العرش يستطيع ان يقول "قد تم". وكما قيل عن يشوع يمكن أن يقال عن يشوع الاعظم أنه "لم يهمل شيئا" ع١٥. لذلك فكما دخل الاب راحته عندما اكمل عمل الخلقة، لا راحة التعب أو راحة عدم العمل، بل راحة اتمام التدبير، كذلك دخل الابن راحته عندما انتهى من وضع الاساسات، اساسات عمله الفدائى واساسات النصرة العتيدة لكنيسته. لا راحة التعب، ولا راحة عدم العمل، بل راحة اتمام التدبير. لقد اكمل كل ما تعهد بعمله، كل ما كان ممكنا عمله، وجلس، في الوضع الذى يدل على الاكمال، على الرضى بما عمل، على الانتظار الهادئ للنتيجة المحتمة.

اذن ففى صورة المسيح هذه نواح **تعليمية** كثيرة ربما نكون قد قصرنا فى التأمل والتفكير فيها تفكيرا كافيا. قال أحد أساقفة الكنيسة: "اننى أخشى أن تكون حقيقة جلوس المسيح عن يمين الله لم تنل النصيب الوافر الذى تستحقه من تفكيرنا رغم ذكرها بكل صراحة وايضاح فى العهد الجديد أكثر من اثنتى عشرة مرة، وكذلك فى قانون الايمان. ولعل السبب فى ذلك اننا اعطينا أهمية أكثر لشفاعة المسيح عنا والاستحقاقات التى لنا فيه بموته وذبيحة نفسه التى قدمها عنا على الصليب". وبعد ذلك يقتبس من القداس ما ذكر عن ذبيحة المسيح "هو نفس خروف الفصح الذى قدم عنا ورفع خطية العالم".

حينما يدرك المؤمن معنى جلوس المسيح عن يمين الله فانه لا يتأكد فقط من عظمة المسيح فى لاهوته وقبول الاب لعمله الشفاعى، بل

يتأكد أيضا أن ذلك العمل الذى اكمله لا ينقصه شئ. فطالما كان المسيح جالسا فى السماويات فان ذبيحته كافية وكاملة، ودمه يكفر عن أشر الخطايا وعن عالم الخطاة وطاعته حتى الموت وقت مطالب الناموس، فأدخل سيف الناموس الى غمده، ودقت أجراس السماء معلنه هذه البشارة المفرحة "اذا لا شئ من الدينونة الآن".

وفى تأكيد الكتاب المقدس المتكرر عن جلوس المسيح عن يمين الله نواح اختبارية كثيرة أيضا. يجب أن لا يغرب عن البال أبداً أن العمل الذى أتمه المسيح كان فيه نائبا عنا لأنه اتخذ طبيعتنا. هو كنائب عنا مات، وقام. ويملك. وبنسبة اتحادنا به بالايمان الحى يجب أيضا أن نموت، ونقوم، ونملك. هذه الحقائق كانت تملأ قلب الرسول حين قال أن " الله أقامنا معه وأجلسنا معه فى السماويات فى المسيح يسوع" (أف ٢ : ٦) ان مقاصد الله هى أن نجلس مع المسيح وفى المسيح وان نشترك فى نصرته، وفى ملكه، وبنوع خاص فى راحته، وان نرتشف من اعماق ذلك النهر الذى يغسل عتبة العرش الابدى.

(٢) فى أية ناحية نشترك فى راحة المسيح:

هذا سؤال لابد منه. قد يكون البعض منا رجال حرب منذ صباهم، فلنحذر لئلا يعوقنا هذا عن بناء هيكل الله كداود. فأمثال سليمان فقط، الذين يدل اسمهم على السلام، هم الجديرون بهذا العمل. لأننا حينما نكون فى راحة فحينئذ فقط نستطيع أن نقوم بأجل الاعمال. يقولون أنه من المستحيل الحصول على أفضل النتائج من الصناعة اذا كانت

اعصاب الصناع ثائرة بسبب قوة دفع الحياة العصرية. وان أرقى المصنوعات تنتجها الايام التى يقل فيها الضغط على الاعصاب، أو تنتجها المصانع الهادئة التى لا يسمع فيها شئ من الضجيج. كذلك لا يمكن ان نقوم بأجل الخدمات لله الا اذا تعلمنا أن نكون هادئين، وصامتين لكى يصيغنا الله كما يشاء، ووادعين لكى لا تؤثر اعصابنا الثائرة على انتاجنا، وساكنين لكى نتصفى من كل الادران وبذلك نستطيع أن نعكس زرقة السماء التى فوقنا.

ان القلب المستريح يعيش فوق الزوابع والعواصف مع المسيح، ويكون رقيق الاحساس أزاء آلامه الشخصية والآم البشرية، ويستطيع أن يميز مقاصد الحكمة الالهية، وينتظر حتى تعلن المقاصد الازلية، ويثق فى محبة القدير السرمدية.

انه يصمت انتظارا لسماع كلمته. أعماله اليومية مقدسة. لا يزعزعه أى مؤثر. تبلغ به درجة التسليم لارادة الله الى انه يقبل كل ما يأتى. كل أيامه ربيع، ولا يعرف الشتاء. الزهور تظهر دوما فى أرضه، وصوت اليمامة يسمع فى غاباته (نش ٢ : ١٢) قال احدهم "انى أحس بأن ارادة الله كوسادة لينه اسند اليها رأسى واجد راحة واطمئنانا فى كل الظروف".

لا يوجد هدوء غير طبيعى فى هذه الحياة، بل بالحرى الغيرة المتأججة والنشاط الدائم. حينما تسلم الطبيعة تسليما كليا للروح القدس فانها تزداد فى نشاطها وتقوى فى جهودها، الامر الذى لا يمكن ان

ندركه الا حين نذكر انه عندما يخضع المرء نفسه لتيار الطبيعة الالهية فانه يحصل على شئ من قوتها وحيويتها. ولكن وسط الحركة العنيفة الدائمة والنشاط القوى توجد راحة عميقة، راحة عذبة.

توجد **راحة المصالحة**. ان النفس لا تحتاج لبذل أى مجهود لتنال التبرير، لكنها واثقة ان كل ما يجب أن يعمل للحصول عليه قد عمل حين قال المسيح "قد اكمل" لذلك فان الخاطئ الذى افتدى بالدم الكريم حين يقف عند اقدام الصليب واثقا من أنه صار مقبولا لدى الآب باستحقاقات الدم الزكى يستطيع ان يتهلل فرحا "من سيشتكى على مختارى الله".

وهو لن ينتظر حتى يتقدم أى مشتك لانه واثق انه لن يوجد أحد.

وراحة النصرة الاكيدة. قبل ان ندرك معنى صعود المسيح نحاول أن نقاوم الشيطان بأسلحة جهودنا الشخصية. نجاهد ونفشل، ثم نبدأ الجهاد من جديد. ولكن حينما ندرك كل ما فعله المسيح نرى بان الشيطان عدو مغلوب، وان اسلحته لن تصل الى الحياة المستترة مع المسيح فى الله، واننا طالما كنا محتفظين بموضعنا من المسيح الذى صعد الى السماء فلا مبرر مطلقا للفزع من هجماته أو الانزعاج فى الحرب.

وراحة تسليم الارادة لله. حينما تتحول الارادة من محور دائرة الذات الى محور دائرة الله فحينئذ تتركز حياتنا فى حياة الله، وتنجذب قلوبنا لمحبته، وتسير اقدمنا وفق مقاصده. يالسعادة الحياة حينما نخضع ارادتنا لارادته. حينئذ ننظر للتجارب كأنها مرسلة من قبل الاب لتأدية

مهمة معينة وان كانت فى ظروف اليمة. حينئذ نرى أن نفس ضعفاتنا تعيق الاتجاه الذى ينبغى أن توجه إليه جهودنا. حينئذ يصبح الفشل أمرا مستحيلا، لأننا نرى بأن الله هو الذى سمح بكل الظروف، حينئذ نجد أنفسنا سالكين فى الطريق المستقيم، لاعتقادنا بان طريقنا هو طريق الله. حينئذ تصبح الصلاة دخولا لقدس الاقداس، فتنكشف لنا بها مقاصد وطرق الله، ونتيقن من رضائه علينا. حينئذ يجد القلب راحة، ويكون كالوادى الذى تحيط به الجبال فتدفع عنه فعل العواصف.

وراحة الشركة المتصلة. لأنه كما ان يسوع واحد مع الاب، هكذا نصبح نحن أيضا واحدا معه، ونصبح به واحدا مع الثالوث الاقدس وفق صلاته هو نفسه "أنا فيهم وأنت فىّ ليكونوا مكملين الى واحد ... ليكون الجميع واحدا كما انك أنت أيها الاب فىّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضا واحدا فينا". أى قلم بشرى يستطيع وصف الوحدة الكائنه بين الآب والابن والروح القدس؟ على ان بعضا من هذه الوحدة يصبح من نصيب اولئك الذين يطالبون بحقهم فى كل ما اشتراه المسيح لكنيسته.

وراحة المحبة الكاملة. ان محبتنا صارت مصدر متاعب جه لنفوسنا، لأنها قد انحرفت الى النواحى المحرمة الشهية للنظر، غير الثابتة ولكن حينما ندخل الى حياة المسيح الذى صعد الى السموات (حيا يوم الخمسين) نجد ان قلوبنا قد امتلأت من محبة الله. لا تبقى الحياة بعد هزيلة، بل تصير ينابيع مياه متدفقة. لا يوجد بعد ألم الحرمان، لأن القلب قد وجد فى الله كل رغباته أكثر بكثير مما يفتكر. "لن يجوعوا

بعد ولن يعطشوا بعد. لأن الخروف الذى فى وسط العرش يرعاهم ويقتادهم الى ينابيع ماء حية ينابيع محبته الأبدية (رؤ ٧: ١٦و١٧) ان الحياة تستريح فى محبتها.

ثم أيضا **راحة القلب النقى**. انه لا ينشغل بشهوات الجسد ولا يندفع بتأثير النزوات. فالجسد قد صلب، ومحبة الذات قد استؤصلت، وأصبح المخلص هو المتملك على القلب وعمانوئيل اتخذ عرشه فيه فخمدت أنفاس كل العناصر الشاذة.

قد يكون بعض قارئى هذه السطور يجوزون الآلام الشديدة وفى هذه الآلام يجربون بانتزاع الراحة. ولذا نجدهم ينهكون قواهم كالعصفور الذى يخبط رأسه فى جدران القفص. وعبثا نقدم النصيحة لأمثال هؤلاء بالتزام الراحة والهدوء، لانهم يجب أن يعرفوا مصدر الراحة. دعهم يرون ان يسوع دخل راحته لكى يدخلوها هم أيضا. ليتهم يفتحون قلوبهم له ليهمس فيها برسالة القيامة الرقيقة "سلام لكم". ليتهم يطلبون هذا أيضا ـ بكل خشوع وبايمان ـ كجزء من ميراثهم، الذى هم به ورثة مع المسيح.

(٣) كيف نتمتع بهذه الراحة:

على ان هذه الاختبارات المباركة ميسورة فقط بقوة الروح القدس. ان صعود يسوع مرتبط بانسكاب الروح القدس وكما صعد الشفيع الواحد الى المجد هكذا نزل الآخر الى قلب الكنيسة، لكى نستطيع ان ندرك ما هو حق لنا حسبما رسمه الله بمقاصده خالقا فينا الايمان

الذى يطالب بنصيبنا فى ذلك الميراث، ميراث الراحة الذى أحرزه المسيح لنا. انك لن تستطيع ان تفصل هاتين الحقيقتين عن بعضهما، والا سببت الفشل واليأس لقلوب البشر. ان كنت تعظم من شأن حقوقك فى المخلص المجد ولكنك تقصر فى ان تتبين رغبة الروح القدس ليجعلها ملكا لك فى حياتك اليومية فانك تضع أمام النفوس المهمة المستحيلة، مهمة تسلق القمم العالية التى لا يمكن الوصول اليها فيتسرب اليها اليأس ويندم الرجاء. أو ان كنت تتحدث دواما عن بركة الامتلاء بالروح القدس دون المخلص الذى أتى الروح القدس ليمجده فانك تدفع النفس الى حالة الغرور، وهذه تقضى على نموها وتقدمها الحقيقى. علم الناس معنى جلوس المسيح عن يمين الله، وانهم لهم الحق فى كل ما يعنيه من راحة الله، ولكن أخبرهم أيضا أن قوة المطالبة بهذا الحق تأتى عن طريق نعمة الروح القدس الذى يهبه الله للذين يطيعونه.

لا يليق بأن نستبق الحوادث لادراك التعاليم التى تنطوى عليها الاصحاحات الباقية مقدما. لانه لماذا يشك دارس هذا السفر فى ان الأرض الكثيرة جداً الباقية للامتلاك الوارد ذكرها فى الاصحاحات التالية تشير الى بركة الامتلاء بالروح القدس التى تنتظر مطالبتنا بها؟ على اننا قبل ان نختم هذه التأملات عن الراحة التى تنتظر كل شعب الله الجالسين مع المسيح فى السماويات لنرفع قلوبنا الى الروح القدس المبارك متوسلين اليه ان يعلن الينا ما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر ما أعده الله للذين يحبونه.

الفصل السادس عشر
ارض باقية للإمتلاك
يشوع ١٣ : ١ (١)

ليكن الامر كذلك لأننا لا زلنا نستطيع النمو الى الافضل ومهما وجدنا فى الطريق من هبوط وصعود فاننا نستمتع بلذة التقدم يوما فيوما وكل عام يمضى يزيدنا اقترابا من الرؤى المجيدة والآمال الاكيدة.

(ف. ر. هافرجال)

كان يشوع قد بلغ نحو التسعين عاما عند اتمام غزو أرض كنعان. على أنه كان لا يزال باقيا جزء جوهرى من عمله.

فانه لم يكن كافيا ان يجعل اسرائيل متسلطين على الكنعانيين ما لم يتخذ الاجراءات اللازمة لتكملة انتصاراته باحلال شعبه محلهم. فالهدم ينبغى أن يعقبه البناء. والمحارب ينبغى أن يمهد الطريق للادارى والسياسى.

وقد اتخذت أول خطوة لاحتلال كنعان تلبية لدعوة الرب لعبده الذى كان أمينا فى اتمام امره. ورغم انه شاخ وتقدم فى الايام الا انه كان لا يزال موضع ثقة الرب، ومستودع أسراره ومنفذ خططه. لم يكن مجدا عاديا ولا عملا عاديا ان يكون مثمرا فى الشيخوخة، ان يورق

(١) وشاخ يشوع. تقدم فى الايام. فقال له الرب أنت قد شخت. تقدمت فى الايام. وقد بقيت أرض كثيرة جدا للامتلاك.

ويثمر وقد وهنت قواه الجسدية ان يتابع المسير من منحدرات الشباب الى مصب النهر العميق بتزايد مستمر وفيضان دائم، ان يتاح له فى نهاية الحياة تمكين شعب الله من الاستقرار فى الارض كما أتيح له فى فجر الحياة قيادتهم للنصرة. وكانت مهمة شاقة أن يدعى يشوع لكى يتوج عمله بعد أن تخطى الحد العادى للحياة البشرية بعشرين عاما.

ويبدو أن الخطة التى اتبعت هى أولا مسح الارض التى لم تمتلك بعد، ثم تقسيمها بين الاسباط المختلفة بنسبة تعدادها، واخيرا تملك كل سبط للجزء الذى صار من نصيبه. وينحصر بحثنا الآن فى الناحية الأولى. فانه بعد ان دعا الصوت الالهى ذلك القائد المحنك للعمل الاخير العظيم فى حياته بدأ هذا الصوت نفسه باحصاء الاراضى الباقية للامتلاك. وبعد ذلك عندما كان هنالك سبعة أسباط لم يستقروا بعد، وكانت الحاجة ماسة لاتمام المهمة عين ٢١ رسولا لاجتياز الأرض وفحصها وتقديم تقرير واف عنها ليشوع فى شيلوه.

لو أن المجال يسمح لنا لكان يلذ لنا التأمل فى المساحة التى يحددها روح الله. وهنا على الأقل نلاحظ ملاحظة عابرة انها تشمل كل منطقة فلسطين التى كان يسكنها أقوى الأعداء الذين التقى بهم اسرائيل والذين كانوا مصدر ضعف وخطر دائم لهم حتى أيام الملوك. كانت هنالك أيضا مراعى الجنوب الغنية، ثم سهل فينيقية الخصب والاودية الخصبة التى تروى من مياه لبنان ـ كل هذه الاراضى التى لم يتملك اسرائيل منها دواما الا الجزء الضئيل. قارن هذه الاراضى الفسيحة التى

كانت فى قصد الله بالمقاطعات التى كانوا قد تملكوها فعلاً وقتئذ فيتبين لك بأجلى وضوح مقدار الفرق العظيم بين المثل الاعلى الذى كان يقصده الله وامتلاكهم الفعلى.

نفس هذا الفرق الذى يدعو الى العجب والدهشة يتبين حين نذكر الوعد الأصلى الذى اعطى ليشوع فى بداية هذا السفر "من البرية ولبنان هذا الى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحثيين والى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم". والواقع ان اسرائيل تمتعوا بملء هذه النبوة مرة واحدة، وفى فترة وجيزة، أثناء تملكهم لكنعان. فان سليمان حقق المثل الأعلى زمنا قصيرا، ولكن عصر ملكه الذهبى سرعان ما تلبد جوه بالغيوم القاتمة. من أجل هذا رأينا بعض النقاد يذكرون هذه الناحية كدليل على عدم صدق الله. وكان الاجدر ان يذكروها كدليل على ضعف البشر، وعلى عجزهم وتقصيرهم فى المطالبة بتحقيق مواعيد الله والتمتع بها. ليس عند الله تغيير ولا ظل دوران، ومن المستحيل ان لا تتم مواعيده حتى مع عدم ايماننا.

لنتأمل الآن ان كان لا يوجد فرق مماثل بين ماقصده لنا الله وبين ما وصلنا اليه فعلا. فالخريطة التى يقصدها الله لشعبه مبسوطة لنا فى الكتاب المقدس، ومقدمة الينا فى حياة المسيح كما قدمت وبسطت ليشوع. هنا توجد قائمة بجبال الرؤى وأودية البركة، بالمراعى الخصبة ومياه الراحة، بالمدن التى يمكن امتلاكها والأعداء الذين يتيسر طردهم. كل هذا مرسوم لنا، وخليق بنا أن نتأمل فيه بدقة، لعلنا نخجل من أنفسنا بسبب التقدم البطئ الذى أحرزناه، ونشتعل غيرة وحماسة لكى ندرك جميع ما أدركنا المسيح لاجله.

(١) فى ناحية المعرفة:

يجب التمييز بين قوة الادراك والفهم وبين المعرفة. ليس من العسير الوصول الى الأولى بكل وسائل تحصيل العلم التى تكثر حولنا. فالجرائد السيارة نفسها اذ بدأت تستيقظ لتدرك أن الانسان له احتياجات أخرى غير الشئون السياسية أصبحت الآن تقدم لنا الاكتشافات العلمية، وتلخص لنا بعض الكتب فى الشئون المختلفة. والعلوم العلمية، ودقة الملاحظة، والحياة الاجتماعية، هذه كلها تعمل على خلق **الثقافة** فينا، على أن هذه تختلف كل الاختلاف عن **المعرفة**. فالمرء قد يكون خاليا من الثقافة خلوا تاما، ومع ذلك قد تكون له قوة ادراك الحق التى تفوق الثقافة كما تفوق زرقة السماء الوان المناظر المرسومة على الشاشة فى دور التمثيل. وفى نفس الوقت قد يكون المرء ذكيا، حاضر الذهن، مثقفا، قوى الذاكرة، مع ذلك قد يكون خاليا من المعرفة خلوا تاما.

ان الله يريدنا أن نعرفه كما عرفه يسوع. اذكر كم مرة قال المسيح "أعرفه". لم يكن بينه وبين الآب حجاب، فهو والآب واحد. هذه المعرفة التى تفوق كل ادراك بشرى يريدنا الله أن نتمثل بها. هو يعطينا الحياة الابدية لكى نعرف الاله الحقيقى وحده (يو ١٧ : ٣). وهو يأمرنا ان نقف فوق الجلجثة لكى نرى قلب الأب. وهو يعلن لنا الله فى حياته حتى اذا ما عرفنا الله. ومع ذلك فما أقل معرفتنا به عن طريق الشركة القلبية والعشرة الشخصية.

خذ أقل مقياس: **معرفتنا بكلمة الله**. بينما نرى بعض المكتشفين يضربون بسهم وافر فى اكتشاف الأراضى المجهولة نرى الكثيرين من

المسيحيين يقنعون بالقليل جدا من البقاع المألوفة. انهم يقرأون، ويعيدون قراءة نفس الفصول من الأناجيل أو المزامير أو أشعيا. ولكنهم لا يجسرون على ارتياد البقاع التى لم يكتشفوها. والأشد ايلاما من هذا انهم لا يتعمقون فى تفهم الكلمات التى أصبحت أليفة لهم، ولا يزدادون ادراكا لمعناها عما عرفوه فيها فى بداية الأمر. انهم كالجماهير المرتبكين بأعمال الحياة الذين يمرون باستخفاف على مقابر الشهداء، ويطمسون معالم النقوش المقدسة المكتوبة عليها، ولا يعيرون أقل اهتمام للحقائق الرائعة التى تزدحم فى عقل المؤرخ اذ ينحنى أمامها فى خشوع ووقار واجلال وفى تأملات هادئة عميقة.

هنالك مواضيع كثيرة يرفض أغلب المسيحيين ارتيادها بالمعرفة الحقيقية. ضمن هذه المواضيع: مجئ المسيح الثانى، رد اسرئيل ورسالتهم القادمة للبشرية، النبوات التى لم تتم، وحدة المسيح الرمزية بالمؤمنين به. فى كل هذه النواحى توجد أراض كثيرة باقية للامتلاك. خليق بنا أن نستمع الى التوبيخ الذى يوجهه الينا المرنم، الذى كان يلهج نهارا وليلا فى كتابه المقدس الصغير الحجم وقتئذاك. لنتعلم الدروس الكثيرة من نحميا وغيره من شخصيات الكتاب المقدس العديدين الذين كانت صلواتهم وتسابيحهم مجرد سلسلة آيات مقدسة من الكتاب. فلنصلح طرقنا، ولا نسلك الطرق المألوفة بصفة دائمة، بل لنجد فى الحصول على معرفة أتم لكل دائرة الحق كما هو معلن فى كلمة الله.

واذا قلت معرفتنا بالكتاب المقدس صارت معرفتنا بالله أقل. يبحث البعض منا عن ناحية واحدة من صفاته ويجهل الباقى جهلا تاما. نحن نعظم رحمته ونتغاضى عن بره. أو نتأمل فى عدله متغاضين عن نعمته. وفضلا عن ذلك فان معرفتنا به مستقاة مما نسمعه من الآخرين. نحن لانسمعه شخصيا ولا نعرفه بانفسنا. نحن لانقنع بان نعرف ـ بالواسطة ـ موسيقى بتهوفن أو صور موريللو. ولذلك يجب ان لا نستريح حتى نستطيع أن نقول مع أيوب "بسمع الأذن قد سمعت عنك والآن رأتك عينى" (اى ٤٢ : ٥). آه ليتنا نعرف الله، وننمو فى معرفته، حتى يشرق فى قلوبنا كالصبح أو كالمطر المبكر. يا للسعادة التى تملأ قلوبنا حين نكتشف فى أصدقائنا نواح جديدة من الصفات، أو جمالا جديدا، أو نلتقى مصادفة ببعض نواحى العظمة التى لم نكن نحلم بها فى حياتهم. هكذا نجد معنى جديدا للحياة عندما نبدأ باكتشاف الأرض المجهولة من الكثيرين منا، ونبدأ بالتعمق فى معرفة شخص الله. هنا لا تزال أراض كثيرة باقية للامتلاك.

(٢) فى ناحية التحصيل:

توجد فينا ـ كما كانت توجد فى كنعان قديما ـ سبعة شعوب للخطية. فينا الأميال الوراثية للشر، العادات القبيحة التى قد حصنت نفسها، الرغبات العالمية التى أصبحت جزءا من كياننا. عندما بدأنا حياتنا المسيحية هاجمنا كل هذه النواحى بتوفيق عظيم، ولكننا قد مللنا السهر الطويل والقتال المستديم. وأصبحنا لا نستسيغ الأحقاء الممنطقة واليقظة العسكرية. وصار قلبنا لا يتصل بالمسيح الا اتصالا سطحيا،

وسلامنا متقطعا بصفة مستمرة بسبب الهجمات التى توجهها الينا تلك الشرور التى لم تستأصل بعد، والتى تغير علينا من وقت لآخر فتكتسح أمامها كل شئ. لا تزال هنالك أراضى كثيرة باقية للامتلاك.

أليس خليقا بنا أن نحصى نقط الضعف فينا، لا بروح البحث المغرض السقيم، بل بروح تحليل النفس السليم الامين؟ أليست الخطوة الاولى للحياة المصلحة أن ندرك ما يحتاج الى الاصلاح فينا؟ علينا ان لا نحاول بذل أى مجهود لمعرفة أنفسنا، بل لنكشف قلوبنا ليفصحها روح الله، ملتمسين منه أن يفحصنا ويرينا الطريق الباطل الذى فينا قبل أن يهدينا طريقا أبديا.

قد تكون متاجرنا أو مصانعنا أو مصالحنا العالمية هى التى لم يتملكها المسيح بعد، ولا تزال بعيدة كل البعد وبصفة مستمرة عن دائرة نفوذه. أو قد تكون الناحية الاجتماعية أو العائلية فى حياتنا هى التى لم تخضع له بعد. قد تكون الروح هى التى خضعت له دون النفس، أو قد تكون النفس دون الجسد. قد نقبل سيادة الله على النواحى الرئيسية فى حياتنا، ولكن لا تزال هنالك بعض العادات لم نخضعها بعد لنفوذه.

تأمل مقدار عظمة المثل الاعلى الذى يقصده الله لكل واحد منا: ان نكون "مشابهين صورة ابنه" (رو ٨: ٢٩). تأمل مليا فى صفاته الرائعة، فى قوته وجماله، فى قداسته ورقته، فى بغضه للخطية ومحبته للخطاة. أهذا هو المثل الاعلى الذى رسمه الله للانسان؟ وهل سبق أن عين الله لكل واحد منا أن يحقق هذا المثل الاعلى فى حياته؟ اذن فمن منا

يتسرب اليأس لنفسه؟ آه ما أكثر الامور الباقية للامتلاك. وما أقل ما تملكناه من جماله، وقوته، ورقته، وقداسته.

ان النفس يتملكها المسيح أولا، وبعد ذلك تبتدئ هى بأن تتملك المسيح. وقائدنا الاعلى يدركنا أولا، وبعد ذلك ندركه نحن. أننا نفتح قلوبنا لنقبله فى اعماقها، وبعد ذلك نتعلم بأن نتملكه بالايمان الحى. وبعبارة أخرى أن التكريس ينبغى أن يسبق الامتلاك. وحينما بكمل التكريس فاننا نبدأ بأن نتملكه، قد تبدأ هذه العادة المباركة باجراء واحد، ولكنها تتكمل بسلسلة متتابعة من الاعمال التى تستمر بنعمة الروح القدس حتى يصبح التطلع الى المسيح وطلب كل احتياجاتنا منه أمرا طبيعيا كالتنفس. آه أيتها النفس، لماذا ترتضين بأن تكونى هزيلة فقيرة، لماذا تموتين جوعا؟ أليس لك لأنك تباعدت عن يسوع؟ قومى وسلمى ذاتك له. اسمحى له بأن يتملكك. وبعد ذلك طالبى بأن تتملكى ربك. بذلك تبتدئين أن تدخلى ميراثك الابدى.

(٣) فى ناحية مواهب الروح القدس:

"لكل واحد منا أعطيت النعمة حسب قياس هبة المسيح" (اف ٤ : ٧) ويفهم من النص الاصلى ومن سياق الحديث ان "النعمة" المقصودة هنا ليست النعمة العادية التى نحتاجها فى حياتنا اليومية، بل المواهب الخاصة لنعمة الامتلاء بالروح القدس، التى وهبت لنا من الرب الصاعد الى السموات. حينما نفهم تعاليم الرسائل فهما تاما ندرك ان لكل عضو فى جسد المسيح الرمزى نصيبا فى مواهب الروح القدس، يصح

وصفه بأنه نصيب فى معموديته أو فى ملئه. على أن هناك يقينا نعما أخرى خلاف ما اصطلحنا على تسميته بالتجديد، أو موهبة الايمان، أو رؤية المخلص الحى. هنالك القوة، المحبة المتدفقة، اليقين، الفرح الفائض، الحرية ـ هذه النعم التى لا يتمتع بها كل المسيحيين، رغم انهما حقهم الموروث.

علاوة على هذه فهنالك مواهب الروح القدس التى بها نؤهل بمؤهلات خاصة لاتمام عمل المسيح فى العالم. حسن القيادة، حكمة ربح النفوس، قوة التدرج بالمؤمنين الى حياة أكمل، القدرة على الخدمة أو الكلام أو التعليم، العطف، سهولة النطق قوة الصلاة. هذه بعض مواهب الروح القدس. ان كل دائرة بركات الروح القدس الفسيحة الارجاء يتجنبها الكثيرون من المؤمنين كأنها مليئة بالمستنقعات والاوبئة، ولا تزال أراض مجهولة كمجاهل أفريقا فى القديم. يقينا ان فى هذه الناحية أراض كثيرة باقية للامتلاك.

ولكن يجب أن لا نقنع بمجرد معرفة نقائصنا وعيوبنا. بل لنقم ولنحرر أنفسنا كما يليق بالرجال. لنطلب من يشوعنا السماوى ان يثبتنا فى هذه الارض الجيدة، لكى لا يكون هنالك شبرا واحد من الارض باقيا دون امتلاك. لقد وهبنا الله فى المسيح كل ما هو للحياة والتقوى، فلنطالب بكل ميراثنا بالايمان الحى لكى نتمتع بكل ما فى امكاننا الوصول اليه فى هذه الحياة.

الفصل السابع عشر
زميل محنك
يشوع ١٤

ان الحياة الطاهرة الكاملة التى بلا عيب هى التى لم تقل لله بلا ريب ها وزنتك محفوظة يارب، بل جاهدت الجهاد الحسن وانتفى عن قلبها كل حزن وامتلأت غبطة لا تأتى الا بالكفاح على مر الزمن.

(لونج فيلو)

تمت قسمة الأرض فى الجلجال. هنالك، حيث دحرج عار مصر، وحيث لبثت المحلة الاصلية، وتجمعت حول خيمة الاجتماع طول مدة الحرب، اذ كان المحاربون بعيدين عن زوجاتهم وأولادهم يحاربون حروب الرب، هنالك كان خليقا بأن توهب مكافأة الانتصار. كان عصرا ذهبيا فى تاريخ اسرائيل حيث التف الاسباط حول قائدها المحنك، وقسم لهم الارض بالقرعة هو والعازر.

كان أول من تقدم ليشوع فى الجلجال لأخذ نصيبهم سبط يهوذا لأنه كان أول المتقدمين فى الارتحال، وأول المتقدمين فى الحرب. علاوة على هذا فقد كان شعبا عظيما، وكان منتظرا أن يلعب دورا هاما فى تاريخ اسرائيل وفى تاريخ البشرية. ولكن قبل تقسيم الأرض بالقرعة جد حادث حرى بإهتمامنا، لأننا نستطيع تعلم الدروس من تصرفات وأقوال الافراد أكثر من تصرفات الجماعات. اذن قف صامتا أيها المسبحى

وابحث فى نفسك فى أسعد أوقاتك عن نظير لهذا الطلب الذى قدمه هذا البطل الشيخ شبل الاسد (لأن هذا ما يتضمنه اسمه "كالب (١)") كانت فيه الكثير من صفات الاسد: القوة، والشجاعة، والبطولة. كان هو الاسد الصغير فى سبط يهوذا منذ خمسين عاما. على أنه حين برز من صفوف يهوذا ليطالب بحقه كان فى نفس القوة كما كان حين أرسله موسى لتجسس الأرض. "لم أزل اليوم متشددا كما يوم أرسلنى موسى. كما كانت قوتى حينئذ هكذا قوتى الآن للحرب وللخروج وللدخول" ع١١.

(١) كانت أهم ميزات كالب فى فجر حياته ولاؤه التام لله يحدثنا الكتاب مرارا عنه وعن يشوع أن كلاهما "اتبع تماما الرب". ونستطيع أن نجد آثارا لهذا فى كلمات ذلك الشيخ اذ كان يتحدث الى زميله فى كثير من المواقع الحربية العنيفة، وزميله فى كثير من الرحلات المضنية. لقد عاد باقى الجواسيس والفزع يملأ قلوبهم بسبب ما رأوه من الجبابرة، والمدن المسورة، والاستعدادات الحربية العظيمة. انهم لم يركزوا تفكيرهم فى ارادة الله. ولم يرفعوا أنظارهم الى ذراعه الرفيعة. وعوضا عن اتباعه تماما استسلموا للخوف واذابوا قلوب الشعب.

أما كالب فلم يتطرق اليه الفزع. لأنه كان واثقا انه اذا سر بهم الرب اتى بهم الى أرض تفيض لبنا وعسلا، ووهبها لهم. وكما آمن بقلبه تكلم بلسانه. وفى كلماته العسكرية البسيطة تجاسر بأن يفتخر ان

---

(١) معناها كلب أو غراب، أو سلة، أو كالقلب، أو ذو قريحة.

الكنعانيين ليسوا الا خبزا فى انتظار جنود اسرائيل ليأكلوه ثم يتحدث عن ظل حراسة الله الذى عبر عن الارض "لا تخافوا من شعب الارض لأنهم خبزنا. قد زال عنهم ظلهم والرب معنا. لا تخافوهم" (عد١٤ :٩).

لقد اتبع كالب الرب تماما خلال السنوات المضنية التالية. فأنه وسط الارتحالات الكثيرة، والوفيات التى لا تحصى. والتذمرات والتمردات التى صدرت عن الشعب، بقى ثابت العزم لاتمام ارادة الله فقط، وارضائه، وعدم اتباع أى قائد آخر، وعدم الاصغاء الى أى صوت آخر. لم يكن ممكنا قط استمالة ذلك الشبل الى أية حركة ضد موسى وهرون. لم يرتض بأن يشترك فى حسد مريم، ولم يكن ممكنا أن تغويه حيل بنات موآب. بل ظل دواما قويا، أمينا، طاهرا، نبيلا، ظل ثابتا كالصخر وسط الامواج المتلاطمة، وراسخا كالطود وسط العواصف والانواء. كان قويا استطاع ان يحمى الضعفاء. كان برجا حصينا لذلك الجيل الجديد الناشئ الذى ترعرع ليحل محل آبائهم الذين سقطوا فى البرية. كان نسطور (١) جيش العبرانيين، وفيه تحققت مقدما كلمات المرنم اذ كان مثمرا فى الشيبة، كما كان دسما وأخضر الى النهاية (مز ٩٢: ١٤).

كان هنالك أمران أنار الطريق أمام ذلك القائد القوى القلب وسط ظلمات التيه فى البرية وغموض الغزو: (الأمر الأول) الاحساس الذى ملأ قلبه بأن الله قد سر به. ان عواطف الله من نحوه تتدفق محبة

---

(١) اسم ملك يونانى اشترك فى حروب طروادة وكان طاعنا فى السن.

وغبطة، وان سلام الله الذى يفوق كل عقل يمكن ان يكون نصيبه الثابت. واذ كان يسير فى النور كما ان الله فى النور، فكانت له شركة مع الله وكان يحمل باقى الصفات الالهية قبل أن يدخل أرض الموعد.

(الأمر الثانى) افتكاره في حبرون. انقضت خمسة واربعون عاما منذ رأى تلك المدينة القديمة. والمرجح أنه لم بلبث فيها أكثر من ساعة أو اثنتين حتى ينتهى زملاؤه من احضار الرمان والبرتقال وباقى ثمارها النفيسة. ولكن هذه الفترة الوجيزة تركت فى قلبه أثرا لا يمحى. لقد رأى وادى اشكول حيث قطفوا عنقود العنب، ولكنه لم يخلب لبه كما فعلت تلك المدينة التى ركز فيها كل تفكيره. لقد رأى أورشليم الجميلة بموقعها، والمحاطة بجبالها ولكنه لم ير فيها مجدا يوازى مجد تلك المدينة التى أحبها قلبه. وحتى سهل أسدرايلون الذى يرويه نهر قيشون لم يكن ممكنا ان يحول نظره عن حبرون. حبرون التى اقام ابرهيم خيمته تحت بلوطاتها. حبرون التى وطئت ارضها اقدام الاله المتجسد اذ زار خيمة ابرهيم مع ملاكين خادمين، حبرون التى دفن فيها ابراهيم وسارة، اسحق ورفقة، يعقوب وليئه، كل فى مرقده الضئيل محتفظا بحق امتلاك الارض، كما تحفظ قبور الموتى عادة حق امتلاك الارض للاحياء، الى ان يتحقق وعد الله ويعود نسل ابرهيم للمطالبة بميراثه.

عرف الله رغبة كالب ورتب بأن ما أحبه قلبه لابد ان تناله يده، وتتملكه وتحتفظ به. كان هذا أحد الامور التى اعدها الله للذين يحبونه. هو الذى ارشده بأن يحب تلك الارض الجميلة وحالما رجع الى المحلة

صدر الأمر الالهى "أما عبدى كالب فمن أجل انه كانت فيه روح أخرى وقد اتبعنى تماما ادخله الى الأرض التى ذهب اليها وزرعه يرثها" عد ١٤ : ٢٤ وقع هذا الوعد على قلبه وقع المياه على الأرض العطشة. ومنذ ذلك الوقت صارت حبرون موضوع تفكيره الدائم. ورغما عن الأوبئة الكثيرة بين الشعب، وموتهم أجمعين الواحد بعد الآخر، فان ضربة الموت لم تجرؤ أن تنشب فى قلبه.

اننا نستطيع أن نتبين بعض الآثار لحالة قلب كالب خلال كل تلك السنوات الطويلة فى الكلمات التى تحدث بها فى هذه المناسبة الخطيرة حيث قال "والآن فها قد استحيانى **الرب كما تكلم**... فالآن أعطنى هذا **الجبل الذى تكلم عنه الرب** فى ذلك اليوم.. كما تكلم الرب". كان وعد الرب موضوع تفكيره وتعزيته، كما كان أعظم جزاء له. وكان عليه ان ينتظر اتمامه ولو طال أمده كما تطول أيام الانتظار عادة خصوصا عندما ينتظر الانسان الله. وفى انتظاره كان الله يصنع من أجله (أشعيا ٦٤ : ٤).

(٢) ومثل هذا الولاء له نتائجه العجيبة:

١ ــ هو التربة التى ينبت فيها الايمان الذى يطالب بتحقيق الوعد. "فالأن أعطنى هذا الجبل الذى تكلم عنه الرب فى ذلك اليوم" لم يكن هذا الطلب العظيم يتطلب سوى الايمان العظيم. تأمل فى طول الوقت المنقضى. تأمل فى عظمة الطلب، طلب امتلاك كهذا. تأمل فى العناقيين الذى كانوا واضعين أيديهم الجبارة على المدينة. على

أن الايمان انتصر، وان كانت قد انسابت من بين شفتيه كلمة "لعل" (ع١٢) وهى تشعر بشئ من خور العزيمة بسبب الخوف فينبغى ان لا يخطر بالبال قطعا انها تشعر بشئ من الشك فى الله بل بعدم الثقة فى النفس، وهذه ميزة العظمة الحقيقية. فانك لن تجد أى واحد من الابطال والعظماء يثق بنفسه. لأنه فى الوقت الذى يثق فى الله ثقة مطلقة يتساءل على الدوام ردا على تهمة الخيانة "هل أنا هو يارب".

أن ضعف ايمانك لا يعزى لاى نقص وراثى فى طاقة الايمان. بل لأنك لم تتعلم بعد معنى الكلمات "قد اتبع الرب تماما". أن هنالك ميراثا ينتظرك، حبرون الموعودة، بعض البركات محبة الله اللانهائية لك فى المسيح. فعليك أن تتقدم بايمان كالب قائلا "أعطنى هذا الجبل".

٢ ـ هو يؤدى الى الشركة. معنى "حبرون" صحبة أو شركة هذا هو معنى الكلمة القديمة. ولعل هذا هو السبب الذى من أجله أراد كالب أن يمحو اسمها الحديث "قرية أربع" الذى أطلقه عليها العناقيون الجبابرة، ويعيد اليها اسمها القديم الذى طالما جرى من بين شفتى ابرهيم. "واسم حبرون قبلا قرية أربع الرجل الاعظم فى العناقيين" ع١٥. كان الاسم يوحى اليه تلك الشركة مع خليله غير المنظور، التى تمتع بها طول أيام غربته، والتى لم تنته وقتئذاك، لأنه فى عزلته فى ملكه الجديد، تحت ظل كرمته وتينته، كان يتحدث الى الله كما يتحدث الانسان مع صاحبه، معطيا بذلك صورة مقدمة لاختبارات نثائيل فى عصر الانجيل.

هذا ما ينبغي أن يكون أبد الدهر. فانك ينبغى أن تسلم حياتك لله تسليما كليا، وتتبعه تماما، والا فانك لن تستطيع أن تعيش فى حبرون، حيث يعلن الله ذاته للنفس بعبارات المحبة التى لا يسوغ ان ينطق بها. "ان أحبنى أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي واليه نأتي وعنده نصنع منزلا" (يو ١٤ : ٢٣).

العالم فى أمس الحاجة للمحبة. انه ملئ بالنفوس المثقلة والقلوب الكسيرة. ومحبة الله لا تصل للانسان الا عن طريق الانسان. وهذا هو السبب الذى من أجله صار الكلمة جسدا: لكى يستطيع الله أن يسكب ملء محبته لا فوق الانسان فحسب بل فيه أيضا. والآن يجب على المفديين الذين اتحدوا به أن يكونوا آنية مقدسة تنسكب بواسطتها هذه المحبة. وان كان أحد يتوق قط. يجب أن يتمتع بهوائها العليل ومائها السلسبيل وثمرها الجميل. ينبغى أن نعيش فى محبة الله كالمغبوط بولس الذى لابد أن تكون رسالته الأولى قد كتبت فى سكون حبرون لا فى الصراع مع أفسس الوثنية. يجب أن تسكن محبته فينا بلا عائق. على أن السبيل للحصول على مثل هذا الاختبار هو الطاعة التى لا تحسب حسابا لأى تضحية، ولا تلتمس المعاذير، بل تتبع تماما ارادة الله وناموسه.

والذين يتبعون الله يعرفونه. "والخراف تتبعه لانها تعرف صوته". فهو يلتفت ويراهم يتبعونه، ويستمع الى صوتهم اذ يطلبون معرفة مخابئه، فيأمرهم قائلا "تعال وانظر" يالبركة البركات. انهم يلبثون معه فى صلة

كاملة، كما كان موسى فى الجبل قلوبهم تشتعل وتضئ وهم لا يدرون، اذ يقضون الساعات الطويلة فى حضرته دون أن يشعروا بطول الوقت أو يحسبوا له حسابا. واذ يخرجون يشع وجوههم نور المحبة، فتلألأ ملابسهم بالجمال كأنهم هم أيضا صاروا لابسين النور.

٣ ـ ويؤدى الى القوة. قال كالب "والآن فها أنا اليوم ابن خمس وثمانين سنة. فلم أزل اليوم متشددا كما فى يوم ارسلنى موسى. كما كانت قوتى حينئذ هكذا قوتى الآن للحرب وللخروج وللدخول". ان التكريس هو مصدر القوة التى لا تهن، لأنه يمكن النفس من استمداد القوة من الله. وكما أن العصارة تنسكب بواسطة أغصان الكرمة الرقيقة فى الربيع هكذا تنسكب قوة الله فى المؤمنين، الذين لم يتحدوا به فحسب بل فتحوا له قلوبهم لسكناه.

هذه هى الحقيقة التى يؤكدها اشعيا فى مقارنته الرائعة بين قوة الشباب وقوة الذين ينتظرون الرب. استمع اليه اذ يقول "يعطى المعيى قدرة ولعديم القوة يكثر شدة. الغلمان يعيون ويتعبون والفتيان يتعثرون تعثرا. وأما منتظرو الرب فيجددون قوة. يرفعون أجنحة كالنسور. يركضون ولا يتعبون. يمشون ولا يعيون" اش ٤٠ : ٣٠ و٣١. يمشون رغم شدة حرارة الشمس، يتحملون بصبر كل متاعب المسير من أجل اسمه ولا يعيون. يقاومون كل التجارب التى تغريهم للخمول والكسل. هذه مهمة شاقة بلا ريب. ولم يكن فى طاقة كالب البشرية أن تتحمل عناء المسير مدة خمس وأربعين سنة فى البرية. ينبغى أن تتعلم النفس كيف تستمد

القدرة التى يعطيها الله للمعيى، وتتقبل الشدة التى يكثرها لعديم القوة.

على أن هذه القوة لا تنال الا بالطاعة. فان الله لا يمكنه أن يهبها ولا يريد أن يعطيها الا حيث توفرت الرغبة الكاملة لأتمام ارادته، والسلوك فى طريقه، وتأدية عمله. أما اذا توفر هذا الشرط فلابد أن تنال قوة للجسد والنفس، للعقل والقلب، للارادة والروح، قد يفنى انساننا الخارجى، أما الداخل فانه يتجدد يوما فيوما.

٤ ـ **ويعطي نصرة**. يبدو ان كالب هو الوحيد الذى نجح نجاحا تاما فى طرد كل سكان البلاد الاصليين بعكس جميع الاسرائيليين الذين نالوا نصيبا مثله فى أرض الموعد. فالاسرائيليون بوجه عام يظهر أنهم لم يتقدموا الا تقدما ضئيلا ضد اعدائهم الاقوياء بمعداتهم الحربية العظيمة وأسوارهم المنيعة. طالما اصطدمنا بهذه الكلمات المحزنة "لم يقدروا على طردهم". أما كالب فهو وحده الذى استثنى من هذه القاعدة، رغم أن قرية أربع (حبرون) كانت "الرجل الأعظم فى العناقيين" (ص ١٤ : ١٥)، ورغم أن بنى عناق الثلاثة شيشاى واخيمان وتلماى كانوا مستعدين لتسليم حياتهم للموت بدلا من تسليم المدينة (ص ١٥ : ١٤). على أن كالب طردهم، لا هو بل الرب الذى كان معه ووهبه الغلبة التى ـ لولا ذلك ـ لم يكن ممكنا له الوصول اليها مهما عظمت قوته. ان الرجل الذى اتبع الرب تماما كان وحده هو الذى انتصر تماما.

يالها من نتيجة مجيدة. ان فشلنا فى طرد شياطين القلب، فى الثبات أمام هجمات الشيطان والفساد الداخلى، يعزى لعدم تكريس الحياة. اننا لم نتبع الرب تماما. هنالك ثلمة خفية تتسرب منها القوة. فلنصلح هذه الثلمة قبل انقاذ البقية ولكن حينما نسلم الحياة لله تسليما كاملا فحينئذ لا تستطيع الخطية أن تقف امامنا لأنه لن تستطيع أية قوة ان تقف أمامه. فلنضع كل الأمر بين يديه بروح التواضع وبروح الثقة واثقين أنه سوف يخرج ضد أعدائنا فى مركبات الخلاص.

٥ ـ **ويمكننا ان نعطي بركات للآخرين**. يخبرنا الكتاب مرتين كيف ان عكسة (ابنة كالب والتى اعطيت زوجة لعثنيئيل مكافأة له على مخاطرته بحياته وأخذ دبير قرية الكتب والاسفار) نزلت عن حمارها لطلب بركة من أبيها. أنه كان قد اعطاها ـ كمهر ـ حقلا فى الجنوب، ولكنه كان خاليا من ينابيع الماء. وكان ارواؤه يتطلب حفر الترع أو القنوات من مسافة بعيدة. بحث العروسان الامر فيما بينهما ووجدا أنه من الأفضل جدا أن يكون لهما ينابيع ماء. واذ خجل عثنيئيل من ان يتقدم بالطلب تقدمت هى لطلب البركة من ابيها كالب "اعطنى ينابيع ماء. فأعطاها الينابيع العليا والينابيع السفلى" (ص ١٥ : ١٩).

فى الرسالة لاهل غلاطية يتحدث الرسول عن الاشخاص الذين منحوهم الروح (ص ٣ : ٥) هذا تعبير غريب كأنه "بخبر الايمان" امكن ان يكون البشر آنية يمنح الروح بواسطتها للاخرين. يالها من قوة عجيبة. أهذه هى النعمة الروحية غير المنظورة التى كانت تمنح بسر وضع

الايدى، تحت هذه العلامة المنظورة (وضع الايدى) ؟ أيمكن ان نقول انه لا يزال للآن فى مقدور الرجال والنساء الذين يعيشون فى شركة حبرون الروحية ان يهبوا ينابيع النعمة الروحية، الينابيع العليا والينابيع السفلى ؟.

اتبع الرب تماما وحينئذ تسكن الأرض. بذلك يصير قلبك كجنة ريا وينبوع مياه لا ينضب. بذلك تنال المواعيد، لا لنفسك فحسب بل للاخرين أيضا. بذلك تفيض ينابيع مياه حية منك وممن يتصلون بك. بذلك يجتمع حولك عثنيئيل وعكسه اللذين فى دائرة حياتك العائلية لطلب البركة، فتجد قوة لتفجر ينابيع البركات الروحية فى أعالى السماويات، وفى أعماق الخدمة العملية اليومية، فى وادى الحياة البشرية.

الفصل الثامن عشر
ينالون ويملكون
رو ٥ : ١٧ (١)

اعنا لكى نتمم كل غاية نبيلة وزد إيماننا لكى نجد فيك غذاءنا واضئ عقولنا لكى نستطيع أن نرى بأن كل ما حولنا يشهد لك وليت مثل هذه الشهادة تظهر فى حياتنا لكى يعرف كل من يرانا انك كنت معنا.

(بورن)

بدأت الآن قسمة أرض كنعان التى كانت قد بدأت فى الجلجال تحت إرشاد يشوع والعازر، وتوقفت وقتيا بسبب طلبة كالب. وكان أول من نال نصيبه الاسباط الثلاثة الكبار :

يهوذا، وافرايم، ومنسى. كان نصف سبط منسى قد سبق أن أخذ نصيبه على يد موسى فى شرق الاردن. ولذلك فان نسل يوسف أخذ فى بداية الأمر حصة واحدة، وافرزت مدن لبنى افرايم فى وسط نصيب بنى منسى (يشوع ١٦ : ٩، ١٧ : ١٤).

---

(١) لأنه ان كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد فبالأولى كثيرا الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون فى الحيوة بالواحد يسوع المسيح.

وقد حددت تخم هذه الاسباط العظيمة بكل دقة. فى **الاصحاح الخامس عشر** نجد نصيب يهوذا، وفى الاصحاحين السادس عشر والسابع عشر نجد نصيب بنى يوسف. من ذلك نستنتج ان لكل منا نصيبا معينا فى هبات المخلص الذى صعد إلى السماوات، كما أن لكل منا نصيبا معينا من العمل فى بناء الكنيسة وربح النفوس. "**لكل منا** أعطيت النعمة حسب قياس هبة المسيح" (اف ٤ : ٧). وأيضاً "**لكل واحد** يعطى اظهار الروح للمنفعة" (١ كو ١٢ : ٧). وان وجد هنالك تنوع فى المواهب والخدمات فلا غرابة فى ذلك. فهذا يتفق مع تكوين العقل البشرى الذى لا يمكن أن يتماثل فيه اثنان. ورغم أن المواهب التى خصصت لكل واحد تختلف عما خصصت للاخر كاختلاف المقدرة الطبيعية فى كل واحد عن الآخر، الا انه لا يمكن أن يترك أى واحد من عبيد الملك دون وزنات نفيسة. لم يعط لكل واحد خمس وزنات، على أنه لم يترك أى واحد دون أن يعطى له ولو وزنة. لكل واحد خصص جزء من بناء السور، زاوية فى الكرم، مكان فى خدمة الهيكل، ولكل واحد خصص مستودع من النعمة الخاصة والمواهب الخاصة، اعده لنا الرب المقام من الأموات، ومنتظرا حتى نناله من يديه.

وقد قيلت عن كل من هذه الاسباط نفس الكلمات الأليمة التى

طالما تكررت فى هذا السفر والسفر التالى كجرس الخطر الذى يدق بصفة مستمرة على الشاطئ الخطر منذرا بالعواصف "ولم يقدروا أن يطردهم" "فعزم الكنعانيون على السكن فى تلك الأرض" (يش ١٧ : ١٢).

لاحظ قوة هذه الكلمة "عزم". لم يكن للكنعانين أى حق فى هذا العزم، فقد كان محكوماً عليهم بالاستئصال من الأرض. لم يكن لهم نصيب ولا قرعة فى كنعان. ولكن اسرائيل ارتكبوا خطأ فاحشا بالسماح لهم بالبقاء، مع وجود هذا الوعد الصريح "أطردهم من أمام بنى اسرائيل". ومع ذلك فيجب أن لا ندينهم، لئلا ندين أنفسنا فليس هنالك أقل مبرر أن تسودنا الخطية المحيطة بنا أو الشهوات الجسدية، أو تتخذ لها إقامة فى طبيعتنا التى جاء المسيح ليحررها. لا تسمح لها قط بان تقول انها "عزمت" وهب انها تستطيع أن تعطلنا فانها لن تقدر أن تثبت فى حضرة الرب القادر على كل شئ الذى أبطلها على الصليب وتعهد بملاشاتها نهائيا.

وقد أدى وجود الكنعانيين إلى قيام مشاحنة بين بنى يوسف ويشوع. "وكلم بنو يوسف يشوع قائلين. لماذا أعطيتنى قرعة واحدة وحصة واحدة نصيبا وأنا شعب عظيم" (ص ١٧ : ١٤). لقد اكتفوا كالكثيرين بأن يعيشوا على قوة ماضيهم المجيد، ويعتمدوا على كثرة

عددهم وعلى هيبتهم، ولم يظهروا بأعمالهم ما يبرر اتكالهم على هذه الاعتبارات.

"فقال لهم يشوع ان كنت شعبا عظيما فاصعد إلى الوعر واقطع لنفسك هناك" لا تزال هنالك أراض فسيحة باقية للأمتلاك فى تخوم نصيبك، غابات فسيحة. فاقطع لنفسك أشجارا وازرع لنفسك مكانها. كثيرا ما طلبنا من الله دوائر أوسع للخدمة، فى الوقت الذى نكون فيه عاجزون عن الانتفاع بما هو بين أيدينا. "اقطع لنفسك" لعل هذه الوصية تنطبق علينا أجمعين. لا تطلب دوائر للخدمة الا بعد أن تكون قد وفقت فى كل الدوائر التى بين يديك، فى عائلتك، فى المتصلين بك. قد تكون الاخشاب كثيفة فى الوعر، ولكن فأس الإيمان المثابر فيها كل الكفاية.

أما بنو يوسف فقد أصروا على طلبهم "لا يكفينا الجبل" والوادى مكتظ بالكنعانيين الذين لهم المركبات الحديدية، فاعطنا نصيبا أوفر.

فأجابهم يشوع : كلا "أنت شعب عظيم ولك قوة عظيمة" لقطع الاخشاب وطرد الكنعانيين، فاستخدم هذه القوة. ان لنا قوة كافية لكل الدائرة التى ينبغى أن نربحها للمسيح اذا استخدمناها. لا توجد مهمة عسيرة، أو تجربة يتعذر التغلب عليها، فان نعمته تكفينا لسد كل

أعوازنا. ولعل خير السبل لاغلبية قارئى هذه السطور للحصول سريعا على القوة الروحية هو طلب واستخدام فيض النعمة التى فى متناول أيديهم والتى تنتظرهم فى المخلص الحى.

وهذا يقودنا إلى الآية التى صدرنا بها هذا الفصل، والتى نجدها فى أعقد أجزاء رسالة رومية.

فى هذه الآية نلاحظ ثلاثة أمور :

(أ) الفوارق القائمة بين المسيحيين :

فالبعض **موجودون**، والآخرون **يحيون**، **والآخرون يملكون فى الحياة**. للبعض حياة، وللبعض الآخر حياة أفضل. فى البعض تضئ جذوة الحياة الأبدية معتمة بسبب ما يكتنفها من عوامل تحاول أن تخمد أنفاسها، وفى البعض الآخر ـ وأرجو أن تكون أنت أيها القارئ العزيز وأنا ضمنهم ـ يضئ النور متوهجا كامل الضياء. أن نملك فى الحياة معناه أن نحقق الوعد الذى أعطى لنا لكى نكون ملوكا وكهنة لله، جنسا مختارا، شعبا مقدسا. هذا الوعد يتضمن نبل الاخلاق كما يليق بسلايل الملوك، والكرم والجود كما يفعل الامراء اذ يبعثرون هباتهم بين الجماهير، والنصرة كما هو خليق بالملك الذى وطئ أعداءه تحت قدميه وصعد إلى عرشه.

ماذا عرفته فى هذه النواحى ؟ أتستطيع أن تؤكد بأن فى حياتك ما يجعل البشر يعتقدون انك تملك فى الحياة ؟ هل المفاتيح معلقة فى حقويك ؟ ألا تجسر الشهوات النجسة أن تقترب اليك ؟ هل هنالك نبل فى صفاتك ؟ أيسود الآخرين احساس بأن حياتك الروحية ليست مقتصرة على نفسك وعلى احتياجاتك الشخصية، بل ان نعمة الله قد كثرت لديك، وانك بدورك قد ازددت فى كل عمل صالح ؟ اذا لم يكن الأمر كذلك فانك فى حاجة أن تتعلم معنى أن تملك فى الحياة.

(٢) سبب هذه الفوارق :

شكرا لله لأنها غير ناشئة من مجرد رغبته فى أن يمنح نعمة أكثر أو أقل. هنالك "أنواع مواهب مختلفة" ولكن نعمته كالزهور البرية بوجه عام، أو كالجمال فى الطبيعة، أو كالمياة التى يسكبها على الجبال ـ وهذه كلها تعطى بسخاء، بلا حواجز، لكل من ينتسب للأسرة البشرية على السواء. ليس ذلك فقط، بل ان لكل واحد منا فيضا من النعمة فى متناول أيدينا. ان الله غير مبذر، ولا يمكن أن يكون هنالك أى اتلاف فى الخليقة. وما يبدو انه زائد عن الحد فى بعض النواحى يعاد تشكيله بأيد غير منظورة فى صيغة جديدة لها ضرورتها. ولكن لأجل هذا فانه قادر ان يمنح بغنى، أكثر بكثير مما نطلب أو نفتكر، دون أن يعير. لذلك

فان الجميع يشبعون، ويفضل اثنتى عشرة قفة مملوءة فى النعمة، كما فى الطبيعة، يوجد سخاء الهى، بجانب الاقتصاد الالهى. فالله يزيدنا كل نعمة، ومحبته تفوق الادراك، وفرحة لا ينطق له، وسلامه يفوق كل عقل، وأفكاره لا قبل لنا على الوصول اليها.

اذن فالسبب الحقيقى فى أن الكثيرين لا يملكون فى الحياة، لا يعزى إلى ارادة الله التحكمية بل الى تنوع قوة قبول النعمة بين ابنائه. وان كان البعض يقصرون فى قبول النعمة فذلك اما لأنهم لم يتعلموا فن القبول، أو لأنهم لم يصلوا الى الاختبار المسيحى الذى يستطيعون به أن يمدوا أيديهم ليتقبلوا النعمة من الله. تأمل أين يضع الرسول تأكيده فى كلماته "**الذين ينالون** فيض النعمة (هم الذين) سيملكون". اذن فالفوارق لا تعزى إلى الله بل إلى الإنسان، لا فى الخزان بل فى الأنابيب التى لا توصل انسياب المياه الى النافورة.

على قدر عظمة القديسين يكون قدر فيض النعمة التى ينالونها. قد يكونون ناقصين فى الثقافة أو التعليم وفى أمور كثيرة جدا مما يتوفر فى الآخرين، ولكنهم قد تعلموا الفن السعيد الذى تعبر عنه الكلمة "ينالون"، التى نجدها فى كل مكان فى العهد الجديد، خصوصا فيما يتصل بالروح القدس الذى يناله جميع الذين يؤمنون بالمسيح. نحن لن

نسى أنه هو نفسه كان يربط هذه الكلمة بالروح القدس، مثلا عندما نفخ فى وجه تلاميذه قائلا "**اقبلوا** الروح القدس".

هل تتوق إلى سمو الحياة ؟ اقبلها. هل تتوق إلى حياة السخاء، ليس عليك الا أن تقبلها. هل تتوق إلى تلك النصرة ؟ ليس هنالك سبيل آخر الا أن تقبلها. وبعبارة موجزة : هل تريد أن تملك فى الحياة ؟ اذن يجب أن تنال (أو تقبل) فيض النعمة، وكلما نلت أكثر ازدادت عظمة حياتك. ماذا يحصل لو أن الجبال كانت ممتلئة بالأخشاب والأودية مكتظة بالكنعانيين ما دمت تنال وتستخدم القوة التى فى متناول يدك "كل آلة صورت ضدك لا تنجح وكل لسان يقوم عليك فى القضاء تحكمين عليه" أش ٥٤ : ١٧.

(٣) كيف نحصل على هذا الفن المقدس :

انه يتميز عن الصلاة. وليس هذا معناه أن الصلاة لا دخل لها فيه، بل انها فقط هى الأساس الذى تقوم عليه النفس إلى سر القبول. لا يستطيع أحد أن يطالب الا الذى يصلى، ولكن كثيرون يصلون دون أن يتقدموا لينالوا. قال الرب "اطلبوا وخذوا" (أو واقبلوا) والا فان فرحكم لا يكون كاملا، ان عدم توفر الفرح فى قلوب المسيحيين يعزى الى عدم التمييز بين الصلاة التى تقتصر على مجرد الطلب، والصلاة التى تتقدم

لكى تنال حاجتها من يدى يسوع المبسوطتين. كثيرا ما كانت صلواتنا كالسفن الضالة التى وصلت إلى الرصيف فعلا محملة بأثمن الخيرات ولكننا لم نكن هنالك لنطالب بنصيبنا. لعل هذه القواعد تعينك للحصول على هذا الفن المبارك :

١ ـ كن متأكدا بأنك تطلب حسب فكر الله المعلن فى بعض مواعيده أو وصاياه فى الكتاب المقدس.

٢ ـ ليكن الطلب بكل بساطة ووقار. اطلب باسم المسيح ولمجد المسيح.

٣ ـ ثق بأن الله يستمع لصلاتك ويستجيبها بغض النظر عن عوطفك أو ما تحسن به.

٤ ـ سر فى طريقك ذاكرا ان الله أمين، وأنه لابد أن يحفظ عهده.

٥ ـ تصرف كما لو كنت تحس تماما بأنك قد حصلت فعلاً على ما طلبت.

بذلك تجد حتما أن الجبل صار سهلاً، وأن الوعر قد تحول إلى مراع، وان الكنعانيين قد طردوا أمامك كعصافة تذريها الريح، وانه لا يستحيل عليك أمر.

الفصل التاسع عشر
ختام المهمة
يشوع ١٨

كان ما كان من الحق يثبت ولن يسقط واليد التى تدعمه الآن تسند النفس إلى الأبد.

(هوبتير)

وأخيراً استقر السبطان العظيمان : يهوذا الذى قال عنه "دين ستانلى" انه كأسد رابض لحراسة الجنوب وحراسة صهيون، أما أفرايم فانه (كعجل أكثر هدوءا ولكنه ليس أقل قوة) يحرس أودية فلسطين الوسطى الخصيبة ويحمى حدود الشمال. وقد استطاع يشوع أن يعنى بكل التفاصيل التى سبق أن أعطيت اليه. وعن هذا نلاحظ بعض ملاحظات عابرة :

(١) أقام يشوع خيمة الاجتماع فى شيلوه :

أثناء الارتحال فى البرية كانت المحلة اذا حطت رحالها تقام خيمة الاجتماع فى وسطها، وحولها خيام الكهنة واللاويين، ثم يقوم ثلاثة اسباط فى كل جهة من المحيط الخارجى. واذا قارنا هذا الوضع بطريقة تقسيم المقاطعات بينهم فى أرض الموعد يتبين أن هنالك وجها غريباً

للشبه، وكان مواضع حلولهم فى المحلة قد تكررت فى مواضع اقامتهم النهائية فى الأرض. ولكى تكون أوجه الشبه تامة نقلت خيمة الاجتماع الآن من الجلجال وأقيمت فى شيلوه التى تتوسط أرض كنعان تقريبا.

لم تكن هنالك علامات ظاهرة تميز هذا الموضع القديم وقد قيل أيضا أنه لا منظر له ولا جمال خلافا لأغلبية الاماكن المقدسة فى العالم. تخيل سهلا متسعا محاطا بجبال واطية، أرضيته صخرية ناحية الشمال. كان هذا هو الموضع الذى اختير لخيمة الاجتماع، بعد ارتحالها الطويل. ولعلها أقيمت على الجزء الصخرى. وهكذا تمت وصية المشترع الأعظم، "فالمكان الذى يختاره الرب الهكم ليحل اسمه فيه تحملون اليه كل ما أنا أوصيكم به" (تث ١٢ : ١١).

اذن فهنا، فى وسط الأرض، فى حراسة أقوى الاسباط، شرق الطريق الرئيسى الموصل بين بيت ايل وشكيم. كان الموضع الذى اختير لحلول خيمة الله وسط الناس، وسكن الله معهم. وليتهم كانوا قد سلكوا كشعبه. اذن لكان قد مسح كل دمعة من عيونهم، وكانوا قد تمت لهم الغلبة وورثوا كل شئ.

أما الأسم "شيلوه" (ومعناه السلام أو الراحة) فقد أطلقه يعقوب على المسيا وهو يحتضر. فيسوع هو محور الدائرة لشعبه. حوله يجتمعون. هو

بنفسه، معطى الراحة، الذى يتوسط شعبه، والذى حوله يلتفون. هو الرأس وهو القلب، هو الذى يجعل الجسد واحدا. والحياة فى "السماويات" ينبغى ان تتركز في المخلص المقام من بين الأموات. وعلى قدر ما نركز تفكيرنا فيه نجد أنفسنا قد ارتبطنا بشركة المحبة مع جميع الذين يحبونه. أما مذبح عيد الذى شيد فيما بعد ليكون شاهدا بل عاملاً على وحدة اسرائيل (يش ٢٢ : ٣٤) فقد كان شاهدا ضعيفا، ولم تكن هنالك حاجة اليه لو ان الشعب احتفظ بعادة الاجتماع ثلاث مرات الى شيلوه المتوسطة.

(٢)وقد وبخ يشوع الشعب من أجل تكاسلهم :

"فقال يشوع لبنى اسرائيل حتى متى انتم متراخون عن الدخول لامتلاك الأرض التى أعطاكم اياها الرب اله آبائكم" (ص ١٨ : ٣). وللحال قام واحد وعشرون رسولا للتجول فى الأرض ومسحها. ولدى عودتهم قدموا النتيجة الى يشوع فى سفر ضمنوه وصف المدن مقسمة الى سبعة أقسام. ولعل السفر الذى تضمن وصف ما شاهدوه كان آلة فى يد الله اتخذها لتحريك الشعب وايقاظهم من سباتهم العميق الذى استولى عليهم.

وفى عصرنا الحالى يرسل الله سفراء كثيرين ليجوزوا وسط الأرض الصالحة (التى يتوق الله أن يقود شعبه اليها) ويقدموا تقريرا عنها. وقد

قدمت تقارير كثيرة تتضمن نتيجة ابحاثهم، وكان من الممكن ان تحرك قلوب شعبه فيتقدموا لامتلاكها أفواجا. ونحن نرجو ملحين ان تكون نفس هذه الكلمات باعثة على تحريك قلوب المسيحيين فلا يتراخوا فيما بعد عن امتلاك الأرض التى اعطاها لنا اله آبائنا فى المسيح.

هنالك نصيب بنيامين، حبيب الرب، ليسكن معه آمنا، اذ يستره بظل جناحيه طول النهار، ويحمله على كتفيه. هذا هو الموضع الذى تربى فيه النساء اطفالهن لدفئه وسهولة العيش فيه. وهنالك نصيب زبولون الذى يمتد الى شاطئ البحر، فى قلبه بحيرة جنيسارت، بذكرياتها العطرة التى تنم عن "الله ظهر فى الجسد". وهنالك نصيب يساكر الذى اخرج من الرمال كنوزا، رمز للحجارة الكريمة ولآلئ الصفات الروحية. وهنالك نصيب اشير الذى يرمز زيت معاصره لمسحة الروح القدس، وترمز قوة نعليه للقوة التى لن تقهر التى تطأ الصل والثعبان. هنالك سبط نفتالى الذى شبع رضى وامتلأ ببركات الرب، وامتلك الغابات الغنية فى دائرة الجليل، وجنة فلسطين. كل هذه ترمز للمواهب الروحية التى ينبغى أن نقوم لامتلاكها.

لقد طال تراخينا عن القيام لامتلاك ملء الروح القدس، التى كان ممكنا أن يكون فينا كينبوع حى، ويشبعنا ويروينا الى التمام، كينبوع فى قلعة محاصرة يمكن الحامية التى فيها أن تصمد أمام الحصار. هنالك

معرفة المسيح، والاشتراك فى نصرته، وادراك بركاته. وهذه تفوق اختبارات عامة المسيحيين كما كانت تفوق البرية. ولكننا مع الاسف لا ندرك عن هذه كلها الا القليل.

كثيرة هى أسباب هذا التراخى. فنحن نحجم عن الحصول على البركات الروحية لأنها تتطلب انكار الذات، تضحية أعز ما لدينا، الصعود إلى الجبال العالية حيث يقل الهواء وتتوتر الاعصاب ويسود الرأس الدوار. ومحبتنا للراحة، وتعلقنا بالعالم، وخوفنا من أن نكون وحيدين، وشعورنا بأننا لابد من تضحية الكثير مما نعتز به أن أردنا أن تكون لنا شركة مع الهنا القدوس ـ كل هذه تعوقنا.

ولكن ما اعظم الخسائر التى نخسرها. فان الحياة المزعزعة فى خيام لم يكن ممكنا أن تهيئ اقامة دائمة مريحة لهذه الاسباط السبعة كأرض كنعان التي وضعوا أيديهم عليها وتملكوها فيما بعد. أى وجه للمقارنة بين مراعى البرية وبين الكروم وحقول الزيتون فى اسدرايلون أو الجليل ؟ على أن هذه الفوارق لا تقاس بشئ بجانب الخسارة التى نعرض أنفسنا لها برفضنا قبول بل التمتع بالبركات المكتنزة لنا فى المسيح. الحياة المسلمة له، الاعضاء المقدمة للمسيح ليستخدمها حسبما يشاء، القلب المطهر، الغلبة على الخطية، وحدة القصد، الشركة غير المنفصلة، ملء الروح القدس. فلنأت الى يشوعنا فى شيلوه، ونطلب منه أن يأخذنا الى كل من هذه.

(٣) يشوع أخذ ميراثه الخاص :

"اعطى بنو اسرائيل يشوع بن نون المدينة التى طلب تمنة سارح فى جبل افرايم" (ص ١٩ : ٤٩ ، ٥٠). وفى السفر التالى دعيت "تمنة حارس" (قض ٢ : ٩). (نصيب من الشمس).

لقد كوفئ هذا القائد الشيخ من شعبه مكافأة طيبة، ولابد انه طلب له أن يتقاعد مستريحا فى ملكه الذى قضى فيه العشرين عاما الباقية من حياته. ويمكن أن ندرك قوة تأثيره فى شعبه لدى التأمل فى الشرور والمصائب التى حلت باسرائيل بعد موته، كاندفاع مياه البحر بعد تحطيم السور الحاجز. كان مجرد وجوده بين الشعب حائلا دون الشر. أما هو وبيته فقد عبدوا الرب، وحفظوا الشرائع التى أوصى بها موسى. ولذلك فقد كانت سيرته كمنارة عالية تضئ لكل الجالسين فى الظلمة وظلال الموت. يالها من شهادة قوية لمقدار ثباته واستقامته تلك التى نجدها فى هذه الكلمات "وعبد الشعب الرب كل أيام يشوع" (قض ٢ : ٧) لقد كان كالعمود المتوسط الذى يدعم كل سقف البيت.

هنالك جمال رائع فى اسم ميراثه "نصيب من الشمس" هل كان مكشوفا للشمس بصفة خاصة، وكان أول ما يستقبلها فى أشراقها، آخر ما يودعها فى غروبها ؟ ربما كان كذلك. ولكن جمالا خاصا يظهر فى الاسم حينما نذكر تاريخ حياته السابقة التى عرفت بالاخلاص التام

لإرادة الله. فانه اتبع الرب تماما مثل كالب. وكما انتهى طريق احدهما بالشركة هكذا انتهى طريق الآخر بالسكن فى النور، الأمر الذى هو أعظم بركة فى متناول الإنسان.

كرس حياتك لله تماما، وعندئذ تسكن انت أيضا فى النور كما هو فى النور. وتملأ حرارة محبته عواطفك بضيائها وتعلمك فن المحبة. ويبدد نور حقه كل غموض وجهل من عقلك ويفيض عليه معرفة. حيث تشرق الشمس توجد الحياة، والصحة، والبهجة والقوة.

(٤) وأعد يشوع أيضا أمكنة لقاتل الإنسان :

خصصت ست مدن، فى كل ناحية من الاردن ثلاث. وروعى أن تكون سهلة الوصول اليها. فكل من قتل انسانا بغير تعمد أو اصرار كان يهرب اليها من وجه ولى الدم. وكانت الطرق اليها فى حالة سليمة على الدوام، وفى مفترق الطرق كانت توضع اليفط مكتوبة بخط واضح لتحديد الطريق اليها. وتقول التقاليد اليهودية أن بعض العدائين المتعلمين فى الناموس كانوا يقفون فى مواضع معينة لكى يركضوا قليلا مع الهارب لأرشاده واعانته.

ومتى وصل القاتل إلى أسوار المدينة بعد الإنتهاء من ركضه السريع انتظر على الباب حتى يقص روايته على شيوخ المدينة، الذين كان لهم الحق فى قبوله بالمدينة وقتيا. وعند ظهور ولى الدم يحصل التحقيق

وبعده يقضى فى الأمر نهائيا. فاذا ثبت تماما امام الشعب المجتمع ان الضربة التى أفضت الى الموت لم تكن عن حقد وضغينة سمح للقاتل بالبقاء هناك حتى موت رئيس الكهنة.

جميل جداً أن نلاحظ هذا الاحتياط الذى عمل فى أرض الموعد للتجاوز عن الخطايا التى لم ترتكب عمدا. أما التى كانت ترتكب عمدا فلم يتخذ لها أى احتياط. ولكن الاخطاء التى لم تصدر عن أصرار أو ضغينة فقد اتخذ هذا الاحتياط الملئ بالرحمة، كما كان الحال فى الذبائح التى تقدم عن الخطايا التى ترتكب سهوا أو عن جهل فى عهد الناموس. تشجع أيها الأخ المسيحى، لقد ارتكبت شرورا عديدة، سهوا وجهلا منك، ولا شك فى أنك بسببها مذنب، وتستحق الطرد من أرض الموعد. ولكن هنالك مغفرة لك. ليس عليك الا ان تذهب لمدينة الملجأ، التى هى أيضا مدينة الكهنة، وتختبئ فيها. وعندئذ سوف لا تكون آمنا فقط، لكنك بجانب هذا تتمتع بميراثك، لأن الكاهن الأعظم قد مات، وبموته ازال عنك خطيتك إلى الأبد. اذن لا شئ من الدينونة الآن عليك لأنك فى المسيح.

لقد مثل اليهود بصفة خاصة دور القاتل. فانهم قتلوا رئيس الحياة. ولكنهم فعلوا هذا بجهل (اع ٣: ١٥، ١٧، ١٨). ولذلك فانهم خسروا ميراثهم، ولكنهم لا يزالون موجودين كسجناء لهم رجاء،

يستطيعون ان يلجأوا لمدن الكهنة، حتى يأتى الوقت الذى يطوى الرب يسوع هذا الجيل الحاضر كرداء بال ويبدأ ذلك العصر الجديد المجيد الذى فيه يأخذ الملك لنفسه. عندئذ يرجع اسرائيل، كل الى بيته، والى المدينة التى هرب منها.

(٥) وخصص يشوع مدنا للاويين :

كانت هنالك لعنة قديمة معلقة فوق نصيب كل من شمعون ولاوى. لقد كانا اخوين شقيقين، ولكنهما أيضا كانا شريكين فى جريمة شنيعة جعلت يعقوب أباهما كريها فى أعين سكان الأرض، الكنعانيين والفرزيين، على أنه لم ينسها قط، واذ مثلت أمام عينيه وهو يحتضر قال :

آلات ظلم سيوفهما

ملعون غضبهما فانه شديد

وسخطهما فانه قاس

اقسمهما فى اسرائيل

وأفرقهما فى اسرائيل

على أن هذه اللعنة لم تتم بطريقة واحدة فى كل من السبطين. فشمعون تمت له اللعنة. لأنه اذ استقر فى جنوب كنعان بين اليهودية

وفلسطين عاش حياة البداوة وتزايد فيها حتى زال أخيرا من الوجود. أما لاوى فقد تحولت له اللعنة الى بركة. لأن أخلاقه كانت عجيبة. ففى سبنا حين دعا كوسى كل من كان أمينا لله ليجتمع عند باب المحلة كان اللاويون هم الذين أجابوا النداء. وفينحاس الذى وقف موقفا حاسما فى موضوع بعل فغور كان لاويا. وحينما دخل الرب معهم عهدا للحياة وللسلام كان يأخذ اللاويين نائبين عن ابكار اسرائيل، ويتعهد لهم بأنه سيكون لهم قسما ونصيبا وميراثا (عد ١٨ : ٢٠، يش ١٣ : ٣٣).

واطاعة لأمر الله اعطى اللاويون ٤٨ مدينة مع مسارحها. هنالك كانوا يسكنون عندما يحتاج لهم لخدمة الهيكل، أو حينما تتقدم بهم الأيام فيعجزون عن الخدمة.

وكما تنبأ يعقوب كانوا مشتتين، ولكن النتيجة كانت مرضية جداً. فانهم تغلغلوا فى كل الأرض حاملين معهم بركات شيلوه. يالها من هالة مقدسة كانت تحيط بالشخص الذى كانت تصيبه القرعة لدخول هيكل الله وتقديم البخور فى ساعة الصلاة الرهيبة. ضاعف هذه الهالة الف مرة، وتأمل فى مقدار النفوذ الكامل والمتسع المدى الذى لابد أن يكون قد انتشرفى كل أرجاء المملكة سيما عندما كان اللاويون يتممون خدمتهم على الوجه الأكمل ويحققون الغرض السامى من دعوتهم

العليا. وفضلا عن هذا فقد كان تعليم الناموس امتيازا خص به اللاويون، الذين يبدو انهم كانوا يطوفون كل فى منطقته المنوطة به. لقد علموا يعقوب أحكامه واسرائيل ناموسه، كما كانوا يضعون البخور ومحرقات على المذبح. كانوا يطلبون من الشعب التمييز بين الطاهر والنجس، وكانوا يقضون فى المنازعات. كانوا يعملون بمثابة رسل رب الجنود (تث ٣٣ : ١٠).

وهكذا تمت المهمة "لم تسقط كلمة من جميع الكلام الصالح الذى كلم به الرب بيت اسرائيل. بل الكل صار" (يشوع ٢١ : ٤٣ – ٤٥) ولا يزال هذا هو الحاصل. فان أبانا قد باركنا بكل بركة روحية فى المسيح. لم يؤخر عنا شيئا من الخير. فى يسوع يحل كل الملء، كل ما هو للحياة والتقوى. نحن فيه مكملون. وان كان هنالك نقص فالعيب فينا نحن. وان كان سفر القضاة (أو الدينونة) قد جاء عقب سفر يشوع فذلك لأن ورثة الله استسلموا للشكوك والخطية.

وفى الأبدية، التى هى قريبة على الأبواب، اذ نقف معا ونراجع تاريخ حياتنا الماضى. بما فيه من حروب وارتحال واختبارات، وبما فيه من خسائر وأرباح، ارتفاع السمو وانخفاض الفشل، سوف نردد بلا شك الاعتراف الوارد فى هذه الكلمات الرائعة. ونعترف بأنه "لم تسقط كلمة من جميع الكلام الصالح الذى تكلم به الرب. بل الكل صار".

الفصل العشرون
الحياة فى أرض الموعد
يشوع ٢٢

هبنا الآن ان نحيا الحياة في الله هبنا الآن أن نتحد به

(انجلو)

بعد انتهاء سبع سنى الحرب استقر بنو اسرائيل فى أرضهم ليتمتعوا بها. وكان هذا الاستقرار كضياء الشمس الساطع عقب ضباب الصباح، أو كالرجولة الموفقة السعيدة عقب الشباب العابث. وان صمت الكتاب المقدس عن ذكر شئ من التفاصيل عن حياتهم فى أرض الموعد يوحى إلينا انصراف الشعب لزراعة الأرض، واحتلال مدن عظيمة وصالحة لم يتعبوا فى بنائها وبيوت مليئة بالخيرات لم يتعبوا فى ملئها. والآبار التى لم يحفروها كانت تروى كرومهم وزيتونهم وبساتينهم، فأكلوا وشبعوا النفس، اذ تنضج فى الاختبارات الروحية تزداد فى الحصول على بركات السماويات رغم أنها تسير دواما بمنتهى الحذر. انها تشبع من صلاح الرب، وتصير كجنة ريا. ويهب عليها النسيم من جبال المر. لقد تعطر الجو باريج الزهور، لقد ازهر الكرم، وتفتح الفعال، ونور الرمان، وعند الباب كل النفائس مذخرة، من جديدة وعتيقة (نش ٧ : ١٢، ١٣).

في مثل هذه الأوقات نتعلم معنى الراحة مصدر الوحدة الحقيقى، والحاجة الى الصبر فى معالجة الخطاة والساقطين.

(١) وأول اكتشاف نهتدى اليه هو معنى الراحة :

"فاراحهم الرب حواليهم حسب كل ما أقسم لآبائهم" (ص ٢١ : ٤٤) وقال يشوع مخاطبا السبطين ونصف "والآن قد أراح الرب الهكم اخوتكم كما قال لهم" (ص ٢٢ : ٤). وكان هذا هو الهدف الاسمى لتصرفات الرب مع الشعب المختار. لاجل هذا أخرجهم من البحر مع رعاة قطيعه. لاجل هذا حل بروحه القدوس وفى وسطهم. لاجل هذا جعل يمينه تسير الى يمين موسى لتشق المياه أمامهم وتجعل لنفسه اسما أبديا. لاجل هذا سار بهم فى الاعماق كفرس فى البرية لكى لا يعثروا. وكان القصد الإلهى فى كل هذا "كبهائم تنزل إلى وطاء (بظلاله ومراعيه لتختبئ من الحرارة اللافحة) روح الرب اراحهم" (أش ٦٣ : ١٤).

كان هنالك مقياس ظاهر جدا للراحة. فالارض استراحت (يشوع ١١ : ١٣) والشعب كذلك. ولكنه واضح أن كنعان لم تكن بكافية لكى تحقق كل المثل الأعلى الذى كان أمام الله. صحيح أنها كانت جميلة جداً ولكن بركاتها لم تتعد مجرد حدود الرخاء العالمى والمصالح المادية.

وهذه لا يمكن أن تفى بالغرض بطبيعة الحال. من المستحيل أن تجد النفس راحتها بسبب توفر الناحية المادية. وهل ينمو الجسد على القشور دون اللب ؟ كذلك كان من المستحيل أن مجرد امتلاك أرض الموعد يعطى القلوب راحة وهى تتعطش إلى المحبة اللانهائية والحق الابدى. فراحة كنعان ـ كغيرها من الحقائق الكثيرة فى هذا السفر ـ لم يكن ممكنا الا أن تكون ظلا ورمزا للراحة الروحية، وحالة الهدوء المقدس، وذلك السلام الذى لا ينطق به، هذه التى تملأ النفس براحة الله نفسه. تأمل فى هذه الكلمات : راحتى، راحته، راحة شعب الله هذه أفضل من كنعان مهما توفرت فيها الافراح بسبب كثرة الحصاد وارتفع الغناء فى المعصرة. اذن فقد كان حقا ما قرره الرسول فى رسالة العبرانيين "لأنه لو كان يشوع قد أراحهم لما تكلم (أى الوحى على فم داود) بعد ذلك عن يوم آخر. اذا بقيت راحة لشعب الله" (عب ٤ : ٨، ٩).

هنالك راحة من نشوة الفرح الأولى بالحياة الجديدة، على أن هذه الراحة تزداد تعمقا على مر السنين. والسبب فى هذا هو الاقتناع المتزايد نموا بأن طريق الله الكامل، وارادته محبوبة وجميلة، ومقاصده هى الأفضل. حينما ندخل الراحة فى أول الأمر يجب أن نحذر الشكوك، ان نحرص على أن يكون كل شئ حسنا، أن نعزى أنفسنا بالمواعيد ونطمئن بالتأكيدات. ولكن كلما مرت الأيام تحدثت كل ناحية للاخرى، وتحدثت احداث الاختبارات الى اعماق القلب الداخلية. ونبدأ بأن نعرف ذاك الذى وضعنا فيه ثقتنا. ونذكر بأنه "لم تسقط كلمة من

جميع الكلام الصالح الذى وعد به°. ونرى أن الغيوم القاتمة التى أظلمت بها حياتنا قد انقشعت أو هطلت علينا ببركاتها. ونذكر أن الأمور التي شكونا منها وجاهدنا ضدها قد صارت لنا أعظم البركات. ونعترف بأننا طالما كنا نختار لانفسنا الطريق فلابد من أن نجد فيه المرارة والعلقم، اما اذا اختاره لنا الله كان لبنا وعسلا.

عندما تتزاحم هذه الأفكار فى قلوبنا، اذ نقف على قمة الحياة ونراجع الماضى، فان قلوبنا تمتلىء بعواطف الطمأنينة والراحة. لماذا نضطرب ونجزع أو نسمح لنفوسنا بان تئن فى داخلنا ؟ كل شئ خاضع لناموس الله، خاضع للمحبة، كل الأشياء تعمل معاً للخير. انه سيعطى نعمة ومجدا. هو لا يمكن أن يؤخر شيئا عن أولئك الذين وهبهم ابنه الوحيد. فيه تجمعت كل عواطف الأمومة والابوة. لن توجد خطوة واحدة دون أن يزنها، أو طريق دون أن يقيسه، ولا دمعة دون أن تسبب له ألما، ولا طعنة ألم دون أن يحس بها قبل أن تمسنا، ولا حزنا دون أن يحس به قبل أن يسمح لنا به، أيتها النفس، هذا هو الهك، فاسكتى، ثقى فيه، هو يفعل كل شئ حسنا، اهدأى واستريحى. أنت آمنة كما لو كان الباب الذى من لؤلؤة واحدة خلفك، وفرحك لن يصدأ أو ينهب، كل ريح هى ريح جنوبية، وكل شاطئ هو وطنك. وكل الظروف هى مجرد غلاف يحتوى هبات محبة ابيك.

لذلك فان الراحة المنبعثة عن الثقة تزداد تعمقا، لأن الثقة تزداد

بازدياد المعرفة. فكلما ازددنا نموا فى معرفة الله ومعرفة ابنه يسوع المسيح ازددنا ثقة فى محبته الابدية، وازدادت راحتنا ثباتا. صحيح ان الشعب دخل الراحة حين عبروا الاردن ولكنه صحيح ايضا انهم بعد سبع سنوات شربوا من نبع الراحة الأعلى الأكثر صفاء ورواء. وهذا يرمز الى التدرج في الراحة، الأمر الذى يختبره أولئك الذين يقودهم الخروف متدرجا بهم الى قلب الأرض التى لا يجدها بحر دون ان تزعزعهم العواصف.

(٢) والاكتشاف الثانى هو المركز الحقيقى للوحدة :

عندما أتم الأربعون الف محارب (السبطان ونصف الذين اخذوا نصيبهم فى شرق الأردن) وعددهم السابق بكل امانة قدم لهم يشوع الشكر علنا، وكانت هذه هى نصيحته الاخيرة لهم "والان قد اراح الرب الهكم اخوتكم كما قال لهم. فانصرفوا الآن واذهبوا الى خيامكم فى أرض ملككم التى اعطاكم موسى عبد الرب فى عبر الأردن. وانما احرصوا جدا ان تعملوا الوصية والشريعة" (ص ٢٢ :٤) ثم عبر لهم أيضا ـ باسم الجماعة ـ عن رغبته الحارة فى أن يرجعوا "بمال كثير وبمواش كثيرة جداً بفضة وذهب ونحاس وحديد وملابس كثيرة جداً" وهذه أمنيات طيبة لا شك فى أنهم يستحقونها.

وحينما وصلوا دائرة الاردن وظنوا أن النهر سيفصلهم عن بقية الشعب ملأ الخوف قلوبهم فجأة خشية أن يتمرد عليهم السبعة اسباط

ونصف فى الأيام القادمة "غدا يكلم بنوكم بنينا قائلين ما لكم وللرب اله اسرائيل. قد جعل الرب تخما بيننا وبينكم" (ع ٢٤، ٢٥). فملافاة لهذا، وتوضيحا للأمر توضيحا تاما للأجيل القادمة بانهم ضمن بقية الشعب بنوا مذبحا على الضفة الغربية للاردن. كان مذبحا عظيما فى منظره، ولم يكن القصد منه لتقديم الذبائح أو المحرقات، أو لأية غاية دينية، بل ليكون شاهدا دائما ان بانيه كانوا اسرائيليين لا غش فيهم.

على أن هذا كان خطأ فاحشا. فانهم لم يتلقوا أى أمر من الله ببنائه، أو أى شكل للبناء. ثم انهم لو كانوا قد استمعوا لوصية الله نحو اجتماع الذكور أمام الله فى شيلوه ثلاث مرات فى السنة لما كانت هنالك حاجة لهذا التدبير العقيم. كانت وجهة نظرهم ان وحدة الشعب لا تقوم بالروابط الروحية بل بالمظاهر الخارجية الآلية، وان روابط مذبح شيلوه العادية ليست بكافية، ولذا فيجب بناء مذبح اضافى هو مذبح عيد.

كانت هنالك فكرة اصدق ونظرة أعمق لدى يشوع وبقية اسرائيل. هكذا تخلق فينا الحياة فى السماويات فكرة صائبة عن الوحدة الحقيقية لشعب الله. وهنا نجد وجها عجيبا آخر للشبه بين هذا السفر ورسالة أفسس، التى وان كانت بصفة خاصة رسالة السماويات الا أنها أيضا رؤية عن سر ذلك الجسد الذى يشترك فى وحدة الله نفسه مع تنوع اعضائه. فى المراحل الأولى لحياتنا المسيحية نتخيل ان الوحدة لا تقوم الا

على اشتراك كل المؤمنين فى جسد واحد منظور. فنبنى مذبح عيد. نبنى مذبحا لأنفسنا لجهلنا فكر الله عن الوحدة. نتوهم ان مظاهر الوحدة هى الوحدة. ولكن اذ ننمو من قوة إلى قوة نكتشف ان كل النفوس المخلصة الأمينة التى تجتمع حول المذبح هى واحد، فإننا اذ نأتى من كل اطراف المعمورة، يدفعنا الرجاء الواحد، نرفع قلوبنا إلى المحراب الواحد، متكلين على الدم الواحد، فان الجاذبية المشتركة تكون وحدة أساسية، كالشجرة التى أن تعددت فروعها فانها كلها عوامل مساعدة على قوة حياة الشجرة الواحدة، أو كالجسد الذى تعمل اعضاؤه المختلفة على احياء الروح الواحدة.

وكلما ازددنا اقترابا من المسيح ازددنا ادراكا لوحدتنا مع كل الذين هم له، وقل تفكيرنا فى أوجه الاختلاف وازداد تفكيرنا فى أوجه الاتفاق، ونجد ان المميزات التى تجعل كل واحد يليق للعمل الخاص الذى اعطى اليه لا تؤثر فى الواقع على اعماق الحياة الداخلية التى يشترك فيها جميع القديسين فى طبيعة المخلص الحى، وكما ان الخراف اذا تشتتت تتجه جميعا الى نقطة واحدة، فتتجمع معا، هكذا يتجمع جميع المؤمنين معا ويصيرون رعية واحدة لراع واحد.

من أروع رؤى الكتاب المقدس التى اعطيت لأعمق القديسين أن أورشليم الجديدة وان كانت تحمل اسماء اسباط اسرائيل ورسل الخروف، ومزينة بلآلئ متعددة الألوان، ولها أبواب فى كل اتجاه، الا

انها واحدة "العروس، امرأة الخروف" فاى عجب ادن ان كان العالم بل الكنيسة فى بعض الاحيان تظن ان صلاة المسيح نحو الوحدة لم تتم بعد، وان تلك الوحدة لا زالت منتظرة ؟ لقد تمت الوحدة، والروحانيون هم الذين يستطيعون ان يروا تناسقها بالعين الروحية.

(٣) ثم نكتشف الحاجة الى الصبر فى معالجة الخطاة والساقطين:

حينما سمع اسباط اسرائيل فى بداية الامر خبر اقامة المذبح اتجه تفكيرهم فى الحال نحو القيام ضد اخوتهم لمحاربتهم. لأنهم رأوا ان الاساءة قد وجهت نحو خيمة الاجتماع فى شيلوه التى هى المكان المخصص لاجتماع الجميع.

ولكن الآراء الحكيمة تغلبت. فقد رؤى انه من الأفضل انتداب فينحاس وعشرة رؤساء من الرجال المبرزين كممثلين لكل جماعة الرب. واذ وجدوا ان رجال الحرب فى أرض جلعاد على وشك ان يتفرقوا ويعودوا الى بيوتهم، عاتبوهم، وذكروا لهم حادثتى عاخان وبعل فغور كتحذير لئلا تكون خطية البعض سببا فى حلول النكبات على كل الجماعة. وكانت حجتهم انه اذا اخطأ أى سبط من اسباط اسرائيل، بل أى فرد من الجماعة. فانه يجلب الغضب على الجميع "على الرب لا تتمردوا وعلينا لا تتمودوا".

وكان روح المحبة سائدا عليهم لدرجة انهم اقترحوا عليهم ان يشاطروهم فى الأرض القائمة غرب نهر الاردن التى اقيمت فى وسطها

خيمة الرب "اذا كانت نجسة أرض ملككم فاعبروا "الى أرض ملك الرب التى يسكن فيها مسكن الرب وتملكوا بيننا.

هنا نجد رقة، وحكمة، ورغبة فى اصلاح الخطأ، وهذه كلها صفات جميلة عكس ما نراه كل يوم. وقد كانت لها نتيجتها المطلوبة نحو الاعتراف صراحة بأنه لم تكن هنالك رغبة مطلقا فى التحول عن الرب، مع تفسير للبواعث التى حملتهم على ذلك التصرف. وهكذا انتهى الأمر بازدياد روابط الاخوة، ورفع أصوات الفرح مقرونة بالشكر والتسبيح.

هذا ما يحصل دواما. فان المقاوم يقف عند حده عندما تتقدم اليه برأفة الله، والسيف يرد الى غمده. ونحن الذين بدأنا حياتنا بالانتقادات المرة وحدة الطبع القاسية دون أن نعرف شيئا عن هدوء الروح المنبعث عن التمسك بالحق ينبغى أن نتعلم كيف نعامل الخطاة برفق، ونصلحهم بروح الوداعة، حاملين أثقال بعضنا البعض، وحاسبين ربح الاخ كسبا أعظم بكثير من غلبته بالحجة أو اعثاره بالتهكم عليه. وهكذا نجد أن الفاكهة التى كانت فى بدايتها حامضة تصبح فى الخريف ناضجة وحلوة المذاق. والأشعة التى كانت قاسية وضربتها شديدة تصبح لينة ولطيفة. وبطرس التلميذ الحاد الطبع يؤدى للمؤمنين المتألمين خدمة التعزية منبعثة عن قلب لينته السنون المليئة بالتجارب.

الفصل الحادى والعشرون
احفظوا لانفسكم أن تحبوا الرب
يشوع ٢٣

من كل قلبك ونفسك وفكرك حب الرب واحفظ وصاياه وقدس حياتك تكريسا كاملا لذاك الذى قدس ذاته لاجلك

(سبنسر)

انقضت نحو ثمانية عشر عاماً على الحوادث المدونة فى الفصل السابق. الكنعانيون لم يثوروا قط ولم يكدروا صفو الراحة التى اعطاها الله لشعبه. أما الشعب فانهم قاموا بفلاحة الأرض دون عائق. كان بقية الكنعانيين حولهم من كل ناحية، بل اختلطوا بهم، بل انهم تعودوا الحالة الجديدة التى نشأت عن احتلال الغزاة للبلاد واشتراكهم معهم فى سكنها، وارتضوا بأن يشتركوا معهم فى هذه الأرض الغنية التى كانت تكفى لاعالة الجميع.

وفى نفس الوقت كان الوهن والضعف قد بدأ على محيا قائدهم الذى قد "شاخ وتقدم فى الأيام".

ومما تجدر الإشارة اليه انه فى هذه الناحية بطبيعة الحال لا تقوم المشابهة بينه وبين رئيس الكنيسة وقائدها الاعظم الذى يقود شعبه إلى السماويات، ويشاطرهم راحته. فانه "حى الى الابد". واذ أدرك يشوع ان

نهايته تقترب، دعا قادة الشعب ليتحدث اليهم، بطريقة تماثل تلك التى دعا بها رسول الأمم قسوس كنيسة أفسس ليجتمعوا اليه على شاطئ بحر اليونان. ولا شك فى أن ذلك الاجتماع كان اجتماعا رائعا ورهيبا، ولعله تم فى تخوم ميراثه. أو فى شيلوه.

والمرجح أن كالب حضره مع قناز، وفينحاس الكاهن، ورجال الحرب الذين شهدوا كل المواقع الحربية، والذين استبدلوا الرمح والسيف بأدوات الزراعة، وغيرهم ممن كانوا احداثا وقت الغزو ولكنهم الآن اصبحوا رؤساء عشائر وشيوخا وقضاة ورؤساء أعمال. لقد دعى حكماء اسرائيل وأبطالهم ليسمعوا الكلمات الاخيرة من ذلك القائد المحنك الذى عاش فى الفترة بين عبور البحر الاحمر وتلك اللحظة التى كان قد مضى على امتلاك اسرائيل فيها لأرض الموعد عشرون عاما.

واذ وقف يشوع فى مركزه الممتاز وسط هذا الاجتماع لفت أنظار سامعيه إلى الماضى، وذكرهم بما صنعه الله لهم. وانه أتى بهم وغرسهم فى جبل ميراثه، فى المكان الذى جعله لنفسه ليسكن فيه، ولم تسقط كلمة واحدة من جميع الكلام الصالح الذى تكلم به الرب عنهم، الكل صار لهم. هذه الرواية التى سردها ذلك الشيخ الهرم شاهدا بها لامانة الله لها نظيرها فى اختبار المؤمنين الناضجين اذ يراجعون ذاكرتهم ويذكرون مناظر الماضى السحيق، ويقارنون محصول العصر الذهبى للحياة بالمواعيد التى تلقتها فى بدايتها.

ويبدو ان الهم الوحيد الذى كان يثقل نفس يشوع خاصا بالام التى تركت فى البلاد. فانه يشير اليها سبع مرات فى هذا الخطاب الوداعى. ويذكر ما صنعه الله بهم، وكيف أنهم صاروا ملكاً لهم، وكيف كان الله مستعدا أن يطردهم، ومقدار التجارب الشديدة التى تنجم عن بقائهم المستمر لئلا يجرب الشعب بالالتصاق بهم أو مصاهرتهم أو عبادة آلهتهم. وكأن ذلك الشيخ أدرك انه هو الحائل الوحيد بين اسرائيل وبين سيرهم وراء العالم وعبادة الاوثان. وكأن نصائحه انت تنبئ مقدما بتلك التى وجهها بولس الرسول لكنيسة افسس "لانى اعلم هذا انه بعد ذهابى سيدخل بينكم ذئاب خاطفة لا تشفق على الرعية. ومنكم انتم سيقوم رجال يتكلمون بأمور ملتوية. لذلك أسهروا" اع ٢٠ : ٢٩، ٣٠.

وكضمان لعدم الوصول الى هذه النتائج السيئة اقترح يشوع ثلاثة اقتراحات :

(الأول) يذكرنا بالنصيحة التى قدمت اليه هو شخصيا والمدونة فى أول هذا السفر "تشددوا جدا لتحفظوا وتعملوا كل المكتوب فى سفر شريعة موسى حتى لا تحيدوا عنها يمينا أو شمالا" ع ٦.

(الثانى) أنه أكد لهم بانهم اذ اختلطوا بالأمم الوثنية بالمصاهرة أو بالعبادة الوثنية فانهم يعجزون عن التغلب عليهم فى الحرب، بل يجدونهم فخا وشركا وسوطا على جوانبهم وشوكا فى أعينهم حتى يبيدوا عن تلك الأرض الصالحة التى أتوا اليها ع ١٢ و١٣.

(الثالث) وهو الذى نرجو ان يكون موضوع تأملنا بصفة خاصة "احتفظوا جدا لانفسكم ان تحبوا الرب الهكم" ع ١١ كان لائقا جدا أن يختتم هذا السفر بهذه النصيحة. لقد حفلت الصفحات السابقة بالحروب وسفك الدماء، أما هنا فيتحدث الجندى كمحب. لقد استبدل صليل الأسلحة بأعذب أنغام المحبة وعاصفة الصباح الهوجاء حل محلها نسيم المساء العليل. وهكذا أدت حياة المسيح الى أحاديث العلية التى تتدفق فيها المحبة.

ان كل ناموس الله، وناموس الحياة البشرية، يكملان فى هذه الكلمة الواحدة "تحب" احتفظ لنفسك جدا ان تحب الله، أما باقى الوصايا فكلها غير جوهرية بالنسبة لهذه الوصية. حب الله، وعندئذ تجد نفسك بأنك لا تقتنع الا بأن ترث كل الأرض حتى ذلك البحر المتسع، بحر محبته الذى لا تغيب عنه الشمس. حب الله، وعندئذ تجد الشجاعة قد وافتك، كما يهجم الطير الجبان على كل من يتعدى على عشه لأن محبة الأمومة تجعله لا يأبه بحياته. حب الله، وعندئذ تحب كتابة دون أن تجد أى ميل لمفارقته. حب الله، وعندئذ تجد نفسك انك لا تسعى وراء أية محبة لا تتفق مع محبتك السامية. حب الله، فتمتلك الله، وتمتلك من الله، ومن ثم تجد ان الأشياء التى كانت لك فخا وشركا وسوطا قد صارت خطوة أساسية للحياة الأكمل والأفضل. حب الله، وعندئذ تصير واحد أنت وجميع الكائنات المقدسة فى السماء وعلى

الأرض، وفى كل أرجاء المسكونة مع ذاك الذى هو المحبة.

اذن فالأمر الواحد الذى يستدعى تفكيرنا هو كيف نتمم هذه الوصية "احتفظوا ان تحبوا". ما هى الخطوات التى ينبغى أن نتخذها لاطاعة هذه الوصية التى نطق بها موسى أولا ثم أيدها المسيح "تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك من كل قدرتك.

(١) أذكر أن المحبة من الله :

ان الكائن الوحيد الذى يحق بأن يقال عنه انه موجود فعلا هو الله، كل الكائنات الأخرى تستمد منه الحياة، أما هو فانه كائن بذاته. وفى اسمه "أنا هو" معنى أعمق مما نتصور. يوجد "اله واحد الآب الذى منه جميع الأشياء، ورب واحد يسوع المسيح الذى به جميع الأشياء" (١ كو ٨ : ٦). هو على الكل وبالكل وفى الكل. لذلك فان كل محبة، وقوة، وحكمة، لا تستقر فيه فحسب، بل تنتقل منه الى كل الكائنات الأخرى، كل بحسب المقياس الذى هو مستعد ان يقبلها به. هو الشمس المركزية، وكل ما هو نبيل أو جميل أو مبارك فى حياة أى واحد انما هو شعاعة منه.

وهل الطبيعة فى بدء خلقتها الا صورة طبق الأصل لافكار الله برزت الى حيز الوجود، ولولا ذلك لبقيت الى الابد مستترة فى فكر الله ؟ وهل ما فى العالم المادى من قوات كالنور والحرارة والكهرباء الا

مظاهر لقوة الله ؟ وهل ما فى العالم الادنى من فضائل كالفضيلة والشجاعة والصبر والمحبة الا شعاعة معتمة كثيرا أو قليلا حسب حالة الانسان الساقط ـ من ذلك النور الذى يضئ لكل انسان آت إلى العالم؟

والآن لنتقدم خطوة أسمى، ولنتحدث عن المحبة. المحبة هى تاج الطبيعة البشرية، هى تاج كل الزهور، الرباط الذى به يصير كل الكون واحدا، الصفة التى بها نصبح مشابهين لله، لأن الله محبة. فى يد المحبة المفتاح الذى به نفتح سر التوافق المفقود. هى وحدها التى تستطيع ان تنطق بالكلمة السحرية التى تضع حدا لكل نتائج الخطية الشريرة. هى التى تجعل كل سكان منازل بيت الاب عائلة واحدة، وتربطهم بعضهم الى بعضهم، وتربطهم بالله برابطة واحدة. بالمحبة وحدها تأتى الملائكة ونفوس جميع المفديين وكل الكائنات المقدسة لتتحد معا فى الترنيمة الجديدة التى سوف ترنم بنغمات شجية حول عرش العلى. يجب ان تتغلب المحبة على كل المنازعات، وتخضع كل الشقاقات، وتتمم القصد الالهى.

على أن كل محبة، سواء فى قلب الطفل الرضيع الذى يمد ذراعه الى الأم التى تحنوا عليه، أو فى قلب الام نحو فلذة كبدها أو فى قلب الخادم الأمين المستعد أن يضحى بحياته من أجل رعيته، فى نفس الإنسان أو الملاك، على الأرض أو الدائرة المباركة التى لا تراها العين

البشرية ـ انما هى مستمدة من مصدرها الاصلى وينبوعها الحقيقى، من قلب الله.

اذن فعلى الذين يريدون أن يحبوا محبة طاهرة، قوية، غير انانية، ان يعمقوا اتصالهم بالله، أن يغمروا طبيعتهم فى شركته كما يغمر الصباغ يده فى الاصباغ. وكما ان القمر ينبغى أن يواجه الشمس لكى يستطيع أن يستمد مجدها الذى يعكسه لنا فى ظلمة الليل البهيم، كذلك الحال معنا فان الرجاء الوحيد فى أن نشع المحبة هو أن نقبلها. ينبغى أن نأخذ لكى نعطى، أن نمتص لكى نشع، ان ننال لكى نوزع. آه ليت حياتنا تزداد اتصالا بالله.

(٢) على أن مثل هذه المحبة تأتينا بالمسيح :

هنالك بطبيعة الحال معنى واسع فى أن محبة الله تصل جميع البشر ولكن حتى هذا لم يكن ممكنا أن يتم الا بموت الرب يسوع المسيح. فلو لم يكن هو قد صار كفارة عن خطايا العالم لما كانت محبة الله قد وجدت القناة التى تنسكب منها وفقا لعقيدة التبرير. ولولا المسيح لكانت زهور السماء التى تتساقط الى حفرة الخطية تتحول الى نيران متأججة.

على أن هنالك معنى أعمق، هو أن محبة الله تجلت فى شخص الرب يسوع المسيح. لأن صفات الله غير المحسوسة تظهر ذاتها فى شكل محسوس. فحينما نعرف يسوع، ونتحد به بالإيمان، وبه نتحد بالآب، نبدأ بأن نختبر ملء محبة الله الآتية الينا بالابن لتصير فينا ينبوع ماء حى

ينبع إلى حياة أبدية. عندئذ نبدأ بأن نختبر ما قصده بولس حينما صرخ قائلا "ان محبة المسيح تحصرنا" افتح قلبك ليسوع، اكتسب صداقته، عش في عشرته، كن دائم التأمل فيما فعله لأجلك. والمحبة تلد محبة. فاذكر اذن مقدار المحبة التي أحبك بها حينما بذل نفسه لأجلك. تحدث للاخرين عنه حتى تشتعل فيك نيران المحبة.

(٣) والمحبة أيضا بالروح القدس :

"لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا" (رو٥ :٥). وكما كان عنب اشكول عربونا على ان الله سوف يعطيهم الارض التي اقتطف منها، وقد اعطاها لهم فعلا، كذلك يأخذ الروح القدس من محبة المسيح ويوصلها الينا عربونا للرجاء الذى لا يخزى. ونحن نتخذ من البركة التي بين أيدينا عربونا على البركة التي سوف تأتينا. ونحن واثقون من الابدية لأنها بدأت فينا. اننا فعلا لا نجوع بعد، ولا نعطش بعد، ولذلك فأننا متيقنون من الأرض التي فيها يرعى الخروف قطيعة لينابيع الحياة.

لنضع هذا في قلوبنا تماما أن باكورة الروح هي المحبة. هى كالفاكهة تتزايد في حجمها على الغصن، تتورد في العنقود تنضج، والانسان لا يدرك كيف تتم كل هذه العمليات. سلم ذاتك للروح القدس، لا تهدأ حتى تطالب بنصيبك في ملء الروح القدس بكل خضوع وخشوع، امتلء بالروح، وبذلك تنال أنت أيضا معمودية المحبة.

حينما نتقوى بالروح القدس فى الإنسان الباطن نبدأ بأن ندرك الارتفاع والعمق، والطول والعرض لمحبة المسيح.

(٤) هنالك بعض ارشادات أخرى لكى نحب الله :

لنكتف الآن بمجرد ذكرها ونحن نختتم هذا الفصل :

١ ـ يجب التمييز بين عواطف المحبة وانفعالاتها المتغيرة غير الثابتة وبين المحبة نفسها.

٢ ـ اذكر بانه من الممكن أن تحب الله لا من القلب فقط بل من الفكر أيضا. ينبغى للارادة أن تجعله هو المحور الذى تدور حوله كل دائرة الحياة.

٣ ـ أن محك المحبة ليس هو الشعور أو الكلام بل الطاعة "الذى عنده وصاياى ويحفظها فهو الذى يحبنى" (يو ١٤ : ٢١).

٤ ـ تحفظ من هجمات الشهوة، لانك فى اللحظة التى تستسلم فيها لشهوة الجسد يتعطل نمو النفس فى محبة الله.

٥ ـ ارق بمحبة الانسان الى محبة الله. عامل كل الناس كما لو كنت تحس بانك تحبهم، تجد نفسك انك تشفق بهم وتعطف عليهم. هذا هو بدء المحبة. هذا فيه شبه كبير لمحبة الله. افعل هذا دواما بقوة الروح الساكن فيك، وعندئذ تدرك يقينا محبة الله التى لا تستقصى، وتنمو فى هذا الادراك. أننا نستطيع أن نعرف محبة المسيح، على أنها هى "الفائقة المعرفة" اف ٣ : ١٩.

الفصل الثانى والعشرون
الرسالة الختامية
يشوع ٢٤

حينما تأتى الدعوة التى ننتظرها فانها تبدو سريعة بل سريعة جدا فلنحرص على أن يتمجد الله فينا الآن فى هذا الوقت المناسب.

(هاملتون كنج)

مرة أخرى نرى هذا القائد المحنك، الذى كان فى وقت واحد جنديا، وقاضيا، وسياسيا، ونبياً، يطلب بأن يرى شعبه وجها لوجه. وللحال اجتمع اليه ممثلو جميع أسباط اسرائيل فى شكيم، حيث كانوا قد وقفوا من قبل فى اجتماعهم الرهيب حين ارتفعت أصوات الشعب على منحدرات عيبال وجرزيم مؤمنين على نداءات البركة واللعنة.

كانت الحجارة التى كتب عليها الناموس لا تزال باقية (أنظر فصل ١١)، ولابد أن أغلب الموجودين استعادوا فى ذاكرتهم كل المنظر القديم. ولكن من تلك اللحظة لابد أن يكون الوادى صارت ذكرياته مقترنة بهذا المنظر الوداعى الذى نطق فيه يشوع بنصائحه الاخيرة وتوسلاته الختامية.

خطاب يشوع

لقد سرد مرة أخرى تلك الرواية العجيبة عن تاريخ اسرائيل الماضى، مبتدئا حيث بدأ الله بتاريخ آبائهم فى وطنهم الاصلى وراء الفرات فى

فجر التاريخ المظلم. يالها من نظرة بعيدة تلك التى جال بها بصرة الى تارح أبى ابراهيم وأبى ناحور. ولعله أشار اليه قاصدا أن يؤكد تلك الحقيقة : وهى ان تلك الاسرة كانت منغمسة هنالك فى العبادة الوثنية ككل الشعوب المحيطة. كانت هذه الخطية متوطنة ومتأصلة فى تربة اسرائيل، وكان لابد أن يأتى المحصول بثماره المرة لو لم تكن عناية الله المتزايدة قد تداركت الأمر. فانظروا يا اسرائيل "الى الصخر الذى منه قطعتم والى نقرة الجب التى منها حفرتم" (اش ٥١ : ١) لانكم لم تكونوا أصلا أفضل من الباقين. ولم يكن اختيار الله لكم يعزى لأية صفة مميزة كعبادة الاله الواحد، بل بمقتضى رحمته. هذا هو السبب الوحيد الذى ميزكم عن غيركم. لقد "كنتم أمواتا بالذنوب والخطايا" ولكنه برحمته اختاركم لتكونوا خاصته من أجل محبته العظمى التى أحبكم بها.

ثم تحدث عن اسحق ويعقوب وعيسو بالتتابع، فاحدثت هذه الاسماء أثرا عميقا جدا فى قلوب السامعين وسط ذلك السكون الرهيب الذى ساد الجميع. بعد ذلك تدرج بهم فى الحديث ـ بلسان الله عن بعض الشخصيات والحوادث التى كان لها أكبر الاثر فى حياته هو شخصيا :

ارسالية الاخوين (موسى وهرون)، ضربات مصر، صراخ الشعب عند البحر الأحمر وانقاذ الرب اياهم، البرية، بالاق بن صفور وبلعام بن بعور، عبور الاردن، سقوط اريحا، انقلاب أمم كنعان السبعة، امتلاك أرضها.

والذى يلاحظ هنا ان أبرز ما أراد يشوع ان يظهره هو نعمة الله : "أخذت، أعطيت، أرسلت، أخرجت، اهلكت انقذت" لم ينسب أى شئ لأبطال اسرائيل، بل نسب كل شئ لارادة الله العليا التى هى مصدر الطبيعة والتاريخ والنعمة. اننا لن نستطيع الخروج من هذه الدائرة. ومهما تعددت الحلقات التى تتوسط بيننا وبين أسباب الأشياء فلابد من الاعتراف أخيرا بان علة العلل هى "مشورة الله المحتومة وعلمه السابق". ولعل المسيحى لا يستطيع أن يزيد على تلك العقيدة التى رسمها ذلك الملك الوثنى العظيم "هو يفعل كما يشاء فى جند السماء وسكان الأرض ولا يوجد من يمنع يده أو يقول له ماذا تفعل" (دا ٤ : ٣٥).

ليس أحب الى نفس المرء من أن يقف فوق قمة السنين فى خريف الحياة الذهبى ويراجع الطريقة التى سار الله معه، ويتأمل فى العبودية القاسية التى كان مستعبدا لها فى بداية الحياة، الضيقات الكثيرة التى من جميعها أنقذه الرب، السحابة التى ظللته فى البرية، الطريقة التى بها كان يسد الله كل عوازه كل يوم، الخير والرحمة اللتين تابعتاه كل أيام حياته. يالها من قصة رائعة الجمال تختبئ وراء حياة أحقر شخص يمكن سردها عن الخطية والغفران، عن اثارة غضب الله ورحمته، عن النعمة والهبة. وحينما يبدل أى واحد منا اختباراته فى هذه الأرض التى لا نحصل عليها بسيفنا أو قوسنا، ونسكن فى منازل لم نتعب فى بنائها، ونأكل من الكروم والزيتون التى لم نتعب فى غرسها، فانه يسوده

الاعتقاد الراسخ بأن تاريخ حياته أعجب من الجميع.

التماس يشوع

يبدو أنه قد تفشت بين الشعب بشكل متسع عبادة الالهة المنزلية كتلك الالهة التى سرقتها راحيل من بيت لابان أبيها. ولعل هذه العبادة كانت تمارس خلسة. على أن جراثيم الشر كانت تنتظر العوامل المساعدة لاظهارها بشكل علنى، ولذلك فقد كان ليشوع كل الحق فى ان يخشى ازدياد تقدم هذا الشر المستطير. ان القلب البشرى يميل على الدوام لاستبدال الروحى بالمادى، واذا ما حل الوثن محل الله فان الانسان يفقد تلك القوة المقاومة التى تكبح جماح شهواته. لذلك فان العبادة الوثنية فى كل الامم وفى كل العصور قد أدت الى النجاسة. هذا هو السبب من أجله تقدم يشوع الى الشعب ملتمسا منهم بكل قوة أن ينزعوا الالهة التى عبدها تارح وغيره من آبائهم فى عبر النهر، والتى عبدوها باطلا فى اكواخ عبوديتهم فى مصر. وقد فعل هذا أولا فى نهاية خطابه (ع ١٤)، ثم كرره قبل فض ذلك الاجتماع الرهيب (ع ٢٣).

ان عملية نبذ العبادة الوثنية تتمشى مع اعمق اختباراتنا فى الحياة المباركة. فان يوحنا نفسه فى ختام رسالته الأولى يأمر تلاميذه بحفظ أنفسهم من الاصنام. والواقع اننا كلما سطع علينا نور السماء اللامع بدأنا نعرف حقيقة طبيعة أشياء كثيرة مما كنا نراها بريئة ونحتفظ

بها كأنها اثمن من الحياة نفسها. قد نختار الموت فى احدى الساعات الخشوعية الرهيبة، ولكننا ندرك بعد ذلك تدريجيا كل ما يتضمنه ذلك. ان محبة الذات هى أعظم الاصنام، وهى متفشية بين الجميع، مخادعة ماكرة، متقلبه متلونه. اذا طاردتها من مكان برزت فى مكان آخر. أنها تتمسك بأمور هى فى حد ذاتها بريئة، ولكنها تحولها الى اصنام، واذن يجب انتزاعها. أنها تحول اسحق الابن المحبوب وراحيل الزوجة العزيزة، وذراعنا اليمين التى نعتز بها الى اصنام.

ورجاؤنا الوحيد هو أن نكون اقوياء العزم فى انتزاع كل الاوثان واختيار الله معبودا وحدا. لا يكفى أن نقف موقفا سلبيا ونحطم صنم محبة الذات. بل يجب أن نكرس ذواتنا لله تكريسا كليا، والارادة يجب أن تتوجه ملكا عليها، والنفس يجب أن تقدمه على كل شئ وعلى كل شخص، والحياة يجب ان تخضع لأقل حرف من وصاياه. اذا فعلت هذا وافاك السلام. "ان ساء فى اعينكم أن تعبدو الرب فاختاروا لانفسكم اليوم من تعبدون. ان كان الالهة الذين عبدهم آباؤكم الذين فى عبر النهر وان كان آلهة الاموريين الذين أنتم ساكنون فى ارضهم. واما انا وبيتى فنعبد الرب".

اجابة الشعب الأولى

لقد اعترفوا بانهم لا يريدون ترك الرب وعبادة آلهة أخرى واعترفوا صراحة بانهم يدينون لله بكل شئ من بداية الخروج الى امتلاك كنعان.

ثم صرحوا بعزمهم على عبادة الرب.

اجابة يشوع

لا يمكننا الجزم ان كانت كل هذه التعهدات صدرت بناء على اتفاق من الجميع أم صدرت من ممثلى الشعب فقط. ولكن يقيننا أن يشوع تبين بعض آثار عدم الاخلاص فى صوتهم. ولعله أحس بعدم صحة اعترافاتهم لأنهم لم يظهروا اية علامة على تركهم آلهتهم الغريبة. هل كان يرجو تكرار المنظر الذى مثل فى نفس ذلك المكان منذ سنوات عديدة عندما سلم كل أفراد بيت يعقوب اليه ـ تلبية لندائه ـ "كل الالهة الغريبة التى فى ايديهم والاقراط التى فى آذانهم فطمرها يعقوب تحت البطمة التى عند شكيم" (تك ٣٥ : ٢ - ٤) هل كان يرجو ان يأتى رؤساء الشعب أولا ويقدموا ما لديهم لاقامة كومة عظيمة كتلك التى اقيمت فى العصور المسيحية فى الميدان العظيم فى مدينة البندقية تلبية لنداء سافونارولا.

على أنه لم يجد تلبية لنداء كهذا. فقد اكتفى الشعب بمجرد تعهداتهم دون ان يقدموا أية تضحية. لم يكملوا تعهداتهم، وكان يشوع مقتنعا تمام الاقتناع بعدم صحة اعترافاتهم التى لم تتجاوز الشفاه. فقال على الفور : ليست هذه هى طريقة عبادة الرب، هو اله قدوس، واله غيور، هو لابد ان يفضح خطاياكم الخفية، ولا يرتضى بعبادة الشفاه، ولا يتجاوز عن التعديات والخطايا، حتى اذا كانت مخبأة فى خبايا

خيامكم وفى اعماق قلوبكم، ورغم الاحسانات التى صنعها معكم فانه لن يتجاوز عن تعديات شعبه وارتدادهم.

اجابة الشعب الثانية

كانوا واثقين من أنفسهم، وتعهدوا بعبادة الرب مهما كانت النتائج. هنا نتبين قوة الإرادة، ثبات العزيمة، الاصرار على اختيار عبادة الرب. واذ وقفوا هناك مع يشوع نسوا سقطات الماضى الكثيرة، وهزأوا بمخاوفه، وازدروا بما افترضه من امكانية الارتداد مرة أخرى، وصرخوا "لا بل تعبد الرب".

ياله من تفسير نجده فى سفر القضاة لهذه الكلمات العظيمة : نعبد الرب! ان أول خبر يسجله لنا هذا السفر بعد التحدث عن موت يشوع مباشرة هو هذا "وفعل بنو اسرائيل الشر فى عينى الرب وعبدوا البعليم. وتركوا الرب اله ابائهم". وهذا الخبر يكرر بنغمة الحزن والاسف الشديد فى كل صحيفة تقريبا. هذا يذكرنا بذلك المنظر الآخر حينما تعهد الشعب تحت سفح سينا المدخن بالنار بأن يفعلوا كل ما تكلم به الرب، ولكنهم بعد ستة أسابيع عبدوا العجل الذهبى ورقصوا حوله رقصا خليعا.

الواقع أن مجرد العزم، مهما كان صالحا، ومهما عبرنا عنه بكلمات قوية، لا يكفى أن يتقدم بنا الى حياة الطاعة. فان الناحية الادبية فينا قد اضعفها توالى السقطات حتى أصبحت عاجزة عن مقاومة نداءات الشهوة "لأن الارادة حاضرة عندى. واما ان أفعل الحسنى فلست أجد".

لا يمكن أن ينظر أى واحد بدقة الى أعمال طبيعته البشرية دون أن يتأكد ما أصابها من شلل. فالارادة تستقر وسط الحياة الداخلية وتصدر الاوامر التى لا تقوى على تنفيذها كالملك الضعيف وسط رؤسائه الاقوياء الذين ينازعونه سلطته.

هكذا طالما يحصل أن القلوب الصغيرة تمتلى بمرارة الفشل، لأنها فى بعض لحظات العزم القوى تقرر بأن تكون كل الحياة جديدة، متشددة بقوة العزم، ومتسامية الى حياة الطهارة والتكريس مستعينة بالقصد الراسخ الذى لا يتزعزع، ولكنها حين تنزل الى ميدان الحياة العامة تجد ان القوة الدافعة قد ماتت، والقوة اللازمة لتنفيذ غاية النفس السامية قد ذابت. نعم فان حياة التكريس لا تكون ممكنة الا حين نطلبها ونواليها ونكملها بقوة ليست قوتنا، وبمعونة الروح القدس.

إجابة يشوع الثانية

قال لهم "انتم شهود على أنفسكم أنكم قد اخترتم لأنفسكم الرب لتعبدوه" وبعباره أخرى أنه توسل اليهم على أساس تأكيداتهم، وطلب أن يربطهم بتعهداتهم. ألم يقصد أن يزداد تعمقا فى امتحانهم، وان يجعلهم يتأكدون من خطورة الموقف وان يدفعهم ليواجهوا عظمة المسئولية التى قبلوها على أنفسهم. لقد حثهم على أن يكونوا أمناء لهذا العهد مستعينا فى ذلك بعظمة البركات التى تنجم عن هذا، بمراحم الله وانقاذه اياهم، بذكريات آبائهم. بايام ابراهيم واسحق العظيمة.

باعترافاتهم هم أنفسهم الخطيرة.

إجابة الشعب الثالثة

فصرخوا قائلين "نحن شهود". كما حصل فى الأيام التالية حينما أجاب الشعب تحدى بيلاطس اياهم المتكرر اذ حملهم دماء يسوع. آسفا على اعتدادهم بأنفسهم وتصلفهم وكبريائهم. "ليس بالقوة يغلب الإنسان" (١ صم ٢ : ٩). ايتها النفس! احذرى حينما تلجأين الى عزمك، واحرصى بأن لا تفتخرى الا بالله، رافعة علمه فوقك، ومعتزة بقدرته. بالله وحده تستطيعين ان تقتحمى جيشا. وتتسورى أسوارا (٢ صم ٢٢ : ٣٠) فاطلب من الروح القدس ان يربطك الى مذبح تكريس النفس بربط الجلجثة القرمزية، بربط الرجاء فى مجيئه الثانى الفضية، بربط الشركة اليومية معه الذهبية.

تصرف يشوع الاخير

واذا وجد انه لا نتيجة للكلام بعد هذا أقام تذكارا للتعهدات التى قطعها الشعب على أنفسهم. كتب كلماتهم "فى سفر شريعة الله، وأخذ حجرا كبيرا ونصبه هناك تحت البلوطة التى عند مقدس الرب". ثم قال لهم "ان هذا الحجر يكون شاهدا علينا لانه قد سمع كل كلام الرب الذى كلمنا به. فيكون شاهدا عليكم لئلا تجحدوا الهكم". ثم صرف يشوع الشعب كل واحد الى ملكه.

بمقارنة هذا المنظر بحالتنا نجد تعزية

حتى فى أرض الموعد عاد الشعب الى روح جبل سينا القديمة نحو الواجب والطاعة كشرط لحق امتلاكهم الأرض. لقد قالوا عند جبل سينا "كل ما يقوله الرب نفعل". وهذا ما قالوه ثانية فى كنعان. ونحن جميعا ميالون لارتكاب نفس الخطأ. لقد حاولنا مرة تبرير أنفسنا بمجهوداتنا وأعمالنا، والآن نحاول تقديس أنفسنا. لقد اعتزمنا مرة ربح السماء بالاعمال الصالحة، والآن نحاول بنفس العزيمة التمسك بتعهداتنا نحو حياة التكريس. وحالما نحاول السلوك فى طريق التكريس الشاق بمجهودنا، وقوتنا، فاننا نعرض أنفسنا للشقاء الدائم والحزن الشديد. ليس هذا هو الطريق المستقيم. لاننا لا نستطيع ان نكمل بالجسد ما بدأناه بالروح.

لم يعط يشوع الشعب راحة. لانه لو فعل ذلك لما تحدث داود عن يوم آخر. وما كانت كنعان سوى رمزا لراحة شعب الله، ولكنها لم تحققها. لم تكن فى أحسن أيامها سوى رمزا ماديا عاجزا عن أن يهب الراحة الحقيقية. لقد وهبت فعلا راحة من عناء المسير فى البرية، ولكنها لم تهب النفس اقصى آمالها فى الراحة. ولم يكن فى استطاعة محصول الحنطة والكروم والزيتون اشباع شهوة النفس نحو غير المادى التى لابد أن يكون اسرائيل قد احس بها كشعب استقر فى الأرض الموهوبة اليه من الله. لذلك فقد بقيت ـ علاوة على هذه الراحة وفوقها ـ راحة

لشعب الله مقدمة اليهم بالإيمان فى كل العصور كما يخبرنا الوحى.

لاحظ الحقيقة الروحية العميقة هنا. فاسرائيل لم يمكنهم دخول راحة الله الحقيقية لان الشعب اصروا على التمسك بهذا الحديث عما يجب وما لا يجب ان يفعلوه. وراحة الله لا يمكن دخولها بهذه الطريقة. ومع أن القيادة كانت قيادة يشوع الا ان الروح كانت روح موسى. والناموس لا يمكن ان يهب الراحة بأى حال من الاحوال أو بأى شكل من الاشكال. أليس هذا هو السبب فى ان الكثيرين من المسيحيين لا يزالون محرومين من الراحة ؟ انهم يعترفون بأنهم تحت قيادة يشوع الاعظم، ولكنهم طول الوقت يعتمدون على عزيمتهم ويفتخرون بقوتهم. اننا لا يمكننا دخول حياة الراحة المباركة والسلام الحقيقى الا حينما ندرك شروط العهد الجديد نحو الاعتماد الكلى على نعمة الله. لا يتوقف الامر على ما تفعله انت بل على ما يفعله الله، لا على قوسك ورمحك بل على ذراعه المقتدرة، لا على عزيمتك القوية بل على نعمته المجانية. حينما تعترف بانك عاجز عن الاحتفاظ بحياة التكريس، وتطرح ذاتك عليه فى حالة عجزك ـ طالبا منه أن يتمم فيك وبك كل شئ، محققا مثله العليا. ومتمما اغراضه، وحينما تطرح عليه كل همك وكل حملك، وتكتفى بان تظهر فى الخارج (بقوة الروح القدس) ما يفعله فى قلبك فى الداخل، فانك تختبر ملء تلك الراحة العميقة عمق الله.

واذ انتهت مهمة يشوع اعتزل فى ميراثه. على ان تأثير صفاته وحياته ظل مستمرا طالما كان عائشا وبعد وفاته. وأخيرا مات ابن مئة عشر سنين، فدفنوه. ولعل جميع اسرائيل اجتمعوا ليحيوا ذكراه. والواقع انه استحق بجدارة كل الكرامة التى نالها. لم تكن له موهبة من مواهب موسى. وربما يمكن تشبيهه بالرجل الذى أعطى وزنتين، أما معلمه البطل العظيم فقد أؤتمن على خمس وزنات. ولكنه كان قويا وحكيما وأمينا للمهمة العظمى التى اؤتمن عليها من قبل الشعب ومن قبل الله. وبين الكواكب اللامعة فى كبد السماء يلمع بضياء كامل يشوع بن نون الذى كان رمزا للمخلص والذى كان افخر ما كتب عنه احتفاظا بذكراه بعد وفاته :

يشوع بن نون عبد الرب

مظاهر لقوة الله ؟ وهل ما فى العالم الادنى من فضائل كالفضيلة والشجاعة والصبر والمحبة الا شعاعة معتمة كثيرا أو قليلا حسب حالة الانسان الساقط ـ من ذلك النور الذى يضئ لكل انسان آت إلى العالم؟

والآن لنتقدم خطوة أسمى، ولنتحدث عن المحبة. المحبة هي تاج الطبيعة البشرية، هى تاج كل الزهور، الرباط الذى به يصير كل الكون واحدا، الصفة التى بها نصبح مشابهين لله، لأن الله محبة. فى يد المحبة المفتاح الذى به نفتح سر التوافق المفقود. هى وحدها التى تستطيع ان تنطق بالكلمة السحرية التى تضع حدا لكل نتائج الخطية الشريرة. هى التى تجعل كل سكان منازل بيت الاب عائلة واحدة، وتربطهم بعضهم الى بعضهم، وتربطهم بالله برابطة واحدة. بالمحبة وحدها تأتى الملائكة ونفوس جميع المفديين وكل الكائنات المقدسة لتتحد معا فى الترنيمة الجديدة التى سوف ترنم بنغمات شجية حول عرش العلى. يجب ان تتغلب المحبة على كل المنازعات، وتخضع كل الشقاقات، وتتمم القصد الالهى.

على أن كل محبة، سواء فى قلب الطفل الرضيع الذى يمد ذراعه الى الأم التى تحنوا عليه، أو فى قلب الام نحو فلذة كبدها أو فى قلب الخادم الأمين المستعد أن يضحى بحياته من أجل رعيته، فى نفس الإنسان أو الملاك، على الأرض أو الدائرة المباركة التى لا تراها العين

البشرية ـ انما هى مستمدة من مصدرها الاصلى وينبوعها الحقيقى، من قلب الله.

اذن فعلى الذين يريدون أن يحبوا محبة طاهرة، قوية، غير انانية، ان يعمقوا اتصالهم بالله، أن يغمروا طبيعتهم فى شركته كما يغمر الصباغ يده فى الاصباغ. وكما ان القمر ينبغى أن يواجه الشمس لكى يستطيع أن يستمد مجدها الذى يعكسه لنا فى ظلمة الليل البهيم، كذلك الحال معنا فان الرجاء الوحيد فى أن نشع المحبة هو أن نقبلها. ينبغى أن نأخذ لكى نعطى، أن نمتص لكى نشع، ان ننال لكى نوزع. آه ليت حياتنا تزداد اتصالا بالله.

(٢) على أن مثل هذه المحبة تأتينا بالمسيح :

هنالك بطبيعة الحال معنى واسع فى أن محبة الله تصل جميع البشر ولكن حتى هذا لم يكن ممكنا أن يتم الا بموت الرب يسوع المسيح. فلو لم يكن هو قد صار كفارة عن خطايا العالم لما كانت محبة الله قد وجدت القناة التى تنسكب منها وفقا لعقيدة التبرير. ولولا المسيح لكانت زهور السماء التى تتساقط الى حفرة الخطية تتحول الى نيران متأججة.

على أن هنالك معنى أعمق، هو أن محبة الله تجلت فى شخص الرب يسوع المسيح. لأن صفات الله غير المحسوسة تظهر ذاتها فى شكل محسوس. فحينما نعرف يسوع، ونتحد به بالإيمان، وبه نتحد بالآب، نبدأ بأن نختبر ملء محبة الله الآتية الينا بالابن لتصير فينا ينبوع ماء حى

ينبع إلى حياة أبدية. عندئذ نبدأ بأن نختبر ما قصده بولس حينما صرخ قائلا "ان محبة المسيح تحصرنا" افتح قلبك ليسوع، اكتسب صداقته، عش فى عشرته، كن دائم التأمل فيما فعله لأجلك. والمحبة تلد محبة. فاذكر اذن مقدار المحبة التى أحبك بها حينما بذل نفسه لأجلك. تحدث للاخرين عنه حتى تشتعل فيك نيران المحبة.

(٣) والمحبة أيضا بالروح القدس :

"لأن محبة الله قد انسكبت فى قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا" (رو٥:٥) . وكما كان عنب اشكول عربونا على ان الله سوف يعطيهم الارض التى اقتطف منها، وقد اعطاها لهم فعلا، كذلك يأخذ الروح القدس من محبة المسيح ويوصلها الينا عربونا للرجاء الذى لا يخزى. ونحن نتخذ من البركة التى بين أيدينا عربونا على البركة التى سوف تأتينا. ونحن واثقون من الابدية لأنها بدأت فينا. اننا فعلا لا نجوع بعد، ولا نعطش بعد، ولذلك فأننا متيقنون من الأرض التى فيها يرعى الخروف قطيعة لينابيع الحياة.

لنضع هذا فى قلوبنا تماما أن باكورة الروح هى المحبة. هى كالفاكهة تتزايد فى حجمها على الغصن، تتورد فى العنقود تنضج، والانسان لا يدرك كيف تتم كل هذه العمليات. سلم ذاتك للروح القدس، لا تهدأ حتى تطالب بنصيبك فى ملء الروح القدس بكل خضوع وخشوع، امتلء بالروح، وبذلك تنال أنت أيضا معمودية المحبة.

حينما نتقوى بالروح القدس فى الإنسان الباطن نبدأ بأن ندرك الارتفاع والعمق، والطول والعرض لمحبة المسيح.

(٤) هنالك بعض ارشادات أخرى لكى نحب الله :

لنكتف الآن بمجرد ذكرها ونحن نختتم هذا الفصل :

١ ـ يجب التمييز بين عواطف المحبة وانفعالاتها المتغيرة غير الثابتة وبين المحبة نفسها.

٢ ـ اذكر بانه من الممكن أن تحب الله لا من القلب فقط بل من الفكر أيضا. ينبغى للارادة أن تجعله هو المحور الذى تدور حوله كل دائرة الحياة.

٣ ـ أن محك المحبة ليس هو الشعور أو الكلام بل الطاعة "الذى عنده وصاياى ويحفظها فهو الذى يحبنى" (يو ١٤ : ٢١).

٤ ـ تحفظ من هجمات الشهوة، لانك فى اللحظة التى تستسلم فيها لشهوة الجسد يتعطل نمو النفس فى محبة الله.

٥ ـ ارق بمحبة الانسان الى محبة الله. عامل كل الناس كما لو كنت تحس بانك تحبهم، تجد نفسك انك تشفق بهم وتعطف عليهم. هذا هو بدء المحبة. هذا فيه شبه كبير لمحبة الله. افعل هذا دواما بقوة الروح الساكن فيك، وعندئذ تدرك يقينا محبة الله التى لا تستقصى، وتنمو فى هذا الادراك. أننا نستطيع أن نعرف محبة المسيح، على أنها هى "الفائقة المعرفة" اف ٣ : ١٩.

الفصل الثانى والعشرون
الرسالة الختامية
يشوع ٢٤

حينما تأتى الدعوة التى ننتظرها فانها تبدو سريعة بل سريعة جدا فلنحرص على أن يتمجد الله فينا الآن فى هذا الوقت المناسب.

(هاملتون كنج)

مرة أخرى نرى هذا القائد المحنك، الذى كان فى وقت واحد جنديا، وقاضيا، وسياسيا، ونبياً، يطلب بأن يرى شعبه وجها لوجه. وللحال اجتمع اليه ممثلو جميع أسباط اسرائيل فى شكيم، حيث كانوا قد وقفوا من قبل فى اجتماعهم الرهيب حين ارتفعت أصوات الشعب على منحدرات عيبال وجرزيم مؤمنين على نداءات البركة واللعنة.

كانت الحجارة التى كتب عليها الناموس لا تزال باقية (أنظر فصل ١١)، ولابد أن أغلب الموجودين استعادوا فى ذاكرتهم كل المنظر القديم. ولكن من تلك اللحظة لابد أن يكون الوادى صارت ذكرياته مقترنة بهذا المنظر الوداعى الذى نطق فيه يشوع بنصائحه الاخيرة وتوسلاته الختامية.

خطاب يشوع

لقد سرد مرة أخرى تلك الرواية العجيبة عن تاريخ اسرائيل الماضى، مبتدئا حيث بدأ الله بتاريخ آبائهم فى وطنهم الاصلى وراء الفرات فى

فجر التاريخ المظلم. يالها من نظرة بعيدة تلك التى جال بها بصرة الى تارح أبى ابراهيم وأبى ناحور. ولعله أشار اليه قاصدا أن يؤكد تلك الحقيقة : وهى ان تلك الاسرة كانت منغمسة هنالك فى العبادة الوثنية ككل الشعوب المحيطة. كانت هذه الخطية متوطنة ومتأصلة فى تربة اسرائيل، وكان لابد أن يأتى المحصول بثماره المرة لو لم تكن عناية الله المتزايدة قد تداركت الأمر. فانظروا يا اسرائيل "الى الصخر الذى منه قطعتم والى نقرة الجب التى منها حفرتم" (اش ٥١ : ١) لانكم لم تكونوا أصلا أفضل من الباقين. ولم يكن اختيار الله لكم يعزى لأية صفة مميزة كعبادة الاله الواحد، بل بمقتضى رحمته. هذا هو السبب الوحيد الذى ميزكم عن غيركم. لقد "كنتم أمواتا بالذنوب والخطايا" ولكنه برحمته اختاركم لتكونوا خاصته من أجل محبته العظمى التى أحبكم بها.

ثم تحدث عن اسحق ويعقوب وعيسو بالتتابع، فاحدثت هذه الاسماء أثرا عميقا جدا فى قلوب السامعين وسط ذلك السكون الرهيب الذى ساد الجميع. بعد ذلك تدرج بهم فى الحديث ـ بلسان الله عن بعض الشخصيات والحوادث التى كان لها أكبر الاثر فى حياته هو شخصيا :

ارسالية الاخوين (موسى وهرون)، ضربات مصر، صراخ الشعب عند البحر الأحمر وانقاذ الرب اياهم، البرية، بالاق بن صفور وبلعام بن بعور، عبور الاردن، سقوط اريحا، انقلاب أمم كنعان السبعة، امتلاك أرضها.

والذى يلاحظ هنا ان أبرز ما أراد يشوع ان يظهره هو نعمة الله : "أخذت، أعطيت، أرسلت، أخرجت، اهلكت انقذت" لم ينسب أى شئ لأبطال اسرائيل، بل نسب كل شئ لارادة الله العليا التى هى مصدر الطبيعة والتاريخ والنعمة. اننا لن نستطيع الخروج من هذه الدائرة. ومهما تعددت الحلقات التى تتوسط بيننا وبين أسباب الأشياء فلابد من الاعتراف أخيرا بان علة العلل هى "مشورة الله المحتومة وعلمه السابق". ولعل المسيحى لا يستطيع أن يزيد على تلك العقيدة التى رسمها ذلك الملك الوثنى العظيم "هو يفعل كما يشاء فى جند السماء وسكان الأرض ولا يوجد من يمنع يده أو يقول له ماذا تفعل" (دا ٤ : ٣٥).

ليس أحب الى نفس المرء من أن يقف فوق قمة السنين فى خريف الحياة الذهبى ويراجع الطريقة التى سار الله معه، ويتأمل فى العبودية القاسية التى كان مستعبدا لها فى بداية الحياة، الضيقات الكثيرة التى من جميعها أنقذه الرب، السحابة التى ظللته فى البرية، الطريقة التى بها كان يسد الله كل عوازه كل يوم، الخير والرحمة اللتين تابعتاه كل أيام حياته. يالها من قصة رائعة الجمال تختبئ وراء حياة أحقر شخص يمكن سردها عن الخطية والغفران، عن اثارة غضب الله ورحمته، عن النعمة والهبة. وحينما يبدل أى واحد منا اختباراته فى هذه الأرض التى لا نحصل عليها بسيفنا أو قوسنا، ونسكن فى منازل لم نتعب فى بنائها، ونأكل من الكروم والزيتون التى لم نتعب فى غرسها، فانه يسوده

الاعتقاد الراسخ بأن تاريخ حياته أعجب من الجميع.

التماس يشوع

يبدو أنه قد تفشت بين الشعب بشكل متسع عبادة الالهة المنزلية كتلك الالهة التى سرقتها راحيل من بيت لابان أبيها. ولعل هذه العبادة كانت تمارس خلسة. على أن جراثيم الشر كانت تنتظر العوامل المساعدة لاظهارها بشكل علنى، ولذلك فقد كان ليشوع كل الحق فى ان يخشى ازدياد تقدم هذا الشر المستطير. ان القلب البشرى يميل على الدوام لاستبدال الروحى بالمادى، واذا ما حل الوثن محل الله فان الانسان يفقد تلك القوة المقاومة التى تكبح جماح شهواته. لذلك فان العبادة الوثنية فى كل الامم وفى كل العصور قد أدت الى النجاسة. هذا هو السبب من أجله تقدم يشوع الى الشعب ملتمسا منهم بكل قوة أن ينزعوا الالهة التى عبدها تارح وغيره من آبائهم فى عبر النهر، والتى عبدوها باطلا فى اكواخ عبوديتهم فى مصر. وقد فعل هذا أولا فى نهاية خطابه (ع ١٤)، ثم كرره قبل فض ذلك الاجتماع الرهيب (ع ٢٣).

ان عملية نبذ العبادة الوثنية تتمشى مع اعمق اختباراتنا فى الحياة المباركة. فان يوحنا نفسه فى ختام رسالته الأولى يأمر تلاميذه بحفظ أنفسهم من الاصنام. والواقع اننا كلما سطع علينا نور السماء اللامع بدأنا نعرف حقيقة طبيعة أشياء كثيرة مما كنا نراها بريئة ونحتفظ

بها كأنها اثمن من الحياة نفسها. قد نختار الموت فى احدى الساعات الخشوعية الرهيبة، ولكننا ندرك بعد ذلك تدريجيا كل ما يتضمنه ذلك. ان محبة الذات هى أعظم الاصنام، وهى متفشية بين الجميع، مخادعة ماكرة، متقلبه متلونه. اذا طاردتها من مكان برزت فى مكان آخر. أنها تتمسك بأمور هى فى حد ذاتها بريئة، ولكنها تحولها الى اصنام، واذن يجب انتزاعها. أنها تحول اسحق الابن المحبوب وراحيل الزوجة العزيزة، وذراعنا اليمين التى نعتز بها الى اصنام.

ورجاؤنا الوحيد هو أن نكون اقوياء العزم فى انتزاع كل الاوثان واختيار الله معبودا وحدا. لا يكفى أن نقف موقفا سلبيا ونحطم صنم محبة الذات. بل يجب أن نكرس ذواتنا لله تكريسا كليا، والارادة يجب أن تتوجه ملكا عليها، والنفس يجب أن تقدمه على كل شئ وعلى كل شخص، والحياة يجب ان تخضع لأقل حرف من وصاياه. اذا فعلت هذا وافاك السلام. "ان ساء فى اعينكم أن تعبدو الرب فاختاروا لانفسكم اليوم من تعبدون. ان كان الالهة الذين عبدهم آباؤكم الذين فى عبر النهر وان كان آلهة الاموريين الذين أنتم ساكنون فى ارضهم. واما انا وبيتى فنعبد الرب".

اجابة الشعب الأولى

لقد اعترفوا بانهم لا يريدون ترك الرب وعبادة آلهة أخرى واعترفوا صراحة بانهم يدينون لله بكل شئ من بداية الخروج الى امتلاك كنعان.

ثم صرحوا بعزمهم على عبادة الرب.

اجابة يشوع

لا يمكننا الجزم ان كانت كل هذه التعهدات صدرت بناء على اتفاق من الجميع أم صدرت من ممثلى الشعب فقط. ولكن يقينا أن يشوع تبين بعض آثار عدم الاخلاص فى صوتهم. ولعله أحس بعدم صحة اعترافاتهم لأنهم لم يظهروا اية علامة على تركهم آلهتهم الغريبة. هل كان يرجو تكرار المنظر الذى مثل فى نفس ذلك المكان منذ سنوات عديدة عندما سلم كل أفراد بيت يعقوب اليه ـ تلبية لندائه ـ "كل الالهة الغريبة التى فى ايديهم والاقراط التى فى آذانهم فطمرها يعقوب تحت البطمة التى عند شكيم" (تك ٣٥: ٢ - ٤) هل كان يرجو ان يأتى رؤساء الشعب أولا ويقدموا ما لديهم لاقامة كومة عظيمة كتلك التى اقيمت فى العصور المسيحية فى الميدان العظيم فى مدينة البندقية تلبية لنداء سافونارولا.

على أنه لم يجد تلبية لنداء كهذا. فقد اكتفى الشعب بمجرد تعهداتهم دون ان يقدموا أية تضحية. لم يكملوا تعهداتهم، وكان يشوع مقتنعا تمام الاقتناع بعدم صحة اعترافاتهم التى لم تتجاوز الشفاه. فقال على الفور: ليست هذه هى طريقة عبادة الرب، هو اله قدوس، واله غيور، هو لابد ان يفضح خطاياكم الخفية، ولا يرتضى بعبادة الشفاه، ولا يتجاوز عن التعديات والخطايا، حتى اذا كانت مخبأة فى خبايا

خيامكم وفى اعماق قلوبكم، ورغم الاحسانات التى صنعها معكم فانه لن يتجاوز عن تعديات شعبه وارتدادهم.

اجابة الشعب الثانية

كانوا واثقين من أنفسهم، وتعهدوا بعبادة الرب مهما كانت النتائج. هنا نتبين قوة الإرادة، ثبات العزيمة، الاصرار على اختيار عبادة الرب. واذ وقفوا هناك مع يشوع نسوا سقطات الماضى الكثيرة، وهزأوا بمخاوفه، وازدروا بما افترضه من امكانية الارتداد مرة أخرى، وصرخوا "لا بل تعبد الرب".

ياله من تفسير نجده فى سفر القضاة لهذه الكلمات العظيمة : نعبد الرب! ان أول خبر يسجله لنا هذا السفر بعد التحدث عن موت يشوع مباشرة هو هذا "وفعل بنو اسرائيل الشر فى عينى الرب وعبدوا البعليم. وتركوا الرب اله ابائهم". وهذا الخبر يكرر بنغمة الحزن والاسف الشديد فى كل صحيفة تقريبا. هذا يذكرنا بذلك المنظر الآخر حينما تعهد الشعب تحت سفح سينا المدخن بالنار بأن يفعلوا كل ما تكلم به الرب، ولكنهم بعد ستة أسابيع عبدوا العجل الذهبى ورقصوا حوله رقصا خليعا.

الواقع أن مجرد العزم، مهما كان صالحا، ومهما عبرنا عنه بكلمات قوية، لا يكفى أن يتقدم بنا الى حياة الطاعة. فان الناحية الادبية فينا قد اضعفها توالى السقطات حتى أصبحت عاجزة عن مقاومة نداءات الشهوة "لأن الارادة حاضرة عندى. واما ان أفعل الحسنى فلست أجد".

لا يمكن أن ينظر أى واحد بدقة الى أعمال طبيعته البشرية دون أن يتأكد ما أصابها من شلل. فالارادة تستقر وسط الحياة الداخلية وتصدر الاوامر التى لا تقوى على تنفيذها كالملك الضعيف وسط رؤسائه الاقوياء الذين ينازعونه سلطته.

هكذا طالما يحصل أن القلوب الصغيرة تمتلى بمرارة الفشل، لأنها فى بعض لحظات العزم القوى تقرر بأن تكون كل الحياة جديدة، متشددة بقوة العزم، ومتسامية الى حياة الطهارة والتكريس مستعينة بالقصد الراسخ الذى لا يتزعزع، ولكنها حين تنزل الى ميدان الحياة العامة تجد ان القوة الدافعة قد ماتت، والقوة اللازمة لتنفيذ غاية النفس السامية قد ذابت. نعم فان حياة التكريس لا تكون ممكنة الا حين نطلبها ونواليها ونكملها بقوة ليست قوتنا، وبمعونة الروح القدس.

إجابة يشوع الثانية

قال لهم "انتم شهود على أنفسكم أنكم قد اخترتم لأنفسكم الرب لتعبدوه" وبعباره أخرى أنه توسل اليهم على أساس تأكيداتهم، وطلب أن يربطهم بتعهداتهم. ألم يقصد أن يزداد تعمقا فى امتحانهم، وان يجعلهم يتأكدون من خطورة الموقف وان يدفعهم ليواجهوا عظمة المسئولية التى قبلوها على أنفسهم. لقد حثهم على أن يكونوا أمناء لهذا العهد مستعينا فى ذلك بعظمة البركات التى تنجم عن هذا، بمراحم الله وانقاذه اياهم، بذكريات آبائهم. بايام ابراهيم واسحق العظيمة.

باعترافاتهم هم أنفسهم الخطيرة.

إجابة الشعب الثالثة

فصرخوا قائلين "نحن شهود". كما حصل فى الأيام التالية حينما أجاب الشعب تحدى بيلاطس اياهم المتكرر اذ حملهم دماء يسوع. آسفا على اعتدادهم بأنفسهم وتصلفهم وكبريائهم. "ليس بالقوة يغلب الإنسان" (١ صم ٢ : ٩). ايتها النفس! احذرى حينما تلجأين الى عزمك، واحرصى بأن لا تفتخرى الا بالله، رافعة علمه فوقك، ومعتزة بقدرته. بالله وحده تستطيعين ان تقتحمى جيشا. وتتسورى أسوارا (٢ صم ٢٢ : ٣٠) فاطلب من الروح القدس ان يربطك الى مذبح تكريس النفس بربط الجلجثة القرمزية، بربط الرجاء فى مجيئه الثانى الفضية، بربط الشركة اليومية معه الذهبية.

تصرف يشوع الاخير

واذا وجد انه لا نتيجة للكلام بعد هذا أقام تذكارا للتعهدات التى قطعها الشعب على أنفسهم. كتب كلماتهم "فى سفر شريعة الله، وأخذ حجرا كبيرا ونصبه هناك تحت البلوطة التى عند مقدس الرب". ثم قال لهم "ان هذا الحجر يكون شاهدا علينا لانه قد سمع كل كلام الرب الذى كلمنا به. فيكون شاهدا عليكم لئلا تجحدوا الهكم". ثم صرف يشوع الشعب كل واحد الى ملكه.

بمقارنة هذا المنظر بحالتنا نجد تعزية

حتى فى أرض الموعد عاد الشعب الى روح جبل سينا القديمة نحو الواجب والطاعة كشرط لحق امتلاكهم الأرض. لقد قالوا عند جبل سينا "كل ما يقوله الرب نفعل". وهذا ما قالوه ثانية فى كنعان. ونحن جميعا ميالون لارتكاب نفس الخطأ. لقد حاولنا مرة تبرير أنفسنا بمجهوداتنا وأعمالنا، والآن نحاول تقديس أنفسنا. لقد اعتزمنا مرة ربح السماء بالاعمال الصالحة، والآن نحاول بنفس العزيمة التمسك بتعهداتنا نحو حياة التكريس. وحالما نحاول السلوك فى طريق التكريس الشاق بمجهودنا، وقوتنا، فاننا نعرض أنفسنا للشقاء الدائم والحزن الشديد. ليس هذا هو الطريق المستقيم. لاننا لا نستطيع ان نكمل بالجسد ما بدأناه بالروح.

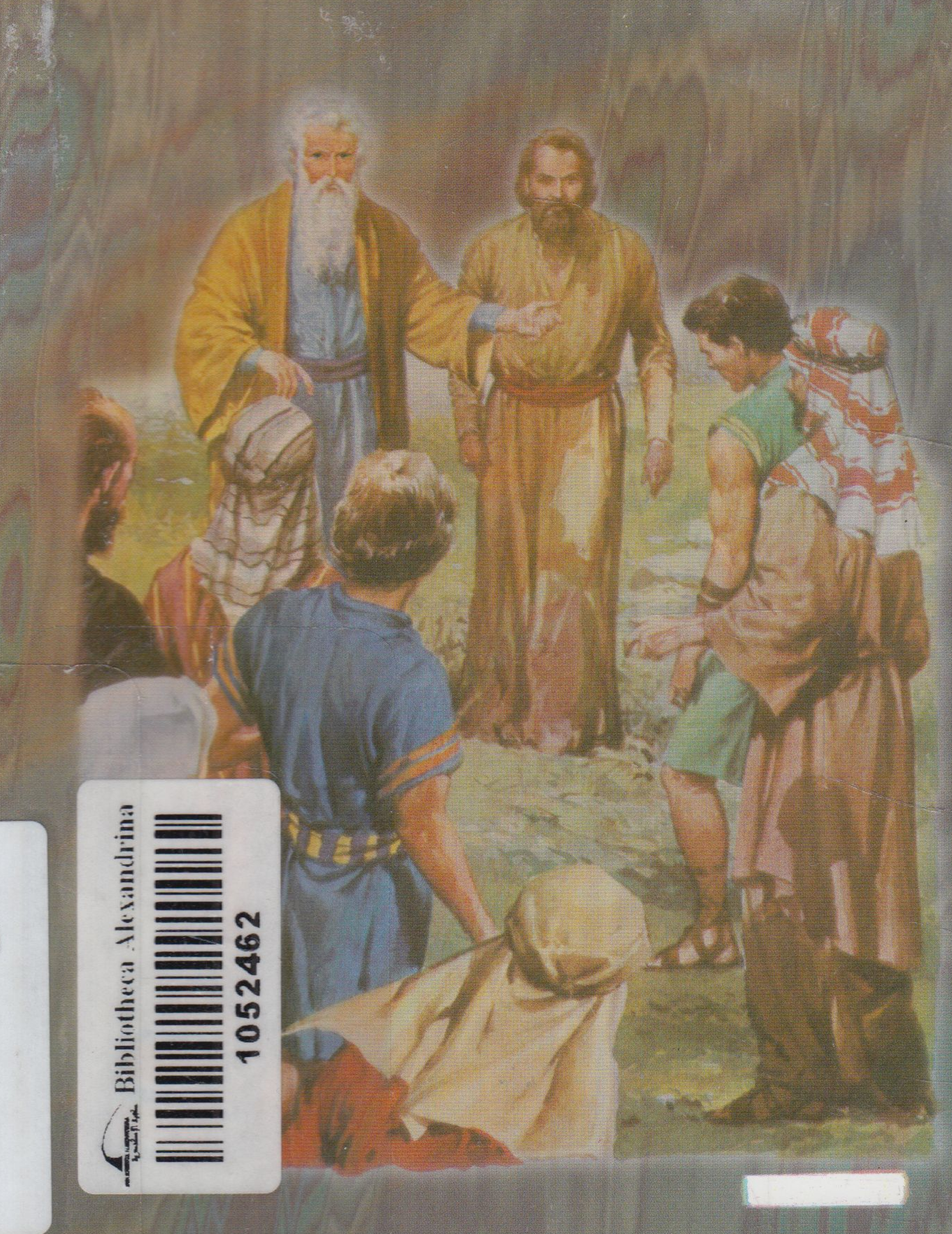
لم يعط يشوع الشعب راحة. لانه لو فعل ذلك لما تحدث داود عن يوم آخر. وما كانت كنعان سوى رمزا لراحة شعب الله، ولكنها لم تحققها. لم تكن فى أحسن أيامها سوى رمزا ماديا عاجزا عن أن يهب الراحة الحقيقية. لقد وهبت فعلا راحة من عناء المسير فى البرية، ولكنها لم تهب النفس اقصى آمالها فى الراحة. ولم يكن فى استطاعة محصول الحنطة والكروم والزيتون اشباع شهوة النفس نحو غير المادى التى لابد أن يكون اسرائيل قد احس بها كشعب استقر فى الأرض الموهوبة اليه من الله. لذلك فقد بقيت ـ علاوة على هذه الراحة وفوقها ـ راحة

لشعب الله مقدمة اليهم بالإيمان فى كل العصور كما يخبرنا الوحى.

لاحظ الحقيقة الروحية العميقة هنا. فاسرائيل لم يمكنهم دخول راحة الله الحقيقية لان الشعب اصروا على التمسك بهذا الحديث عما يجب وما لا يجب ان يفعلوه. وراحة الله لا يمكن دخولها بهذه الطريقة. ومع أن القيادة كانت قيادة يشوع الا ان الروح كانت روح موسى. والناموس لا يمكن ان يهب الراحة بأى حال من الاحوال أو بأى شكل من الاشكال. أليس هذا هو السبب فى ان الكثيرين من المسيحيين لا يزالون محرومين من الراحة ؟ انهم يعترفون بأنهم تحت قيادة يشوع الاعظم، ولكنهم طول الوقت يعتمدون على عزيمتهم ويفتخرون بقوتهم. اننا لا يمكننا دخول حياة الراحة المباركة والسلام الحقيقى الا حينما ندرك شروط العهد الجديد نحو الاعتماد الكلى على نعمة الله. لا يتوقف الامر على ما تفعله انت بل على ما يفعله الله، لا على قوسك ورمحك بل على ذراعه المقتدرة، لا على عزيمتك القوية بل على نعمته المجانية. حينما تعترف بانك عاجز عن الاحتفاظ بحياة التكريس، وتطرح ذاتك عليه فى حالة عجزك ـ طالبا منه أن يتمم فيك وبك كل شئ، محققا مثله العليا. ومتمما اغراضه، وحينما تطرح عليه كل همك وكل حملك، وتكتفى بان تظهر فى الخارج (بقوة الروح القدس) ما يفعله فى قلبك فى الداخل، فانك تختبر ملء تلك الراحة العميقة عمق الله.

واذ انتهت مهمة يشوع اعتزل فى ميراثه. على ان تأثير صفاته وحياته ظل مستمرا طالما كان عائشا وبعد وفاته. وأخيرا مات ابن مئة عشر سنين، فدفنوه. ولعل جميع اسرائيل اجتمعوا ليحيوا ذكراه. والواقع انه استحق بجدارة كل الكرامة التى نالها. لم تكن له موهبة من مواهب موسى. وربما يمكن تشبيهه بالرجل الذى أعطى وزنتين، أما معلمه البطل العظيم فقد أؤتمن على خمس وزنات. ولكنه كان قويا وحكيما وأمينا للمهمة العظمى التى اؤتمن عليها من قبل الشعب ومن قبل الله. وبين الكواكب اللامعة فى كبد السماء يلمع بضياء كامل يشوع بن نون الذى كان رمزا للمخلص والذى كان افخر ما كتب عنه احتفاظا بذكراه بعد وفاته :

يشوع بن نون عبد الرب



مكتبة المحبة: ٣٠ شارع شبرا - القاهرة - ت: ٥٧٨٢٩٣٢ - ٥٧٥٩٢٤٤ فاكس: ٥٧٧٧٤٤٨